الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique ET Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة مصطفى اسطمبولي Université Mustapha Stambouli
معسكر Mascara
كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: العلوم الإنسانية
مخبر: البحوث الإجتماعية والتاريخية

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث
تخصص :تاريخ
فرع: علوم إنسانية

العنوان:

الصلحاء في الجزائر من خلال الكتابات الفرنسية1830-1962م

تقديم الطالبة: جميلة عدة
تحت إشراف:
أ.د سعد طاعة

يوم: 18نوفمبر2025م

لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	جامعة الانتماء	الصفة
01	هواري قبايلي	أستاذ	جامعة معسكر	رئيسا
02	سعد طاعة	أستاذ	جامعة تيارت	مشرفا ومقررا
03	محمد شاطو	أستاذ	المركز الجامعي البيض	ممتحننا
04	فاطمة الزهراء سيدهم	أستاذة	جامعة معسكر	ممتحننا
05	فاطمة درعي	أستاذة	جامعة معسكر	ممتحننا
06	هواري حمادي	أستاذ	جامعة معسكر	ممتحننا

السنة الجامعية: 2024 / 2025

بسم الله الرحمن الرحيم

{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}

(يونس:62)

الإهداء

-الى روح والدتي رحمها الله

-الى روح ابني محمد رحمه الله

-الى والدي الذي كان لي سندا طوال مشواري الدراسي.

-الى إخوتي فاطمة ومحمد وزكرياء.

-الى زوجي حسين بوزيدي.

-الى خالتي امباركة كحول التي كان لها معي مواقف لن انساها.

-الى زوجة أخي سهام حفضها الله لطالما كانت لي نعم الاخت.

-الى صديقتي وابنتي بختة در وزينب مسعودي.

-الى ابنتي خيرة ابتهال.

- الى زميلتي حورية بن صحيح.

- الى زملائي محمد سليماني وطيب اورنيدي وعيسى بن نافلة.

كلمة شكر تقدير

الحمد لله رب العالمين الذي سدد خطانا لإنهاء هذا العمل الذي قضينا فيه سنوات عديدة لإنجازه.

أتقدم بعد الله عز وجل بجزيل الشكر والعرفان الى أستاذي الفاضل الدكتور طاعة سعد الذي أشرف على هذه لأطروحة برحابة صدر، حيث أنه لم يتوان في إعطاء التوجيهات والنصائح العلمية القيمة، وتتبع خطواتها لإخراجها في شطرها الأخير فكان نعم المشرف ونعم الموجه.

كما لا يفوتني في هذا السياق أن أقدم شكري وإمتناني الى أساتذتي في قسم التاريخ بجامعة معسكر كل بإسمه لما قدموه لنا من عون ومساعدة.

ويسعدني ان أقدم شكري للأستاذ الدكتور هواري قبايلي والاستاذ الدكتور حميد قريتلي على مساعدتهم لي وتشجيعهم.

والشكر الموصول كذلك الى السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الذين تكبدو عناء تصويب وتقويم هذا العمل.

كما لا يسعني في الأخير إلا ان أشكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة.

قائمة المختصرات

قائمةالمختصرات

1-باللغةالعربية:

د.س	دون سنة طبع.
ج	جزء.
ص	صفحة.
د.ط	دون طبعة.
ط	طبعة.
ع	عدد.
مج	مجلد.
تح	تحقيق.
تر	ترجمة.
تع	تعريب.

2-باللغة الفرنسية:

Imp	Impremrie
Ed	Edition
T	Tome
V	Volume
P	Page
Op.Cit	ouverage précédemment cite
Rev-af	la revue africaine
Ibid	au même endroit
A.M.C	Archives du Ministère de la Culture Algérien
C.D.P.R	Centre Des Documentation Palais Des Rais
A.N.O.M	Archives nationales d’outre-mer (Aix-en-Provence)

المقدمة

مقدمة

شهدت الجزائر خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية (1830-1962م) تفاعلات عميقة ومعقدة بين البنية الاجتماعية المحلية والسلطة الكولونيالية، وكظاهرة دينية وعلى رأسها الصلحاء؛ فقد كان لهم حضور بارز في المشهدين الثقافي والسياسي.

فقد شكل الصلحاء، باعتبارهم شخصيات روحية ومراجع اجتماعية، عنصرا مؤثرا في الحياة اليومية للجزائريين، وهو ما لفت أنظار الإدارة الاستعمارية والمثقفين الفرنسيين، الذين سعوا إلى فهم هذه الظاهرة أو توظيفها في إطار مشروعهم الاستعماري.

اهتم الكتاب والمؤرخون الفرنسيون بموضوع "الصلحاء"، فتنوعت الكتابات بين الرسمية (تقارير إدارية، مراسلات) والأكاديمية (كتابات استشراقية، دراسات أنثروبولوجية وسوسيولوجية)، والتي أنتجت خطابا كولونياليا حول الصلحاء، يتراوح بين الانبهار والاستغلال وبين الفهم والتحقير.

وقد عبرت هذه الكتابات، في الكثير من الأحيان، عن تمثلات استعمارية تستبطن أبعادا إيديولوجية تتجاوز الوصف الموضوعي للصلحاء.

وعليه، فإن هذه الدراسة هي عينات من الكتابات الفرنسية عن الصلحاء الجزائريين وما يرتبط بها من تصورات وتمثلات ذهنية وثقافية، بما في ذلك الخلفيات الإيديولوجية التي وجهت هذه الكتابات، وآليات التمثيل التي اعتمدتها لإنتاج صورة معينة عن الفاعل الديني في المجتمع الجزائري؛ وذلك في إطار مشروع استعماري يسعى إلى الفهم من أجل السيطرة على مجتمع عرف ظاهرة الصلحاء منذ نهاية القرن الحادي عشر الميلادي.

إذ لا تخلو أي قرية أو مدينة من ولي يحرسها، ومع مجيء العثمانيين إلى الجزائر لم تحاول السلطات العثمانية المساس بهذه المقدسات، لما لها من قيمة في نفوس الجزائريين.

غير أن الفرنسيين، لما احتلوا الجزائر، حاولوا تغيير ديانة سكانها من الإسلام إلى المسيحية من خلال إصدار قوانين لمصادرة الأوقاف وهدم الأضرحة، ومحاولات عدة من قساوستهم لتنصير الشعب.

إلا أن محاولاتهم لطمس الهوية الإسلامية، وسلخ الجزائريين عن دينهم، باءت كلها بالفشل؛ فعمدوا إلى دراسة الصلحاء ومدى تأثيرهم في المجتمعات المغاربية عامة، والمجتمع الجزائري خاصة، ومدى تأثير كل صالح على المنطقة التي دفن فيها.

ورغم محاولات الاستعمار الفرنسي طمس هوية الشعب الجزائري عبر العديد من سياساته الاستعمارية، وإبعاده قدر الإمكان عن دينه وما يربطه به، أدرك الفرنسيون أن الشعب الجزائري لن يتخلى عن دينه ومقوماته.

فعمدوا إلى دراسة المجتمع عبر العديد من الجوانب لفهم عقليته، مستغلين في ذلك الضباط والرحالة والجواسيس.

فوجدوا أن "الصلحاء" كانوا أولياء أو مرابطين أو شيوخا لهم تأثير عميق على المجتمع منذ قرون، يمتد إلى أحفادهم الذين سموا أنفسهم بـ"الخوان"، والذين بدورهم ارتبطوا ارتباطا وثيقا بالزوايا.

ولم تكن الزوايا مجرد مؤسسات دينية، بل كانت موردا ماليا أسال لعاب الغزاة، الذين فكروا في استغلال هذا المورد لصالحهم.

بل وأكثر من ذلك، جعلوا من هذه المؤسسة سلاحا سياسيا غير مرئي، يتحكمون به في كل تابع لها، عن طريق إبرام معاهدات واتفاقيات، وإعطاء امتيازات لشيوخ الزوايا، قصد تسهيل مهامهم وإخضاع الشعب بأي طريقة لضمان عدم مقاومتهم.

لتتحول هذه الأنساق الدينية والسياسية إلى مادة خصبة كتبت عنها جميع الأطياف الفرنسية، سواء كانوا ضباطا، أو رجال دين، أو رحالة.

دواعي اختيار الموضوع

لقد كان سبب اختيارنا لهذا الموضوع، قبل كل شيء، وليد ميولنا الشخصية ورغبتنا الذاتية في التعرف على صلحاء المنطقة آفلو خاصة والجزائر عامة؛ وذلك لأني قضيت أغلب حياتي بين الجزائر العاصمة ومنطقة أفلو، حيث وجدت اعتقاد الناس بهم، ومكانتهم القدسية. وازدادت رغبتنا في البحث في هذا الموضوع بعدما حفزني أستاذي المشرف، الدكتور طاعة سعد، على البحث فيه؛ لتسليط الضوء على بعض الصلحاء الذين لم يحظوا بدراسة تقييمية شاملة تلم بهم من جميع الجوانب.

أما الدوافع العلمية والموضوعية التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع، فأذكر منها ما يلي:

1- حضور الطابع الثقافي والديني والتاريخي بقوة، وهو الهدف الأول والأساسي لمشروع هذا البحث؛ حيث إن الصلحاء تركوا أثرا واضحا عبر التاريخ الإسلامي عامة، والجزائر خاصة من خلال مساهماتهم في التعليم، والدعوة، وتكوين القرى والمدن لاحقا.

2- قلة الدراسات التي سلطت الضوء على موضوع الصلحاء من خلال الكتابات الفرنسية؛ إذ إن أغلب الدراسات الموجودة تتحدث عن ولي صالح واحد أو اثنين على الأكثر، أما بحثي هذا فيحمل في طياته سير العديد من الصلحاء عبر ربوع الوطن.

3- فهم تأثير الصلحاء على المجتمع الجزائري، وتحليل السياسات الاستعمارية تجاه المقدسات الدينية؛ فمثل هذه الدراسة توضح استراتيجيات الاستعمار في محاربة الرموز الدينية، ومحاولة التلاعب بعقول الناس والتحكم بهم.

4- محاولة توثيق سير بعض الصلحاء، ومعرفة علاقة أحفادهم بالسلطة الاستعمارية، ومدى تأثيرهم على المجتمع الذي كان يعيش الجهل والفقر والأمية آنذاك؛ في محاولة للسيطرة عليهم ومنعهم من المقاومة والثورة ضد المستعمر الغاشم.

5- وما زادنا إصرارا على هذا البحث هو الغوص في طيات الكتب النادرة والمخطوطات، والتي اتبعنا فيها أسلوب اللغة السهلة والبسيطة؛ كون هذا البحث ليس موجها للباحثين فقط، بل لعامة الناس، كونه يمس المجتمع.

حدود الدراسة

تتمثل حدود هذه الدراسة في تناول موضوع االصلحاء، التي كتبت خلال الحقبة الاستعمارية ما بين سنة 1830م والتي تعتبر سنة الاحتلال، الى غاية 1962م والتي تعتبر سنة الاستقلال حيث تم التركيز على الكتابات الفرنسية من رجال دين، وساسة وضباط وسسيولوجيين حول هذه الفئة الدينية وعلاقتهم بأحفادهم.

المنهج المتبع في الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على منهج تاريخي نقدي تحليلي، يهدف إلى تفكيك الخطاب الاستعماري الفرنسي حول ظاهرة الصلحاء في الجزائر خلال الفترة 1830–1962م. فقد تم تتبع الكتابات الفرنسية المتنوعة (تقارير إدارية، مراسلات، دراسات استشراقية، أنثروبولوجية وسوسيولوجية) وتحليلها نقدياً، للكشف عن الخلفيات الإيديولوجية التي وجهتها، وآليات التمثيل التي اعتمدتها لإنتاج صورة معينة عن الفاعل الديني في المجتمع الجزائري.

كما اعتمدت الدراسة على منهج مقارن بين مختلف مناطق الجزائر (الغرب، الوسط، الشرق، الجنوب)، لتفهم أسباب انتشار الصلحاء أو ندرتهم، وعلاقة أحفادهم بالسلطات الاستعمارية. وتم توظيف المنهج الوصفي في عرض سير الصلحاء وكراماتهم وأساطيرهم، مع التمييز بين الرواية الشعبية والتدوين الاستعماري.

تفيد هذه الدراسة في عدة مجالات:

- تقدم سير العديد من الصلحاء الذين لم يحظوا بدراسات شاملة، خاصة في المناطق النائية كجبل عمور والجنوب الغربي.
- تكشف كيف وظفت فرنسا الصلحاء والزوايا كأداة للسيطرة على المجتمع، عبر تحالفها مع بعضهم (التيجانية) أو مقاومتها للآخرين (الرحمانية والسنوسية).
- تساهم في حفظ الأساطير والكرامات والحكايات الشعبية المرتبطة بالصلحاء، والتي تمثل جزءاً من الهوية الثقافية الجزائرية.
- تبرز كيف تحولت الزوايا من فضاءات روحية إلى مراكز قوة اقتصادية وسياسية، وكيف استغلت فرنسا الصراعات بين الطرق الصوفية لخدمة مشروعها.
- تفسر أسباب انتشار الأضرحة في الغرب الجزائري وندرتها في الشرق (بسبب هدم جمعية العلماء المسلمين لها)، مما يعكس صراعاً رمزياً بين المشروع الصوفي والإصلاحي.

- تقدم منهجية نقدية في قراءة الكتابات الاستعمارية، ويشكل مرجعاً للمهتمين بالتاريخ الديني والاجتماعي للجزائر، بلغة بسيطة تناسب الباحثين وعامة الناس على حد سواء.

الإشكالية:

تتمحور الإشكالية الرئيسة للموضوع الصلحاء في الكتابات الفرنسية من سنة 1830-1962م حول كيفية تمثل هذه الفئة الدينية في الخطاب الاستعماري الفرنسي ولمن وجهت مثل هذه الكتابات؟

وعلى هذا الأساس يمكن صياغة الشكالية على النحو التالي: لماذا درس الفرنسيون الصلحاء في كتاباتهم وماكانت خلفياتهم الاديولوجية والمعرفية في هذه االدراسة وعلى ماذا إعتمدوا؟

ولإثراء هذه الإشكالية نطرح التساؤلات الفرعية التالية:

1-من هم الصلحاء المقصود دراستهم في هذه الكتابات؟

2-ماهي غاية الكتاب الفرنسيين من دراسة الصلحاء؟

3-ماهي العلاقة بين الطرق الصوفية والصلحاء؟

4-هل عكست هذه الدراسات فهما موضوعيا للدور الديني والإجتماعي للصلحاء؟

5-من هي الأطياف التي قامت بدراسة الصلحاء؟

6-ما هو سب إنتشار الصلحاء وأضرحتهم بمنطقة الغرب الجزائري؟

7-ما سبب قلة عدد الصلحاء بكل من الوسط والشرق الجزائري وما هو سبب هدمها؟

8-من هم أهم الصلحاء بمنطقة الجنوب الجزائري وعلاقتهم بالإدارة والسلطات الفرنسية؟

9-هل دراسة الكتابات الفرنسية للصلحاء كانت لإثراء الجانب الديني والعلمي أما لها خلفيات إستعمارية؟

خطة البحث:

لقد إفتتحنا دراستنا هذه بفصل الاول الموسوم: بعنوان دراسة الصلحاء مفاهيم وخلفيات تطرقنا فيه الى أربعة عناصر، أولا: الصلحاء في الكتابات الفرنسية؛ حيث تطرقنا فيه الى معنى

الصلحاء في الكتابات الفرنسية، أما العنصر الثاني فكان معنونا بالصلحاء في الفكر الجمعي الجزائري حيث تطرقنا فيه الى مدلول الصلحاء في الفكر الجمعي الجزائري.

وفي العنصر الثالث تطرقنا ظاهرة الصلحاء والطرق الصوفية؛ حيث جاء فيه عن بداية ظهور الصلحاء بالجزائر وأنواع الطرق الصوفية المنتشرة بها.

أما رابعا فكان سبب اهتمام الفرنسيين بدراسة الصلحاء، حيث تكلمنا أسباب دراسة الفرنسيين للصلحاء كما تطرقنا فيه الى بعص النماذج والمؤلفات حول الصلحاء الصلحاءنذكر منها: كتابات المؤرخين الفرنسيين أمثال:

مارسيل سيميون (Marcel Simian) ومؤلفاته، وألفونس سرتو Alphonse) (Certeuxومؤلفاته، وكتابات رجال الدين المستشرقين، وجون جوزيف بارجيس ليوندر (Barges Jean Joseph Léandre)ومؤلفاته، وكتابات الساسة والصحفيين كأوجين فالي (Eugène Vallet)ومؤلفاته، وكتابات الضباط والجنرالات الفرنسيين أمثال إدوارد دونوفو (Edouard Deneveu)ومؤلفاته، ولويس رين (Louis Rinn) ومؤلفاته، وكتابات علم الاجتماع والأنثروبولوجيا كإيدموند دوتي (Edmond Douté) ومؤلفاته، وماتيا غودري (Mathea Goudry)ومن مؤلفاتها، مع عينة من المجلات المعتمدة خلال الدراسة، ومنها المجلة الإفريقية(La Revue Africaine).

أما الفصل الثاني المعنون بصلحاء منطقة الغرب الجزائري، واحتوى هو الآخر على أربعة عناصر وهي:

أولا: الامتداد الجغرافي لمنطقة الشمال الغربي الجزائري، ثانيا: الحضور الروحي للولي الصالح سيدي عبد القادر الجيلاني في الغرب، خصصنا لهذا الولي عنصرا كاملا كون الطريقة القادرية من أكبر الطرق في الجزائر، والولي الصالح سيدي عبد القادر الجيلاني من الأولياء الصالحين المعروفين عالميا.

والعنصر الثالث المعنون بصلحاء وهران وتلمسان وفيه تطرقنا الى صلحاء المنطقتي وهران تلمسان، سردنا فيها سيرة كل من سيدي الهواري، وسيدي بومدين وسيدي الحلوي، وسيدي

سنوسي دفين تلمسان مع إبراز علاقة أحفاده مع السلطات الإستعمارية إن وجدت، أما رابعا فكان بعنوان صلحاء حوض شلف الغربي، والذي تطرقنا الى شيخ بن عليوة، وسيدي سنوسي وسيدي معمر، وسيدي بن يوسف الملياني، حيث خضنا في سيرهم وحياتهم ورحلاتهم من دون أن ننسى الأساطير الشعبية الخاصة بكل ولي صالح وعلاقتهم بالسلطات الإستعمارية.

وجاء في الفصل الثالث المعنون بصلحاء منطقة الوسط والشرق الجزائري أربعة عناصر وهي كالتالي:

أولا الإمتداد الجغرافي لمنطقة الوسط الجزائري، ثانيا صلحاء مدينة الجزائر وما جاورها تطرقنا فيه للولي الصالح سيدي محمد بوقبرين وعبد الرحمان الثعالبي، وسيدي لكبير وشيخ الميسوم، عرضنا فيهم سيرهم وأساطيرهم الشعبية كما لاننسى المؤلفات، وعلاقة أحفادهم بفرنسا؛ أما العنصر الثالث جاء فيه الإمتداد الجغرافي لمنطقة الشرق الجزائري يليه صلحاء منطقة شمال شرق الجزائر هم:

سيدي عيسى، وسيدي عبيد وسيدي يوسف الحنصالي، وسيدي مسعود دفين فرجيوة والذين تطرقنا فيه لسيرهم والأساطير الشعبية المتعلقة بكل ولي إضافة الى علاقتهم بالسلطات الفرنسية.

أما الفصل الرابع فجاء بعنوان صلحاء الجنوب وجاء فيه أربعة عناصر معنونة كالتالي: أولا الإمتداد الجغرافي لمنطقة الجنوب الجزائري، ثانيا صلحاء جبل عمور والأغواط وغرداية متطرقين للأولياء المحليين لجبل عمور وهم لالة أم قرين وسيدي بلقاسم وسيدي بولفعة وما إرتبط بهم من أساطير.

ثانيا صلحاء منطقة الجلفة والبوسعادة وتطرقنا فيه للولي الصالح سيدي نايل، مع سيرته المفصلة وشيخ بلقاسم الهاملي، شيخ زاوية الهامل ببوسعادة، أما العنصر رابع فكان بعنوان صلحاء الجنوب الغربي وجاء فيه لسير كل من سيدي سليمان بن بوسماحة، وسيدي عبد القادر الملقب بسيد الشيخ ومولاي الطيب.

المصادر والمراجع

1-الارشيف:

بما أن الموضوع يندرج ضمن سياق الدراسات الاستوغرافية للعديد من الصلحاء عبر الوطن، والذي مثل بعضهم طرقا صوفية معروفة عالميا، ووطنيا أمثال التيجانية والقادرية فإننا اعتمدنا على أربع وثائق من مركز "أكس أون بروفانس (Aix En Provence) "بفرنسا، "Série 16H/51، ورقتين أرشيفيتين استقينا منهم نسب سيدي أحمد التيجاني وعلاقة التيجانيين بفرنسا وستة أوراق أرشيفية من العلبة "U22"2، والتي تخص مراسلات لزاوية الهامل، ومقدمة الزاوية لالة زينب، والتي زودنا بها الأستاذ الدكتور قريتلي حميد من جامعة المدية، حفظه الله ورعاه.

كما توجهنا إلى مكتبة قصر الثقافة مفدي زكريا بالعاصمة، لجناحfond ancien" "c، والذي يتواجد به أرشيف قيم باللغة الفرنسية، تحت ترقيم "c417" و"c416"؛ وهي عبارة عن تقارير صادرة من الإدارة الفرنسية، تحمل تصاريح تسمح لبعض الزوايا بنقل السلع وإقامة الوعدة السنوية.

ولا ننسى ذكر قصر رياس البحر، والذي حصلنا منه على ورقة أرشيفية واحدة من أرشيف مسجد سيدي عبد الرحمان الثعالبي، والتي تحمل معلومات حول الولي الصالح.

2-المخطوطات:

كما اعتمدنا على بعض المخطوطات المنشورة عبر الأنترنات، وأخرى خاصة، نذكر منها: مخطوط من خزانة مولاي سليمان، مقدم زاوية سيدي عيسى بأدرار، والتي سلمنا منها نسخة السيد لخضر برني، حفظه الله ورعاه، مقدم زاوية سيدي عيسى بالمسيلة، والذي يحمل النسب الكامل لسيدي عيسى دفين مدينة سيدي عيسى.

-أحمد بن محمد العشماوي، السلسلة الوافية الياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت المطهر أهله بنص الكتاب؛ مخطوط منشور عبر الأنترنات.

4-الاطاريح والرسائل العلمية:

- سلطانة عابد، التراتبية الاجتماعية ببايلك الغرب وأثرها على مقاومة الأمير عبد القادر (1832-1847) مقاربة منوغرافية لمجتمع الخلافة الشرقية (آغاليك مجاهر، قايدة فليتة، آغاليك الشرق أنموذجا)، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية بجامعة وهران، قسم التاريخ وعلم الآثار، 2010م/2011م.
- زروق جيجيق، المرابطون والطرق الصوفية من خلال الكتابات الفرنسية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، قسم التاريخ، 2014-2015م.
- **أطروحة باللغة الفرنسية:**

- Marcel Simian, Les Confréries Islamique En Algérie (Rahmania-Tidjanya), Thèse De Doctorat En Sciences Politiques Et Économiques, Université De Paris, 1910.

والتي اعتمدنا عليها في الفصل الأول، فيما يخص الطرق الصوفية.

5-المقالات والندوات:

اعتمدنا على مجموعة من المقالات، أغلبها باللغة الفرنسية، نذكر منها:

- John Roney, Les Sains De L'Islam, Ancienne Revue Des Revues, Paris, N°70, 1907.
- Emil Dermenghem, Le Culte Des Saints Dans L'Islam Maghrébin, La Revue Africaine, Numéro 99, 1955, Alger.
- Mouloud Mammeri, Culture Savante Et Culture Vécue En Algérie, Libyca, Centre De Recherches Anthropologiques Préhistoriques Et Ethnographiques, Tome 23, 1975, Alger.
- Emile Dermenghem, Le Pays Des Ouled-Nail, Documents Algériens, Synthèse De L'Activité Algérienne, 1 Janvier 1956 – 31 Décembre 1956.

- خالد محمد، الزوايا الطرقية، مجلة ليبيكا، المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزء 35، الجزائر، 1998م.
- غالم محمد، ظاهرة الزلزال في الأسطوغرافيا الجزائرية التقليدية (بين الذاكرة والتاريخ)، مجلة إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، CRASC، ديسمبر 1997م، الجزائر.
- مجدوب موساوي، الزوايا والطرق الصوفية بالصحراء الجزائرية عند لويس رين، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، المجلد 3، العدد 1، جانفي 2020م.
- إبراهيم مياسي، ثورة أولاد سيدي الشيخ، مجلة الذاكرة، ع4، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1955م.

صعوبات الدراسة:

ما من شك أن أي محاولة في البحث لا تخلو من الصعوبات والعراقيل، ولا سيما إذا كان الموضوع جديدا والدراسات حوله قليلة. ومن بين هذه العقبات التي واجهتها في إنجاز هذه الدراسة:

- الدراسة هي ترجمة لما جاء عن الصلحاء في الكتابات الفرنسية إلى اللغة العربية؛ حيث واجهنا بعض الصعوبات في ترجمة بعض المصطلحات القديمة من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية.
- نقل كتب المركز الوطني للدراسات التاريخية ببوزريعة (CNAH) إلى مكتبة وزارة الثقافة جناح الكتب القديمة، والتي يمنع فيها الإعارة الخارجية نظرا لندرتها.
- منع نسخ الكتب وتصويرها، وذلك نظرا لقدمها وتعرضها للتلف في كل المكتبات المتواجدة بالعاصمة.
- وجود أغلب المكتبات ودور الأرشيف بالعاصمة، مما اضطرني للإقامة فيها لبعض الوقت.
- توقف مركز الدراسات الأسقفية المتواجد بدائرة اللابيار بالعاصمة لمدة سنتين بسبب جائحة كورونا، والذي يحوي هو الآخر دراسات دينية باللغة الفرنسية.

- قلة الدراسات التي تخص منطقة الشرق الجزائري، نظرا لهدم أغلب الأضرحة التي انتشرت فيها مظاهر الكفر من طرف جمعية العلماء المسلمين؛ فاضطررنا لدمج كل من منطقة الشرق والوسط في فصل واحد.
- صعوبة التوفيق بين البحث العلمي والمهام البيداغوجية؛ فوظيفتي كأستاذ للتعليم المتوسط التي تفرض علينا التدريس معظم أيام الأسبوع، لم تترك لنا متسعا من الوقت لمجال البحث.
- الالتزامات العائلية، خاصة أن والدي مريض ويحتاج إلى العناية، بعد وفاة ثلاثة أفراد من أسرتي بحادث سيارة.

الفصل الأول: دراسة الصلحاء مفاهيم وخلفيات

أولا: الصلحاء في الكتابات الفرنسية.

ثانيا: الصلحاء في الفكر الجمعي الجزائري.

ثالثا: ظاهرة الصلحاء والطرق الصوفية.

رابعا: سبب اهتمام الفرنسيين بدراسة الصلحاء.

تشكل ظاهرة الصلحاء في الجزائر إحدى أهم العلامات البارزة في تاريخ المجتمع الجزائري الديني والاجتماعي، حيث لعبت دوراً محورياً في تشكيل الوعي الجمعي والهوية الثقافية عبر العصور، وقد أثارت هذه الظاهرة اهتماماً كبيراً في الكتابات الفرنسية الاستعمارية، التي نظرت إليها من زوايا متعددة: دينية، ثقافية، اجتماعية، اقتصادية، وسياسية عسكرية، فقد أسقطت هذه الكتابات مفاهيمها المسيحية كـ"القديس" على الولي الصالح، مما أدى إلى تشويه المعنى الإسلامي للولاية، كما صنفت الصلحاء إلى أنواع متعددة: المحليين الشعبويين، العلماء الشافعين، وأولياء الأساطير كـ"مول الساعة"، محاولةً بذلك فهم بنية المجتمع الجزائري وإدارتها. إن دراسة هذه الكتابات تكشف عن مدى توظيف المعرفة الأنثروبولوجية والتاريخية لخدمة الأهداف الاستعمارية، لكنها في الوقت ذاته تقدم مادة خصبة لفهم تطور التصوف والطرق الدينية في الجزائر، من القادرية إلى الرحمانية والتيجانية، ودورها في المقاومة أو التعاون مع الاحتلال.

أولا: الصلحاء في الكتابات الفرنسية:

1-مصطلح الصلحاء في الكتابات الفرنسية": les saints de l'islam"

أسقطت الكتابات الفرنسية كلمة"Saint" ، والتي تعني القديس في الديانة المسيحية، على الولي الصالح في كتاباتهم؛ فبدل أن يكتبوا"le wali" أو "le ouali" كترجمة حرفية، نجد أغلب الكتابات الفرنسية تستعمل مصطلح"le saint de l'islam" ، والتي تعني القديس المسلم للإشارة إلى "الولي الصالح".

هذا الولي الذي يتصف بورعه الديني، والتقوى، والطاعة إلى الله وحده، والذي لا يخضع إلى أي مؤسسة دينية أو سياسية أو إعلان رسمي؛ فقد شبه بالقديس الذي يتم تعيينه بصفة رسمية من طرف الكنيسة، وغالبا ما تكون قداسته مؤسسة على الكرامات.

استخدمت أغلب الكتابات الفرنسية مصطلح"le saint de l'islam" ، إن لم نقل كلها، هذا المصطلح. وعلى سبيل المثال لا الحصر، الضابط كورناي ترواملي في كتابه L'Algérie Légendaire، إذ يسرد سيرة الولي الصالح سيدي عبد القادر الجيلاني في قوله Sultan" : Salihin.... Le saint de l'islam".[1]هذا الإسقاط الذي يشوه معنى الولاية، الى القدسية الكنسية التي تقترن مع الكرامات والفلكلور.

عرف"Alphonse Certeux Et. Henry Carnoy " *"ألفونس سيرتو وهنري كارنويي بأن الصلحاء "هم أولياء الله الذين يحظون بنعمه السماوية؛ يختصون بأمور غير ممنوحة

[1]-Cornailtrumlet, L'Algérie Légendaire En Pèlerinage Çà Et Là Aux Tombeaux Des Principaux Thaumaturges De L'islam (Tell Et Sahara), Librairie Adolphe Jourdan, Alger, 1892, P174.

*الفونس سيرتو Alphonse Certeux: باحث فرنسي في الفلكلور التراث الشعبي، شغل عدة مناصب منها عضو في الجمعية التاريخية الجزائرية (هيئة علمية أنشئت خلال الحقبة الإستعمارية الفرنسية في الجزائر من أجل أنتاج وتوجيه المعرفة التاريخية للجزائر) له عدة مؤلفات نذكر منها الجزائر الأسطورية والإسلام كتب صادرة باللغة الفرنسية.

* هنري كورنويي Henry Carnoy: باحث فرنسي في الفكلور والتراث الشعبي الجزائري عمل كأستاذ للتاريخ بثانوية لويس الكبير بالجزائر العاصمة. ينظر:

لغيرهم، كإظهار الأمور المخفية، وإخفاء الظاهر منها، والتنقل لأبعد الأماكن في وقت قصير ورؤية الأشياء التي لا تصل إليها حواس الأشخاص العاديين، والتواجد في نفس الوقت في أماكن مختلفة، والمشي على الماء، والصعود إلى السماء.

كما تخضع لمشيئته الحيوانات، ويفهم لغتها ولغة النباتات؛ ويشفي الأسقام، ويحيي الموتى، ويقتل الأحياء من دون لمسهم. إن كل هذه المعجزات الممنوحة للولي الصالح ليست بمشيئته؛ إنها مشيئة الله وحده، لأنه يمثل يد الله التي يرعى بها عباده الأخيار، ويعاقب الأشرار منهم"[1].

"وليصبح المرء وليا صالحا يجب أن يتلقى البركة من لله"[2] فيترك الدنيا وملذاتها[3]ويضحي بماله من أجل محبة الله له، فيعطي ثروته لأقاربه والأيتام والفقراء والمسافرين، ويفدي الأسرى ومن يقيم الصلاة ويعطي الصدقات ويصبر وقت الشدة[4]؛ ويضع نفسه في تواصل مستمر مع الله سبحانه وتعالى مما يجعل الولي يدخل عقيدة الصوفيين بالانعزال التام والصلاة المستمرة والذكر وتكريس نفسه لله وخدمة عباده بمشيئته، فالأولياء هم المختارون، أحباب الله الذين وضع في أيديهم حكم العالم، فمن خلال بركة أقدامهم ينزل المطر وتزهر الأرض، فهم بذلك من ينقذون المحاصيل الزراعية من مخاطر الجفاف التي تنذر بالمجاعات المحتملة"[5].

ولكن من الأشياء التي يستغرب لها عادة أصحاب هذا الرأي، ذلك التطور الكبير الذي عرفته مسألة زيارة الأولياء في اعتناق الإسلام، وتقديس الأشخاص المعروفين بالتقوى والورع وغياب ذلك الرابط بين الله وبين المؤمن؛ مما كان باعثا عند الناس إلى البحث عن وسائط وجعلهم يخفون ذلك تحت مسألة الشفاعة، وأن العقيدة الإسلامية انصاعت إلى التبرك

[1]-Alphonse Certeux Et E. Henry Carnoy, L'Algérie Traditionnelle, Imp Pierre Fontana, Alger, 1884,93.

[2]–إدموند دوتي، الصلحاء مدونات عن الاسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر، تر محمد ناجي بن عمر،افريقيا الشرق للنشر و التوزيع، 2014، ص31.

[3]-Alphonse Certeux Et E. Henry Carnoy, Op.Cit, P93.

[4]-John Roney, Les Sain De L'islam, Ancienne Revue Des Revues, Paris, N°70, 1907, P32.

[5]-Alphonse Certeux Et E. Henry Carnoy, Op.Cit, p94 .

بالصلحاء، وتقبلته عقيدة من العقائد حسب "إموند دوتي"[1] فالصالح عامة هو القريب من الله ويطلق عليه اسم"الولي"وإن كانو كثر يسمون بالأولياء أو "الصلاح"[2].

تميز الصلحاء بنفس القوة التي نجدها عند السحرة؛ فالولي الصالح يستطيع أن يجعل نفسه غير مرئي كما يشاء، كما يستطيع أن يطبق الأرض من تحته ويسافر من دون وسيلة نقل. فهذه القدرة تدعى عند الأولياء "بالطيار"، مثل "سيدي أحمد الطيار" المدفون "بحيدرة" عودة بالجزائر العاصمة.كما أنهم يستطيعون أن يحولوا أنفسهم أو غيرهم إلى وحوش كما يحلو لهم، مثل ثعابين "العيساوة"، وثعابين "سيدي أحمد بن يوسف". هذه العطايا التي يمتاز بها الصلحاء هي قدرة "التصرف"* التي لا يستطيع أن يتعامل بها الساحر إلا إن استعمل الجن أما الصالح، فقدرة "التصرف" هي هبة من عند الله، تكرم الله بها له لأجل ورعه ودينه.

كما يستطيع أن يقوم بأي شيء إلا إن قال: "إن شاء الله"، لأن الرابط بين الدين والسحر لا يوجد. فمنذ أن جاء الإسلام، أصبحت الأمور الخارقة غير العادية مرتبطة كلها بالسحر؛ إلا أن الولي الصالح لا يقوم بها إلا أن سمى باسم الله وحده[3].

عرفت الكتابات الفرنسية الصلحاء تعريفات اعتمدت التراث الشفهي والأساطير والأغاني ممزوجة بروايات شعبية فأقرو أن الصالح هو ولي الله ليس لأنه إتقى الله وأطاعه بل لأنه خصهم عن غيرهم بمعجزات سماوية.

2.أنواع الصلحاء

تعددت تماثلات "الصلحاء"، وتنوعت أدوارهم حسب السياقات الاجتماعية، والبيئة السياسية وهو ما أفرز أنماطا مختلفة من الصلحاء، تختلف في المهام والوظائف، بل وحتى في التصور الشعبي لهم.

وكان ذلك من منظور استشراقي في الغالب، ما ساهم أحيانا في اختزال حضورهم الرمزي ضمن ثنائيات تبسيطية، قسمتها الكتابات الفرنسية الصلحاء إلى ما يلي:

---

[1]–عدة جميلة، الصلحاء في الجزائر من خلال الكتابات الفرنسية (01830–1962م)" الولي الصالح سيد الناصر بوحركات بن عبد الرحمان أنموذجا"، مجلة الدراسات التاريخية، مج10، ع2، 2022م، ص 486.

[2]– إدموند دوتي، مصدر سابق، ص55.

[3]- Edmond Doutté, Magie Et Religion, Op.Cit, PP 52, 53.

1.2-الصلحاء المحليين الشعبويين:

وهم الذين ترتبط بهم العادات الفلكلورية، فنجد بناءات على أضرحتهم "القبة"، ويملكون أسطورة محلية خاصة بهم، وعادة ما تكون هذه الأساطير خاصة بهم؛ أي أنهم يتفردون بها عن غيرهم، وخيالية.

لدى هؤلا مصالح عديدة يصلون إليها عبر الفلكلور الشائع في المنطقة، فهم لا يختلفون عن القديسين البريطاينيين والبروفنسيين في الحقائق التاريخية؛ فهم يظهرون كرامات الواقعية وغير واقعية. فلقد قضوا وقتهم في التحليق، والمشي على الماء، أو الجلوس على سجادة الصلاة فكانوا يسقطون المطر، ويحدثون الزلازل الأرضية، والعواصف. ونأخذ على سبيل المثال هجوم شارلكان سنة 1541م على حسن آغا[1] وحصاره لمدينة الجزائر، فإن الوالي دادة قد ضرب بعصاه البحر وحطم كل السفن التي رست بالقرب من ضريحه، وأرغم الجيش الإسباني على الإنسحاب[2]، فهؤلاء الصلحاء الشعبيين المحليين ليسو معروفين مثل سيدي بومدين وسيدي عبد القادر الجيلاني وطنيا وعالميا، لهم خاصية محلية تتجلى في البركة والتي يوزعونها على مريديهم المخلصين ويضربون بها أعداءهم[3].

لم يتعدى صيت وتأثير الصلحاء الشعبويين حدود قراهم المدفونين فيها إستخدمهم الإحتلال كأدات للترهيب خاصة بعد إنتشار الجهل والأمية، فكان المستعمر يدس في القرى شيوخا موالين له يقومون بنشر الخرافات لوقف دعم الثورات والمقاوات التي واجهت فرنسا.

[1]-Charles-André Julien, Histoire De L'algérie Contemporaine La Conquête Et Les Débuts De La Colonisation (1827-1871), Casbah Editions, Alger, 2005, P15.
[2]-Emil Dermenghem, Le Culte Des Saint Dent L'islamMaghrébin, Collectionl'espèce Humaine, Gallimard, 1954, P11.
[3]-Charles-André Julien, Histoire De L'algérie Contemporaine La Conquête Et Les Débuts De La Colonisation (1827-1871), Casbah Editions, Alger, 2005, P15.

2.2-الصلحاء العلماء:

وهم من وهبوا أنفسهم لله فتمتعوا هم أيضا بالكرامات، تميزوا عن غيرهم من الصلحاء بأنهم كانوا أئمة وأساتذة ومعلمين، لهم مؤلفات أمثال سيدي عبد القادر الجيلاني، وسيدي عبد الرحمان الثعالبي وسيدي بومدين[1].

تم إختزال دور الصالح العالم في رجل يدرس القرآن مع إخفاء علمه وكتبه، وغالبا ما أظهره الخطاب الكلونيالي الجانب الأسطوري لهم، بغية تأثير على من يتبعونهم بالترغيب أو الترهيب.

3.2-الصالح الشافي:

يذكر "Luis Rinn " إن عددا كبيرا من المسلمين يؤمنون بالقوة غير محدودة بالصلحاء المدفونين في بلادهم فمن يعاني من مرض الحمى يجب عليه زيارة الولي الذي يختص بشفاء هذا المرض، ومن يعاني الحمى أو الصداع النصفي يتجه الى غيره من اختص في علاج هذا المرض فيخاطب المريض الشخص داخل الضريح بان يطلب له من الله عز وجل أن يشفيه وهناك فئة أخرى من تطلب من الولي نفسه الشفاء، في إعتقاد ان الولي الصالح الذي مات منذ زمن حي في قبره ويستطيع شفاء الأسقام عن طريق البركة التي منحه الله سبحانه وتعالى، حيث يصنف الإسلام السني* مثل هذه الأعمال بالكفر، فمن يختص بالشفاء هو الله وحده[3].

ونأخذ على سبيل المثال ضريح سيدي محمد بن يعقوب الموجود بتلمسان، حيث اختص ضريح هذا الولي في شفاء مرض الرمد؛ إذ يقوم المريض بزيارة هذا الولي، والأكل من ثمار شجرة الزيتون البري التي نمت على ضريحه، فيشفى.

---

[1]-Emil Dermenghem, Le Culte Des Saints Dans L'islam Maghrébin, La Rev Af, N 99, Alger, 1955, P197.

-* الإسلام السني: ويقصد به من يتبعون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، للإطلاع ينظر الفصل الخامس: عاميات حول الطرق الصوفية والروابط الارثدكسية من خلال كتاب. - Luis Rinn, Marabouts .52Et Khouans,Etude Sur L'islamEn Algérie , Adolf Gordan, Libraire-Editeur, Alger, 1984, P

[3]-Aboubeker Abedesselam Ben Choaib, Les Marabouts Guérisseur, Rev Af, volume51, N 264-265, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1907, Pp 254-255.

وأما الصداع النصفي، فيختص به ضريح سيدي بوراس، والموجود ضريحه بتلمسان حيث يقوم المريض بشراء رأس خروف، وطهيه في منزله، وأكله، ورمي العظام داخل القبة التي يوجد بها قبر سيدي بوراس، وبعدها يدخل الضريح فيزول الألم، وهنا يوصي مقدم الضريح بألا يدخل أي شخص مباشرة بعد انتهاء زيارة المريض، وإلا فإن الألم سينتقل إليه.أما المرأة العاقر فعليها زيارة سيدي داودي بن ناصر، والأطفال المرضى عليهم زيارة سيدي العنجاصي. كما نجد الأمراض الروحية، والتي يطلب فيها تضحية بحيوان باسم صاحب الضريح، أو إقامة الحضرة، وغيرها من الطقوس، ولا يقتصر التشافي من الأمراض عند هؤلاء الأولياء فقط.[1]

بل هناك العديد من الأضرحة التي نرى فيها مثل هذه الطقوس المنتشرة عبر الوطن تخللت هذه الطقوس مظاهر المساس بذات الإلهية، والكفر، كالتوسل لغير الله؛ أو الذبح بغير اسمه.كما هناك من يتجه إلى بعض شيوخ الزوايا، ويطلبون منه الدعاء مقابل هبة مالية، أو هدية، كما نجد ما يسمونهم بأصحاب البركة، وهم الذين يهبهم الله كرامة استجابة الدعاء فالمريض يشفى من سقمه، والمرأة العاقر تلد أولادا[2].

إستغلت السلطات الفرنسية مثل هؤلاء الصلحاء لما كان لهم من مداخيل، فغالبا ماكان للضريح ما يسمى"بالمقدم" وهو من يقوم على شؤون الضريح أو الزاوية هو من يتلقى الهبات خاصة في المواسم تأخذ السلطات أغلب المداخيل إن لم نقل كلها مقابل بعض الفتاة والسلطة وان كان حيزها ضيقا إلا أنها أسالت لعاب الكثيرين وتقاتلوا عليها في بعض الأحيانا.

4.2-مول الساعة:

مصطلح ظهر مع بداية الاحتلال الفرنسي عند جموع الطرقية وأصحاب الزوايا وهو المخلص الذي سيخرج المسيحيين من البلاد، وأطلق هذا اللقب على الثائر "محمد بن عبد الله" المدعو بومعزة مقدم الزاوية الطيبية[3].

[1]- Aboubeker Abedesselam, Op.Cit, P- P, 254-255.
[2]-Cornailtrumlet, L'algérie Légendaire, Op.Cit, P177.
[3]-Marcel Simian, Les Confréries Islamique En Algérie (Rahmania-Tidjanya), Thèse De Doctorat En Science Politiques Et Economiques, Université De Paris, 1910, P41.

إن الإيمان بالشريف من آل بيت النبي المقدر للحكم بعدل، قد ترسخ في الجزائر منذ القرن السادس مع وصول المهدي الفاطمي؛ فالظاهرة المهدية التي استغلت على مر القرون من قبل السياسيين، والتيارات الدينية التي جردت لاحقا من محتواها الشيعي، وعلى المستوى الشعبي غيرت من مصطلح المهدي إلى أسطورة مولى الساعة، والتي ستتحقق في بيئة ثقافية تؤمن بالأساطير لا محال. وهذا ما مهد له نهاية الحكم العثماني في الجزائر، والذي تميز بحالة ذهنية تتسم بعدم العقلانية، والخضوع للسلطة الممنوحة، وتكاثر الأولياء في جميع أنحاء البلاد.وهذا ما سمح بانتشار البدع، والخرافات، وأصبحت متطرفة في معتقداتها؛ فبعضهم كان يتصرف بعلانية بتشجيع من الحكام لتضمن الهدوء والسكينة.ولكنه سوف يفقد السكان شخصيتهم الحقيقية، ويخفض مستواهم الفكري، والانغماس في عالم خيالي، ورائع لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق الشيخ، والذي يعرف الحقيقة وقادر على تعليمها.[1]

المهدي المنتظر أو أسطورة مول الساعة جاءت انطلاقا من حديث النبي صلى الله عليه وسلم في وله:"لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فه رجلا مني –أو من أهل بيتي –يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملا الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا"[2]، وهو من الأحاديث الصحيحة التي إستغلها شيوخ الزوايا رغبة منهم في تعبئة المقاومة ضد الإستعمار وطرده من أرضهمالتي سلبت منهم كما إستغله غيرهم لبطش بني جلدته والتحكم بهم.

5.2-الصلحاء المزيفون:

من أجل الحصول على حياة سهلة، مليئة بالعطايا والهبات كما هي العادة عند زيارة الصلحاء؛ فإن بعض الدجالين، ودراويش أصحاب الخِرق، وممن ادعوا النسب الشريف، أنهم

[1]-Mahfoud Smati, Les Elites Algériennes Sous La Colonisation, Tome1, Edition Dahlab, Alger, 1998, P.161-160

[2]-أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترميذي، سنن الترميذي، تح: مركز البحوث وتقنية المعلومات، مطبعة دار التاصيل، ط2، ج4، ص438.

أولياء صالحون أو حتى المهدي المنتظر، قد استعملوا السحر، أو بعض أعمال الخفة، لإيهام بعض الجهلة، وسفهاء العقول أنهم أصحاب بركة إلهية؛ فوجدوا من يتبعهم، وقدموا لهم الولاء والطاعة.[1]

إن هذا التنوع في تمثلات الصلحاء لا يعكس فقط تدرجا في الوظائف، بل يبرز أيضا كيف أن المجتمع الجزائري أنتج تصورات مختلفة حول "الولاية"، تتفاعل مع المكان، والزمان، والواقع الاجتماعي، والسياسي.

وهو ما يجعل من دراسة أنواع الصلحاء مدخلا أساسيا لفهم أنماط التدين المحلي، والدور الرمزي، والديني الذي لعبته الزوايا، والأضرحة في تشكيل الوعي الجمعي الجزائري.

3.سلسلة الصلحاء

لم يعرف المجتمع الجزائري عبر الزمن الفرق بين الصلحاء؛ فهم متساوون في نظرهم بإحلال البركات عليهم، وعرفوا باختلاف الكرامات بينهم فقط؛ فهذا صالح شاف، وهذا مرابط يحمي البلاد، ويسهر على حمايتها من خلال تمركز ضريحه فوق أعالي الجبال المطلة على تخوم المدينة وضواحيها، أو الضيعة، والدشرة المدفونين بها.

لكن عند جموع الصوفية اختلفت مراتب الصلحاء حسب اختلاف تعليمهم فلا يصل الى أعلى قمة الصلاح كل من أراد ذلك[2]، فلن يكون الصالح وليا أو غوثا إلا إن تحصل على العلم من كبار العلماء والمتصوفة وأصحاب الطرق، إذ تظهر الطرق الصوفية الأرثدوكسية اختلافا كبيرا بينها وغالبا ما نجدها معادية لبعضها البعض؛ ولكن إذا ما عندنا الى منبعها فكلها تعود الى النبي محمد صلى الله عليه وسلم والذي جاء بكلام الله، والواضح أن الإسلام السني* رغم اختلافها إلا أنها قائمة على أسس موحدة ألا وهي الاستقامة وطاعة الله سبحانه وتعالى، وإن وجدت طريقة لا تقوم على هذه الأسس تعتبر انشقاقا لا يمت للإسلام بصلة.

[1]-Alphonse Certeux Et E. Henry Carnoy, Op.Cit, P95 .
[2]-Alphonse Certeux Et E. Henry Carnoy, Op.Cit, P94.
*–الإسلام السني: مصطلح يتردد كثيرا في الكتابات الفرنسية ويقصد به المذاهب الأربعة السنية.

إن مراتب الصلحاء فيها موحدة تدعى بالسلسلة أو ما يطلق عليه " أهل السلسلة" والتي تعود فيها أعلى رتبة لرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فنجد في أعلى رتبة القطب[1]، ويليه الحراس(النقيب)، والأشراف (النجيب)، والبديلين أو البدائل(البديل)، والرجال الطيبون(الخير)، والأعمدة(العمود)، والعون(الغوث)، أما القطب وهو الذي يعتلي قمة الرتب، ويتوزع هؤلاء على العالم فنجد خمسمائة نقيب بالمغرب وسبعون نجيبا في مصر واربعون بديلا بسوريا وبلاد الشام، اما رجال الخير فهم سبعة ليس لهم مكان ثابت يسافرون حول العالم باستمرار، ونجد الأعمدة أربعة منتواجدين بالاركان الأربعة حول الأرض، حسب الإتجاهات(شرق، غرب، شمال، جنوب)، وأما القطب فهو متواجد بمكة وهو الغوث وهو الذي نلجأ إليه لطلب المعونة[2].

ولكن اللقب ينتقل بعد وفاته الى ماهو اقل درجة منه لذلك فعندما يموت القطب ينتقل اللقب الى النقيب ومن ثم الى الشريف وهكذا فلا يبقى مكان القطب أو الغوث مكة المكرمة بل ينتقل الى مكان إقامة التي يتواجد بها حين انتقال اللقب اليه[3] حتى الكتابات الفرنسية رتبت رجال الله الصاحين حسب أعمالهم وقربهم الى الله سبحانه وتعالى[4].

هذه المراتب تعكس تصورا لهرم روحي يحكم العالم من وراء حجاب، حيث يعمل الصلحاء على ضمان توازن العالم ورفاهية الناس.

تظهر الموروثات الدينية الشعبية في الجزائر – كما في عموم العالم الإسلامي – أن الصلحاء ليسوا جميعا في مرتبة واحدة، بل تنسب إليهم مراتب متفاوتة تعكس تصور الجماعة لعلاقتهم بالقداسة.

فهناك الأولياء الكبار الذين ينظر إليهم باعتبارهم أصحاب كرامات استثنائية، وقدرة على الشفاعة والحماية، وتقام لهم الزوايا الكبرى، وتشد إليهم الرحال.

---

[1]-Alphonse Certeux Et E. Henry Carnoy, Op.Cit, P53.

[2]-Barges Jean Joseph Léandre, Vis Du Célèbre Marabout ҫidi Abou-Médien Autrement Dit Bou-Médin, Librairie Ernest Leroux, Pris.1884, P11.

[3]-Barges, Op.Cit, P3.

[4]-Emil Dermenghem, Le Culte Des Saints Dans L'islam Maghrébin, Rev Af, N 99, 1955, Alger, P197.

وفي مرتبة أدنى، نجد الأولياء المحليين الذين يقتصر تأثيرهم على نطاق القرية أو القبيلة، حيث يشكلون رموزا للانتماء والهوية الجماعية أكثر من كونهم مرجعية دينية شاملة. وبين هذين المستويين تتشكل مراتب وسطى، مثل "أولياء البركة" الذين تنسب إليهم قدرة على جلب الرزق، أو دفع البلاء.

وهكذا تتدرج صورة الولي من شخصية فردية لها سلطة روحية عابرة، إلى رمز اجتماعي يختزن الذاكرة المحلية، وهو ما يجعل دراسة مراتب الصلحاء مدخلا لفهم العلاقة الجدلية بين الدين الشعبي، والبنية الاجتماعية.

ثانيا: مدلول الصلحاء في الفكر الجمعي الجزائري:

إن ظاهرة الصلحاء ليست وليدة التاريخ المعاصر بل عرفتها الإنسانية منذ أقدم عصورها فهي لا ترتبط بالإسلام فحسب، فالقداسة عند بني بالبشر توجد في جميع الديانات السماوية وحتى الوثنية.

1-الولي :

وهو من أسماء الله تعالى: الولي، هو الناصر، وقيل: المتولي لأمور العالم والخلائق، القائم بها. ومن أسمائه عز وجل: الوالي، وهو مالك الأشياء جميعها، المتصرف فيها. قال ابن الأثير: وكأن الولاية تشعر بالتدبير، والقدرة، والفعل، وما لم يجتمع ذلك فيه لن يطلق عليه اسم والي.[1]

كما هو العارف بالله تعالى وصفاته بحسب ما يمكن، المواظب على الطاعات المتجنب للمعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات، والولي من الولاية وهي اصطفاء الله تعالى لعبده، لا يقدر على ضبطها مخلوق من مخلوقات الله[2].

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار النوادر للنشروالتوزيع، سوريا، مج 15، 1912، ص406.

[2]- الشيخ عبد الكريم البرموني، تنقيح روضة الأزهار ومنية السادات الأبرارفي مناقب سيدي عبد السلام الأسمر رضي الله عنه، المكتبة الثقافية بيروت لبنان، د ت ط، ص ص 4-5.

فمن كرامات الولي أن وعده الله بأن لا يخاف ولا يحزن، لقوله تعالى" **:ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**"القرآن الكريم، سورة يونس، الآية 62، عن رواية ورش؛ لأن الخوف ترقب مكروه يحل في المستقبل، وانتظار محبوب يفوت في المستأنف، والولي ابن وقته، ليس له مستقبل، فلا يخاف شيئا. وكذلك لا حزن له، لأن الحزن من حزونة القلب، ومن كان في ضياء الرضا وبرد الموافقة، أنى يكون له حزن.

أما في باب الكرامات، فظهور الكرامات على الأولياء علامة صدق ممن ظهرت عليه في أحواله؛ فمن لم يكن صادقا فظهور مثلها عليه لا يجوز.

وهذا لأن الولاية نوعان: الولاية العامة، والولاية الخاصة؛ فأما العامة فهي لعامة الناس.[1]لقوله عز وجل:"**الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور**"**القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 257، عن رواية ورش.**

والولاية الخاصة مختصة بالواصلين من أرباب السلوك؛ وهي عبارة عن فناء العبد في الحق وبقائه به. والمقصود من هذا أن يتولى العبد عن الدنيا ويبتعد عنها، ويتفرغ لعبادة الله وحده والإقبال عليه، ليصبح بذلك وليا صالحا[2].

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا: إن الله–عز وجل–يقول:" **من أذى لي وليا فقد استحل محاربتي**"والمقصود من هذا– أن الله عز وجل–له أولياء اختصهم بمحبته وولايته وهم ولاة ملكه الذين اصطفاهم، وجعله آية فعله، وخصهم بأنواع الكرامات، وطهرهم من الآفات الطبيعية، وأنقذهم من متابعة أنفسهم حتى صارت همتهم منحصرة به، و ليس لهم انس الا معه[3].

[1]–قاسم غنى، تاريخ التصوف في الإسلام، تر: صادق نشأت، ط1،2017م–1438ه، دار نينوى للدراسات والتوزيع، ص255.

[2]–قاسم غنى، تاريخ التصوف في الإسلام، المرجع السابق، ص255.

[3]– قاسم غنى، تاريخ التصوف في الإسلام، مرجع سابق، ص262.

و جاء في كتاب"René Pettier, Histoire Du Sahara " * أنه لجأ لعدة مؤلفين لمعرفة خصائص" الولي" فكتب النص التالي:يكون المرابط حاضرا في كل مكان وفي جميع الظروف فتدخله محسوس ومرغوب فيه، وقد يكون أحيانا متعسفا. إنه يلبي مختلف الاحتياجات، ويعالج جميع العلل، ويعزز التعهدات حتى أكثرها جرأة. يمنح السعادة للمستحقين، ويرفع من شأن المتواضع فيجعلهم ذوي إيمان قوي، ويحمي المظلومين. كما أنه في المقابل، قادر على إحداث الكوارث والحوادث، والتسبب في الأوبئة، والحكم على الفقراء بالألم الأبدي، وإفشال أفضل التصاميم. وينظر إليه كحكم في المعارك، وقائد للحملات الاستكشافية من مكانه البعيد. إن المرابط القوي – في نظر العامة – يتصرف بلا مبالاة تجاه أمور الله، فهو يرى ويسمع ويعرف كل شيء. ويتجلى عمله في كل زمان ومكان بوسائل خارقة، حتى أن الولي الحقيقي يصور كوسيط للإله الواحد فوق الأرض، منفذ لإرادته، والمسؤول عن مكافأة المتحمسين له، ومعاقبة المتمردين"[2].

إن المقارنة بين ما ورد في النصوص القرآنية والحديث الشريف والشروحات العربية الإسلامية، وبين ما جاءت به الكتابات الفرنسية، تكشف عن تباين عميق في تصور "الولي". فالمصادر الإسلامية تصفه بأنه إنسان عابد، ورع، تقي، متفرغ لعبادة الله وطاعته، بينما نلاحظ أن بعض الكتابات الفرنسية – كما عند René Pettier –قد نسبت للأولياء صفات أقرب إلى الإلهية، دون أن يبين المؤلف أو يشير إلى مصادره التي استند إليها في هذا التصوير. وهذه الصفات التي مجد بها الأولياء تتجاوز ما أجمعت عليه العقيدة الإسلامية، بل تصل إلى ما يمكن اعتباره ضربا من الغلو أو حتى الكفر. ورغم أن تعظيم الولي الصالح ظل حاضرا في المجتمع الجزائري بدرجة كبيرة – وربما إلى اليوم – فإن تصويره كوسيط إلهي أو منحه صفات خارقة على هذا النحو يعد خروجا عن جوهر المفهوم الإسلامي للولاية، وتجاوزا لحدود المعقول

* – روني بواتيي:(1897–1968) وهو مؤرخ ومستكشف وفنان تشكيلي فرنسي وعضو في اكاديمية العلوم الاستعمارية عرف برحلاته الى شمال افريقيا واهتمامه العميق بالصحراء الكبرى، ودفعه هذا الإهتمام لأن يتناولها في أعماله الفكرية والفنية المتعددة. ينظر

–René Pottier, Histoire Du Sahara, Nouvelles Editions Latines, Paris,p 313.

[2]-René Pottier, Histoire Du Sahara, Nouvelles Editions Latines, Paris, 1947, P227

2-المرابط:

جمعها المرابطون أوالمرابطين ويعني: المجتهد في خدمة الله، وهذا الاسم اعطي للذين هم دائمو الحضور في الرباط، وهو نوع من انواع الزوايا[1]، وهم أولئك الذين رابطوا في القلاع وعلى حدود البلاد للمحاربة في سبيل الله[2].

يشير "Jacques Berqu " أن المرابط هو مصطلح شائع من قبل الإثنوغرافيا الكلونيالية* والذي مصدره النوازل، لم يعد يقصد به بالضرورة ذلك المرابط الذي يرابط في الحدود من أجل حرب مقدسة يصد فيها الكافر الغازي عن بلده.وحتى بعد مرور ثلاثة قرون على وجود هذا المصطلح في النوازل، لم يطلق الأمير عبد القادر هذا اللقب لا على نفسه ولا على أتباعه. ولهذا ارتبط المصطلح بالطرق الصوفية أو كما سماهم الفرنسيون "أصحاب الذكر"، الذين ينتشرون في المجتمعات الريفية.

ومع مرور الوقت، أصبح اللقب مؤهلا انتقائيا للمجموعات الصغيرة المتقاربة مع التوجه الصوفي الشعبي، وقد منح لهذه الفئة دور ذو ديناميكية اقتصادية واجتماعية، لكنها لم تبلغ المكانة التي احتلها الشرفة. وهذا يعني أن هذه المجموعة الواسعة لم تكن تحتفظ بوضوح اجتماعي مميز[4].

والدرجة الأدنى نجدها لذلك المرابط البائس، الذي يقيم في مصلى أو كوخ بالقرب من ضريح الولي الصالح، فلا يكون الشخص مرابطا، إلا عن طريق الولادة، ولا يتم اكتساب هذا

---

[1]- E. Mercier, Notice Sure Les Almoravide EtLes Almohades, Rev Af, N12 ; 1886, P220.
[2]- P.Muraty, Le Maraboutisme Au La Naissance D'une Famille Ethnique Dans La Région De Tébessa, Revue Af, N80, 1937, P263.

*-الاثنوغرافية الكلونيالية: وهي معرفة خصوصيات المجتمعات المستعمرة (عاداتها، تقاليدها، تنظيمها الإجتماعي) لكن الهدف الضمني كان في الغالب خدمة الإدارة الإستعمارية وتسهيل السيطرة السياسية والإقتصادية. ينظر

-claude Blanckaert, l'ethnographie coloniale, Revue des science humaines, n1,1999, pp 83-95.
[4]-Jacques Berque, L'intérieur Du Maghreb (Xv e-Xix e Siécle), Edition Gallimard, France, 1978, P53.

الحق أبدا على مر الزمن، مهما كان الشخص فاضلا[1]، ولربما سيحظى بالتبجيل وبالقداسة وبعد موته سيشيد له ضريح ويخلف نسلا من المرابطين إذا ما اتبع خلفه من بعده نفس نهجه، لكن أثناء حياته لن يحصل هو ذاته على اللقب الذي سيورثه لخلفه؛ وعلى عكس ذلك فإن ابن المرابطي يمكن أن يكون جاهلا أو كافرا أو فاحشا، وبالرغم م أن ذلك سيضعه موضع احتقار للجميع، إلا أنه سيضل مرابطيا وسينقل هذا اللقب إلى خلفه من بعده[2] .

في حين تم الإشادة بالعديد من مرابطي الإسلام السني، الذين لم يتبعوا طريقة معينة بالرغم من بنائهم لزاوية، كانوا علماء سعوا الى نشر العلم والمعرفة للذين من حولهم ارتقوا الى مراتب فاضلة ببنائهم للمدارس وإشرافهم عليها؛ درسوا فيها علوم الدين والفلك وعلم النجوم والرياضيات وحفظ فيها الأطفال القرآن والمبادئ الأساسية للدين الإسلامي والتي هي واجبة على كل مسلم[4].

شكلت المكانة المرابطية، ارستقراطية سياسية وثيوقراطية، أحد امتيازاتها الأساسية هو امتلاك العلم، والذي غالبا ما يتفرد به المرابط، وبذلك فإن هذه الطبقة تمتلك صنف الثقافة العالية بشكل مضاعف وقطعي: إنه إمتياز المكانة والعلم[5].

أرجعت الكتابات الفرنسية أن التكوينات الإجتماعية والقبلية كلها تعود للمرابط الولي والذي يقيم في مكان معين فيلتف حوله الناس فيشكلون الزوايا القرى المدن والتجمعات الكبرى[6].

3-الشريف:

[1]-Luis Rinn, Marabouts, Op.Cit, P 15

[2]- أهانوتو وأ التورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، دار الامل للطباعة والنشر والتوزيع، 2013، المدينة الجديدة تيزي وزو، ط1، ص85.

[4]-John Roney, Op.Cit, P34.

[5]-Mouloud Mammeri, Culture Savent Et Culture Vécue En Algérie, **Libyca**, Centre De Recherches Anthropologiques Préhistoriques Et Ethnographiques, Tome 23, 1975, Alger, P213.

[6]- P.Muraty, Le Maraboutisme Au La Naissance D'une Famille Ethnique Dans La Région De Tébessa, Rev Af, N80, 1937, P270.

من الشرف وهو الحسب منالآباء، والجمع أشراف، والشرف والمجد لا يكونان إلا بالآباء، ويقال رجل شريف ماجد له آباء متقدمون في الشرف، ويقال شرف في الحسب والكرم يكونان وإن لم يكن له آباء لهم شرف[1].

أما الشرفة وهم جميع المسلمين الذين يستطيعون أن يثبتوا أنهم ينحدرون من نسل السيدة فاطمة–رضي الله عنها–ابنة النبي محمد– صلى الله عليه وسلم– وزوجة علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–فهو يعتبر من الشرفة –النبلاء في المجتمع العربي– والذين يحضون بتقدير كبير، وإحترام و يمنح لهم لقب "سيدي"أي السيد[2].

4–القطب:

وهو المرتبة الأولى في مرات الصوفية، وهو ذلك الشخص المختار ليكون الولي الصالح بامتياز، ويحتل قمة المحور الذييدور حوله الجنس البشريبكل مخلوقاته وعظمته ومزاياه ورذائله وعلومه وكل صغيرة منه وكبيرة كانت، ليحقق تطوره الأبدي الثابتإنه القطب الذييستجيب لروح الحياة العليا، ولأنهيملك بين يديه ميزان انبثاق الحياة[3].

5–الغوث:

يعتبر الغوث أحد مراتب الأولياء عند الصوفية، حيث يأتي في المرتبة الثانية، بعد القطب ويليه الأوتاد والأبدال والنقباء والنجباء[4]، فالغوث هوالكائن الوحيد الفربد من نوعه ويحتل الدرجات الأعلى في الترتيب الصوفي، وهذا ما دل عليه اسمه، فهو المخلص الأعلى للمصابين ومنقذهم.

---

[1]- ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، مج 9، دار البصائر بيروت، د ت ط، ص169.

[2]- Albert Devoulx, Note Historique Sur Les Mosquée Et Autres Edifices Religieux D'alger(LesChorfa), Rev Af, N6, P 203.

[3]-Brosslar , Mausolée DuCheikh El-Ouali Sidi Boumediene, La Rev-Af,N12 ,1859,P14

[4]- عرفة عبد الرحمان أحمد عبد الرحمان النادي، معالم الطريق الصوفي عند أبي بكر الكتاني، دار الهدى للطباعة، القاهرة، 2015م، ص1108.

أما إذا ما اردنا تفسيرا أقرب لأصل كلمة "غاث" فهو المطر الذي ينتشر في كل الطبيعة بجمع أشكاله ليعطيها الحياة مثلما تعطي الروح للجسم الحركة فهو وبدون منازع أكبر وأقوى شخص على الوجود[1].

إن هذه المصطلحات كما سبق وذكرنا في السلسلة، مصطلحات لم يسبق تداولها في المجتمع الجزائري، إذ يعتبر الغوث هو نفسه القطب وهو المخلص، والمنقذ لديهم وكلهم أولياء صالحين من شانهم حماية كل من يستنجد بهم.

6-مولاي:

وكلمة مولاي التي هنا مولى مشتقة من الجذر اللغوي نفسه للولي لكن لها معنى مختلف تماما، ففي شمال افريقيا المقصود بها "السيد والمالك" ولكن فالمغرب يعد اسما أو لقبا تشريفيا يعطى للشرفاء، وهو لغير الصلحاء الأولياء ذوي البركة، مثل مولاي عبد السلام بن مشيش ومولاي طيب ومولاي إدريس وقد يكون صاحب هذا اللقب أميرا أو ملكا[2].

7-الشيخ:

ويعرف بالعامية بالمقدم[3]، ويسمى أيضا خليفة الورد أو شيخ الطريقة ومولى الطريقة وهو حامل للبركة التي عرفها بعضهم بأنها الكثرة والعندية والقناعة المعنوية.وذهب بعضهم إلى أن الشيخ قد يكون من الجن، له بركة[4].

تكون إقامة الشيخ بالقرب من ضريح الولي الصالح، كا يعتبر الشيخ ظل الله في الأرض والنائب عنه في نظر البعض وعلى الخوان (الأتباع) الطاعة لأن الله يحكم عن طريق الشيخ

---

[1]-Brosslar ،Op.Cit، P14.

[2]-إدموند دوتي، الصلحاء مدونات عن الاسلام المغاربي، مرجع سابق، ص58.

[3]-Eduard De Neveu, Les Khouan Ordres Religieux Chez Les Musulman De L'algérie, Imp De A. Guyot, Imprimeur Du Roi,Deuxième Edition, Paris, 1846, P16.

[4]-ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954م، الجزء الرابع، دار الغرب الإسلامي، 1998م، ط1، ص12.

وتظهر العقيدة في الشيخ في أشكال ختلفة، في القباب والأضرحة والخلوات والزوايا والأحجار التي تقام أو تنصب إيمانا به، وتنسكا بتعاليه حقيقة كانت او خرافة[1].

8-لالة:

هو لقب تشريفي أنثوي أمازيغي الأصل، يستخدم في الغرب الجزائري والمغرب الأقصى للدلالة على النساء ذوات المكانة الاتماعية او الروحية الرفيعة.وقد استخدمه المستعمرون الفرنسيون في تقاريريهم وكتاباتهم لوصف الوليات المحليات او نساء الزوايا ذات المكانة المقدسة، سواء كن معروفات بالعلم أو الكرامة أو النسب الشريف.

وغالبا ما كانت تطلق التسمية في السياقات الصوفية على المرأة التي تحظى بمقام ولية صالحة، ويشاد ببركتها في الذاكرة الجماعية المحلية[2]. وقد اشار المستشرق الفرنسي "Octave Dupont"* الى أن لقب لالة يرافق اسماء ينسب لهن الفضل في شفاء المرضى او كرامات متوارثة، كما هو الحال في تسميات مثل "لالة ميمونة" و"لالة ستي" و"لالة زينب "[4].

لم يقتصر مدلول الصلحاء في الفكر الجمعي الجزائري على ما ذكرنا فقط فعندما نعود الى "إدموند دوتي" في كتابه " الصلحاء" نجده يتطرق الى العديد من التسميات منها: المجدوب أو المجذوب أو البهلول والتي تعني الأحمق والمخفي والدراويش الذين يرتادون الزوايا ويلبسون الألبسة الرثة والتي بدورها تدل على الصلحاء لكنها تسميات تطلق على من هم في آخر سلم الصلحاء

---

[1]-ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954م، الجزء الرابع، دار الغرب الإسلامي، 1998م، ط1، ص12.

[2]- Pierre Bourdieu, Esquise d'une théorie de la pratique, Parie: Éditions de Minuit, 1972, p 185.

*-اوكتاف ديبون(Octave Depont): من ابرز الشخصيات الادارية الفرنسية، التي ساهمت في تشكيل التصور الاستعماري حول الطرق الصوفية والصلحاء في الجزائر اواخر القرن التاسع عشر. وقد ارتبط اسمه ارتباطا وثيقا بكتاب الطرق الدينية الاسلامية الذي الفه بشراكة كزافيي كبولانين حيث قدم فيه تصنيفا وضيفيا للزوايا والصوفية باعتبارها بنى اجتماعية يمكن توضيفها لخدمة الادارة الاستعمارية. ينظر

- Octave Depontet Xavier Copolani، les confréries religieuses musulmanes، Alger: jourdan، p 213.

[4]-Ibid, p 213.

1.ظاهرة الصلحاء:

تعود جذورها في المغرب للرباط والتي ظهرت مع الفتح الإسلامي ويقصد بالرباط المكان الذي يلتقي فيه المجاهدون والصالحون من المؤمنين لعبادة الله وذكره والتفقه في أمور الدين وهذا كان بعد القرن 5هـ فهي الأساس الأول لقيام الزوايا في بلاد المغرب[1].

ارتبطت ظاهرة الصلحاء بالجزائر بالطرق الصوفية[2] والتي تميزت بما يسمى بالمرابطية والتي تمنح للمرابط (الولي الصالح) في حياته كما في مماته البركة، أو القوة "التصرف"[3]حيث نشأت بجوار الولي الصالح الذي عرفت باسمه، وتعتمد في شرعيتها على مجموعة من الأولياء الصالحين لهم اتصال مباشر بالرسول صلى الله عليه وسلم يتلقون منه أذكار وأوراد الطريقة[4].

ويبدو أن التصوف لم ينتشر في بلاد المغرب، إلا في القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي وهي الفترة التي تصادف المرحلة الثالثة من مراحل حياة الحركة الصوفية، التي انقسم فيها التصوف الى التصوف نظري" عقلي"، وتصوف عملي تجسده الطرق الصوفية، وذلك نتيجة لأوضاع، والأسباب تاريخية لم تسمح بظهوره في نفس الفترة التي ظهر فيها في المشرق وهذا ربما يعود الى سيطرة المذهب الخارجي على رقعة كبيرة في المنطقة[5].

اول مذهب كلامي فقهي أعلن عداءه للتصوف ثم المذهب الإسماعيلي الذي وقف موقفا عدائيا من التصوف، بسبب الاختلاف حول فكرة الولاية التي يحصرها هذا المذهب في الأئمة المعصومين من آل البيت، إلا ان المرابطين رغم كونهم من أتباع المذهب المالكي السني، إلا

---

[1]–عدة جميلة، مرجع سابق، ص487.

[2]–محمد مكحلي، الأولياء والصلحاء في الجزائر الظاهرة والجذور، دار القدس العربي، وهران،2020، ص74.

[3]-G.-C Anwati Et Louis Gardet, Mystique Musulmane Aspects Et Tendances Et Techniques, Librairie Philosophique J. Vrin, Paris, 1976, P70

[4]–محمد مكحلي، الأولياء، مرجع سابق، ص74.

[5]–خالد محمد، الزوايا الطرقية، مجلة ليبيكا، المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزء35، الجزائر، 1998م، ص ص 67–68.

أنهم رفضوا التصوف ووقفوا منه موقف عداء، حتى وصل بهم الأمر إلى حد إحراق كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبو حامد الغزالي، بطلب من السلطان علي بن يوسف بن تاشفين، بإيعاز من الفقهاء الذين أحكموا قبضتهم على الدولة منذ حكم يوسف بن تاشفين، و لهذا فإننا نجد أوائل المتصوفين المغاربة؛ كانوا يتجهونالى المشرق و يقضون حياتهم هناك، مثل أبو الخير الأقطع التيناتي المتوفي في 341هـ/951م، و أبو عثمان سعيد بن سلام المغربي المتوفي 371هـ/980م و لم يبدأ الاهتمام بعلم التصوف و انتشاره في المغرب إلا أثناء الحكم الموحدي ، حيث أن المهدي بن تومرت المتوفي 524هـ/1129م الذي تتلمذ على يد الإمام الغزالي وحمل أفكاره ونشرها في المغرب، حيث بدأ في عصره ظهور جيل من المتصوفين الكبار، كإبن اللحوي1119/513م، وأبي يعزبي المغرب شيخ أبي مدين شعيب الذي يعد بحق ناقل تعاليم الصوفية و ناشرها في بلاد المغرب[1].

تبلغ الطرق الدينية ذات النفوذ في الجزائر العدد سبعة وهي تحمل أسماء مؤسسيها باستثناء واحدة:

- سيدي عبد القادر الجيلاني: صاحب الطريقة القادرية.
- سيدي مولاي طيب صاحب الطريقة الطيبية
- سيدي محمد بن عيسى الذي يعرف أتباعه باسم عيساوة.
- سيدي محمد بن عبد الرحمان بوقبرين صاحب الطريقة الرحمانية
- سيدي احمد التيجاني صاحب الطريقة التيجنية
- سيدي يوسف الهاملي لصاحبها سيدي بلقاسم الهاملي.
- وأخيرا طريقة الدرقاوة التي يبدو أنها تستمد اسمها من درقة، بالمغرب.

[1]–خالد محمد، الزوايا الطرقية، مجلة ليبيكا، المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، ال جزء35، الجزائر، 1998م، ص ص 67-68.

تعرف الطرق الدينية نفسها بالبساطة لكنها شديدة التماسك، كل واحد منها يأتمر بأمر قائد أعلى يسمى خليفة، إنه ممثل الولي المؤسس وريث سلطاته الروحية؛ وهو يمارس سلطته المطلقة وذلك عبر عدد غير محدد من الشيوخ، والمقدمين المكلفين تحت إمرته المباشرة بتسيير الدوائر التي تنقسم إليها البلاد، وذلك تبعا لانتشار الطريقة[1].

يقوم المقدم بالإنابة عن الخليفة(الشيخ) وتقديم "الورد"* للمريدين، حيث يقسم المريدون أنفسهم إلى عدة أقسام:

فهناك الوكيل، والذي يحتل مرتبة القائم على المصالح المالية للزاوية، كما يقوم بعملية مراسلة الكفار إن كانت مصالح النظام على المحك، فهو يحتل موقعا هاما إلى جانب "المقدم" نظرا إلى وظائفه.والعقيل، وهو القائم على خدمة الضريح، والجدير بالذكر أن هذه الرتبة . ألا وهي العقيل لا نجدها إلا في الزوايا الكبرى، والتي تضم عددا كبيرا من المريدين، ففي الزوايا الصغيرة نجد أن "المقدم" يقوم بالعديد من الوظائف.

إضافة إلى هذه الوظائف، نجد وظائف أخرى يقوم بها المريدون مثل: الشاوش، الركاب، النقيب، و"الطلبة" (بضم الطاء)، أي الطلبة الذين جاؤوا لدراسة القرآن في الزاوية، والذين سيتوزعون عبر القبائل ليصبحوا لاحقا معلمين، أو أطباء، أو كتابا، وهكذا سيكونون لبعض الطرق الدينية أدوات دعاية ممتازة، أما أسفل هذا الهرم السلطوي داخل هذه الطريقة الدينية، فهناك مجموعة من التابعين يطلق عليهم اسم الدراويش.[3]

تنتقل السلطة الروحية والزمنية من شيخ لآخر وراثيا، أي أن الأقرب للشيخ من أولاده سيرثه مهما كانت مؤهلاته أو صفاته او عيوبه أو مزاياه، لأن البركة الإلهية تنتقل من جيل

---

[1]–أهانوتو وأ التورنو، مصدر سابق، ص100.

*–الورد: ويقصد به مجموعة الأذكار أو الأدعية التي يلتزم بها المريد بشكل يومي =، في أوقات محددة صباحا أو مساءا بهدف تهذيب النفس وتزكيتها. ينظر:

–الجرجاني، تعريفات، تح: ابراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتب العربي، 1985، ص56.

[3]-Marcel Simian, Op.Cit Pp17 .18.19

الى جيل بقدرة الله المطلقة، وهذا ما يطبق خاصة في الزوايا التي تنتمي الى الأصل الشريف كالقادرية، والطيبية على سبيل المثال[1].

تختلف القاعدة في زوايا أخرى، فإن المشيخة لمن يستحقها؛ فصاحبها يكون حافظا لكتاب الله، وعارفا بسنته، وهذا يكون إما إجماعا أو يعين من طرف "الولي" أو "الشيخ" خلال حياته. وبالتالي، يعهدون إلى رجل من اختيارهم بالإرث الروحي الذي تلقوه هم أنفسهم من الشيخ السابق.

يجمع الشيخ "مقدم الزاوية" وكافة المريدين من ذوي الوظائف في جمعية عمومية تدعى "الحضرة" (إجتماع) ويخضع اختياره لموافقتهم، والتي تعطى دائما بالإجماع، ليشكل الشيخ هذا التعيين على ورقة، والتي ستشكل عند وفاته دليلا على خلافته بشكل لا رجوع فيه، وكي لا تحدث فتنة مثلما حدثت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وحتى لا تنقسم الزاوية إلى عدة تجمعات صغيرة.وهذا ما حدث لسيدي أحمد التيجاني حيث عين من يخلفه بعد وفاته، بعكس ما فعله سيدي محمد بن عبد الرحمان "بوقبرين" حيث عين من يخلفه بدون استشارة أحد، مع إعطائه التعيين والذي غالبا ما يكون مختوما بـ"الختم المقدس" من السلسلة، والذي يدعى بالإجازة*[2].

أما في العهد العثماني، شاعت الألقاب وادعاء الشرف بكثرة، حتى إنه لا يكاد يوجد عالم أو صالح قد اشتهر أمره بين الناس إلا واسمه مقرون بـ"الشريف" أو "الحسني"، حتى أن بعضهم كان يدعي أنه من شرفاء مكناس أو فاس، أو من شرفاء الساقية الحمراء. وقد استوى في هذا الادعاء علماء وصلحاء الحواضر والبوادي على حد سواء.وكان ذلك من أجل رفع المكانة والتميز، وانتقل هذا الأمر إلى بعض الباشاوات بادعائهم الشرف والنسب الصالح بالرغم من أنهم لا يمتون له بأي صلة، أمثال: أحمد البوني، ومحمد بكداش، ويعود هذا الظهور إلى

[1]-Marcel Simian, Op. Cit, P20.

*الإجازة: شهادة تخرج

[2]-Marcel Simian, Op. Cit, P20.

أوائل القرن 11هـ/17م، حيث بنى لهم الباشا محمد بكداش زاوية لهم، وهذا ما يفسر – في الغالب – نسبهم إليه.[1]

من أبرز ميزات العهد العثماني في الجزائر انتشار الطرق الصوفية، وكثرة الزوايا المخصصة لها في كل من المدن والأرياف، في الجبال الشاهقة والصحاري القاحلة. عاش معظم المتصوفة يبثون عقائدهم، ويلقنون أتباعهم الأذكار والأوراد، مبتعدين عن صخب الدنيا، مؤثرين العزلة والعبادة.[2]

يتبرع الناس لمثل هذه الزوايا، فتكبر وتثرى، ويتضاعف قصادها ومريدوها، ويصبح اسم المتصوف (المرابط) علما على المكان، ويصبح المكان يدعى بين الناس: "زاوية سيدي فلان" أو "رباط سيدي فلان"، فإذا مات صاحبها، أي "سيدي فلان"، يدفن في الزاوية أو في الرباط ويصير الضريح علامة على الزاوية، ويرث أولاده وأحفاده مكانة الولي الصالح المدفون في الضريح، وتزداد قداسة الزاوية أو الرباط بين أهل الناحية، وتنتشر سمعتها ونفوذها إلى نواح أخرى بعيدة، وهكذا[3].

يظهر في شمال افريقيا عامة أن ظاهرة الصلحاء تمثل أكثر من مجرد بعد ديني، فهي انعكاس لحاجة المجتمع المحلي الى شخصيات رمزية تجمع بين الدين والواقع، وقد لاحظت من خلال دراستي أن هذه الظاهرة تأقلمت مع مختلف الظروف؛ وتغيرت دلالاتها حسب السياق مما يدل على عمق ارتباطها بالثقافة المحلية وطبيعة الحياة الاجتماعية.

2.الطرق الصوفية في الجزائر:

إنتشرت طرق صوفية عديدة في الجزائر، واعتبرها الفرنسيون خطرايهدد توسعهم فهذه الطرق كانت حجرا عثر أمام سياساتهم الاستعمارية الدينة والإستيطانية.

---

[1]–أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص241.

[2]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص262.

[3]–نفسه، ص263.

1.2-الطريقة القادرية:

أقدم الطرق الموجودة في الجزائر مؤسسها هو سيدي عبد القادر الجيلاني، أو كما يدعونه بالغرب الجزائري مولاي عبد القادر، حب هذا الولي عند العامة منتشر أكثر من طريقته يستعمله العامة من الناس في التضرع فنجد المتسول يقول أعطيني في وجه مولاي عبد القادر والمرأة تهتف به عند المخاص ساعدني يا مولاي عبد القادر، وحتى العامة يستجدون به عند قيامهم من على الارض "آه يا سيدي عبد القادر" كما يلقب ايضا بسلطان الصالحين أو سلطان الأولياء[1].

تتميز الطريقة القادرية في بنيتها بلامركزية، التي تمنح المقدمات الاستقلالية في الإدارة و التنظيم، فالضريح الأصلي للولي الصالح سيدي عبد القادر الجيلاني ببغداد ويمر ممثل الطريقة القادرية من وقت لآخر بين قيادات الطريقة، للحفاظ على الروابط بينهم وبين الطريقة الام[2].

يحافظ مقدم القادرية على السلم والحياد، كما فعل مقدم الطريقة شيخ محي الدين الذي عرض عليه في العديد من المرات التمرد على باي وهران، فهذه الطريقة مثلت السلم والحرب والإصلاح في آن واحد[3].

عقائد الطريقة القادرية مستوحاة من الأفكار الأخلاقية، والفلسفية المشتركة بين جميع الطوائف الدينية[4]، وهذاما يؤكدها الكولونيل "كورناي ترومليي" "Cornailtrumlet"في كتابه"L'AlgérieLégendaire" من خلال ادراجه درس للتعليم المسيحي موجه للمبتدئين يبين فيه تشابه العقيدة المسيحية والطريقة القادرية[5]، خاصة وان طريقة وفاة سيدنا عيسى عليه السلام في العقيدة المسيحية وسيدي عبد القادر تتشابه في تحمل الآلام لأجل غيرهم فسيدي

[1]-Edoird De Neveu, Les Khouan Ordres Religieux Chez Les Musulman De L'algérie, Op.Cit, P24.
[2]-Mahfoud, Op.Cit, P171.
[3]- Mahfoud, Op.Cit, P172.
[4]-Cornailtrumlet, L'algérie Légendaire, Op.Cit, P181.
[5]-للإطلاع على درس التعليم المسيحي للمبتدئين ينظر:
-Cornail Trumlet، L'algérie Légendaire، Op, Cit,P182 .

عبد القادر تحمل 285 ألف ألم مختلفا حتى يطهر أتباعه، وبقي يتألم بهذه الآلام لأكثر من أربعون يوما،يمكن أن تكون أقل وهذا مالا يمكن لشخص عادي تحمله وقبل ان يموت تحصل على رتبة القطب؛والتي تعد أعلى رتب الصلحاء عند الله وأما جسده الذي كان مليئا بالعاهات فقد تغير كليا، وأخذت الملائكة روحه الى السماء الرابعة، ولهذا فإن سيدي عبد القادر في كل مكان يرى ويسمع كل شيئ، دعواته مجابة من قبل الكل سواء كان مسيحيا او يهوديا أو مسلما، أما مريدوه فلهم حماية خاصة من قبله[1].

تمتلك أغلب القبائل مقاما لسيدي عبد القادر الجيلاني، وبها تؤكد عبر مقامات الولي الصالح عن تمسكها وتواصلها بالأمة الإسلامية، فالصلحاء المحليين لا وجود لهم إلا بجانب سلطان الأولياء عبد القادر الجيلاني[2]، وهذا ما يفسر العدد المقامات الذي يخصص لسيدي عبد القادر الجيلاني في وهران وحدها (أكثر من مأتى مسجد ومقبرة وقبة موضوعة)[3] وقسنطينة، والجنوب الجزائري وبمنطقة الرويسات وورقلة وصولا الى منطقة التوارق بأقصى الجنوب الجزائري[4].

2.2 الطريقة العيساوية:

تعد الطريقة العيساوية أحد فروع الطريقة القادرية، والأكثر إنتشارا بالمغرب اسسها سيدي محمد بن عيسى، بمدينة مكناس اين يوجد المجلس الأعلى للطريقة حاليا، وتعد ثالث أكبر الطرق المنتشرة في الجزائر، حيث قسمت الطريقة بعد إنتشارها سنة 1890م الى ثلاثة فروع:

الأول والأهم كان فرع الجزائر (دوار وزرة، بالقرب من برواقية والبليدة) والثاني كان يقع في ولاية وهران (وضم منطقة الرمشي، ندرومة، تلمسان). والثالث كان يقع بولاية

[1]-Edoird De Neveu, Les Khouan Ordres Religieux Chez Les Musulman De L'algérie, Op.Cit, P25.

[2]-سلطانة عابد، التراتبية الاجتماعية ببايلك الغرب وأثرها على مقاومة الأمير عبد القادر(1832-1847) مقاربة منوغرافية لمجتمع الخلافة الشرقية (آغاليكا مجاهر، قايدةفليتة، آغاليك الشرق أنموذجا)، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية بجامعة وهران، قسم التاريخ وعلم الآثار، 2010م/2011م، ص204.

[3]-CornailTrumlet, L'algérie Légendaire, Op.Cit, P175.

[4]-René Pottier, Histoire Du Sahara, Op.Cit, P219.

قسنطينة(عنابة، بجاية ، قسنطينة أقبو، سوق أهراس) وضم كل فرع أكثر من أربعة آلاف– 4000– من الموالين للطريقة، إعتمدت الطريقة على ممارسات تضع المنتسبين في غيبوبة "هالة" عن طريق الجدب ولبس ملابس سوداء، يأكلون الزواحف حية والعقارب والزجاج ويرقصون رقصة النشوة بالأفاعي والتي نهى عنها مؤسسها، ويضعون فوق رؤوسهم خصلة من الشعر الأبيض؛ يتميزون بالزهد عن الأموال، وحب الجار والدفاع عن المظلوم[1]، وفيما يخص ممارسات العيساوة بأكل الحيوانات نيئة حتى إن "إيدموند دزتي" وصف هذا الفعل بالمنحرف والمثير للاشمئزاز وبعيد كل البعد أن تكون تصرفاتهم تصرفات إنسانية[2].

كما يرى"René Pottier أنها لا تستوحي أفكارها من القادرية بل تدعي ذلك فقط وأن أفكارها منحرفة تماما الى ما أوصى به سيدي عبد القادر الجيلاني، حيث نفى مقدم الزاوية القادرية سنة 1886م أن تكون هذه الطريقة تابعة لهم[3].

3.2الطريقة العمارية:

تعتبر الطريقة العمارية أحد فروع الطريقة القادرية، أسسها سيدي عمار بوسنة* ، اعتمدت هي الاخرى ممارسات النشوة مثل الطريقة القادرية كالجدب والرقص بالقفز المتواصل انتشرت بنواحي قسنطينة وعنابة والعاصمة وبلاد القبائل والمغرب الأقصى، بعد وفاته سيدي عمار بوسنة خلفه الحاج امبارك المغربي البخاري، سليل أحد الحراس السود للسطان المغربي مولاي

[1]- P.J André ,Confréries Religieuses Musulmanes, Edition La Maison Des Livres, Alger ,P217.
[2]-Edmond Douté, Les Aïssâoua De Tlemcen, Imprimerie Matin Frères, France,1900, P13.
[3]-René Pottier, Histoire Du Sahara, Op.Cit, P219.

*–سيدي عمار بوسنة المدعو" صاحب الكرامات"، ولد حوالي 1712م بواد الزناتي بقسنطينة، ينتمي لعائلة ينتهي نسبها الى الولي الصالح سيدي عبد القادر الجيلاني.ومنذ صغره كان موضع احترام وتقوى، بسبب نبوءة تعلن أنه يوما ما سيكون أحد الدعاة الكبار لتعاليم سيدي عبد القادر الجيلاني، عاش حياة الزهد والوحدة، ومن ثم انطلق ليعيش حياة التصوف الكامل عبر تعاليم القادرية، يقال أنه له العديد من الكرمات، وجمع حوله العديد من الفقراء، يتواجد ضريحه في بوحمام، بالقرب من قبيلة بني قايد، بلدية النشمية، وتم بناء زاوية تحيط بالضريح. ينظر:

اسماعيل، عمل على تماسك أواصر هذه الطريقة عن طريق إعلانه خادما ثم مقدما للطريقة لها سنة 1882م من طرف فرنسا، لينقل الزاوية العمارية الى منطقة عين الدفلى؛ لتنتشر لاحقا الى بسكرة وسطيف وسوق أهراس وتبسة وأقبو وأم البواقي والمسيلة والجلفة والأغواط وسيدي عيسى والبليدة ووهران وتلمسان، ليصل عدد مريديها الى حوالي 4000، أربعة آلاف مريد[1].

4.2طريقة كنتة:

تأسست هي الاخرى أحد فروع القادرية في القرن 16م في قبيلة تحمل الإسم نفسه تتمركز بين توات وتمبكتو، اسسها الشيخ عمر بن سيدي أحمدالبكاي من قبيلة الوالتا أو الولاتا أوولطة والذي يعتبر سليل الفاتح عقبة بن نافع، أنتشرت تعاليم هذه الطريقة تحت إسم البكاية أو المختارية تخليدا لأحد أجداد قبيلة كنتة، الشيخ المختار الكنتي عرفت ببميول معادية للأجانب، توفي مؤسسها سنة 1553م[2].

5.2-الطريقة الفاضلية أو العينية:

مؤسسها هو سيدي محمد الفاضل الشنقيطي، من قبيلة أهل طال مختار غلامة او قلامة بالحدود الموريتانية، هو الوريث الروحي للشيخ البكاي، أشتهر عبر أرجاء غرب الصحراء بعلمه ومزاياه، أسس طرقته التي تحمل إسمه" الفاضلية" توفي سنة 1870م دفن بمنطقة الصيادة بولطة أوولتة، خلفة إبنه الشهير بالشيخ ماء العينين وهو عالم دين وكتب عدة كتب في العقيدة والذي إستقر بالساقية الحمراء بعد أن حج مرتين، وقام بدعاية لا هوادة فيها ضد الفرنسيين وقاد الثورة ضدهم في موريتانيا سنة 1908م وتوفي سنة 1910م عرف أتباعه بالعينيين[3].

6.2-الطريقة الشاذلية:

يعتبر سيدي بومدين شعيب مؤسس الطريقة ومعلمها وعبد السلام بن مشيش وحسن الشاذلي(591هـ-1195م/665هـ-1259م) والمرسي أبو العباس المتوفي سنة(1288م) هم

[1]- P.J André ,Confréries Religieuses Musulmanes, Op.Cit, P217.
[2]-P.J André, P223.
[3]- P.J André ,Op.Cit, P223.

أساس ومشعل الطريقة، إذ أخذ إسم الطريقة من إسم سيدي حسن الشاذلي وسميت بالشاذلية[1] والتي عرفت بعدم إنشاء زوايا أو جوامع من أجل تجمع مريديها[2]، تفرعت منها عدة طرق نذكر منها:

7.2-الطريقة الجازولية:

مؤسسها أبو عبد الله الجازولي (870هـ-1465م) في المغرب الأقصى* أسس طريقته من دون معالم واضحة، يفتقر أتباعه الى التماسك لذلك فهم يعيشون متفرقين[4].

حسب"Jacque Brque " تميزت هذه الطريقة بالنزعة الاصلاحية والروحية، واعتمادها على الذكر الجماعي وقراءة كتاب دلائل الخيرات الذي ألفه الجازولي فصار من أشهر كتب الأوراد في العالم الاسلامي لعب الطريقة دورا مهما في نشر الاسلام في المغرب وافريقيا جنوب الصحراء، كما ارتبطت بالحركات الجهادية ضد القوى الأجنبيةواتشرت تعاليمها في الزوايا التي

[1]-Djamil Aïssani,Mille Ans De Pensée Soufie En Kabylie(Xi^{E}-Xxi^{E} Siècles) ,**Libyca**, Mémoire Du Centre National De Recherches Préhistoriques Et Anthropologiques Et Historiques, Nouvelle Série N^{o}1, 2020, Alger, P56

[2]-G.-C Anwati Et Louis Gardet, Mystique Musulmane Aspects Et Tendances Et Techniques, Librairie Philosophique J. Vrin, Paris, 1976, P70

*-أبو عبد الله الجازولي: وهو الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن أبو بكر بن سليمان الحاج الجازولي، ولد في تاريخ غير محدد في الأطلس الغربي، في قبيلة البربر عيدة او سملال والتي كانت جزءا من اتحاد اولف من ايغزولن، وبالرغم من كونه بربريا خالصا، إلا ان التقاليد تجعله ينحدر من الجعفر شقيق او قريب مولاي إدريس.

درس الجازولي في فاس حيث تلقى تعليم الشرفة الأدارسة، التابعين للطريقة الشاذلية، عاش عشرون سنة بمكة والقاهرة ثم إستقر بأسفي، حيث كون العديد من التابعين، ليطرد بعدها من قبل السلطان المريني ليلجا الى آفوغال ليموت مسموما بها اثناء ادائه للصلاة سنة 1465م، ليصبح جسده لاحقا محل نزاع بين القبائل و يدفن لاحقا بمراكش بالقرب من مكان يدعى برياض العروس من مؤلفاته: دليل الخيرات، أفضل الحجج في مدح الرسول للمزيد ينظر:

-P.J André, Op.Cit، P229

[4]- P.J André, Op.Cit, P227.

غدت فضاءات للتربية الروحية والتعليم الديني، مما جعلها من أبرز الطرق الصوفية في المغرب والجزائر[1].

8.2-الطريقة الزروقية:

مؤسسها هو أبو العباس أحمد زروق[2]، والتي أصبحت من الطرق التي ينتسب إليها العلماء، فمن أشهر المنتسبين لهذه الطريقة هم عبد الكريم ابن الفكون والورثيلاني[3].

9.2-الطريقة اليوسفية أو الرشيدية:

مؤسسها هو أحمد بن يوسف الراشدي، تأسست حوالي سنة 1500م بنواحي تلمسان يعتبر مؤسسها أحد تلامذة سيدي أحمد بن احمد زروق البرنوصي، والذي درس عند الشيخ الشاذلي[4].

10.2-الطريقة الرازية:

مؤسسها هو أبو الحسن القاسم الرازي حوالي سنة 1526م، وهي طريقة مرتبطة بالطريقة الناصرية لحد بعيد[5].

11.2-الطريقة الشيخية:

مؤسسها هو سيدي عبد القادر الملقب بسيد الشيخ[6]، ظهرت طريقته للوجود بعد وفات الولي الصالح[7]، اشتهر سيد الشيخ برحلاته الكثيرة وبرؤياه وتنبؤاته الحقيقية، وبقدراته الخارقة

[1]- Jacque Brque, Le Maghreb entre deux guerres, Annales Économies, Sociétés civilisations, 17e année, n°06, 1962, p 1220.
[2]- P.J André, Op.Cit, P227.
[3]-Djamil Aïssani, op.cit, P77.
[4]- P.J André, Op.Cit, P227.
[5]-P.J André, Op.Cit, P231.
[6]-P.J André, Op.Cit, P227.
[7]-Mathea Goudry, La Société Féminine Au Djebel Amour Et Ksel, Etude De Sociologie, Rural Nord-Africaine, Société Algérienne D`Impressions Diveres, 1961, P 317.

استقرب منطقة البيوض[1]، اتباع الطريقية الشيخية كثر ويتركزون في الهضاب العليا وبمنطقة قرارة وتوات[2].

12.2-الطريقة الناصرية:

وهي من الطرق الصوفية التي وجدت لها امتدادا في الجزائر، خاصة في الجنوب الغربي للبلاد، أسسها سيدي محمد بن ناصر الدرعي والذي ولد سنة 1669م[3]، بالمغرب الأقصى وقد أشارت الكتابات الفرنسية أن هذه الطريقة كانت تتمتع بتأثير محدود مقارنة بالطرق الكبرى الا أنها احتفظت ببعض نفوذها الروحي في المناطق المتاخمة للحدود مع المغرب، لا سيما بشار وتيندوف، كما لعبت دورا تعليميا هاما فيما للغة والقرآن[4]، وهذا ما جعل السلطات الفرنسية تراقبها عن كثب وترسل التقارير اليومية عنها مخافة توسعها.

13.2-الطريقةالطيبة أو الوزانية:

لم تؤسس الطريقة الطيبة من طرف الولي الصالح مولاي الطيب بالرغم من أنها حملت اسمه[5] حسب"P.J André "، فالأصل إن مؤسسها هو أحد أجداده المسمى بمولاي[6]عبد الله بن براهيم الوزاني[7] المتوفي سنة (1079هـ-1678م)[8]، الإدريسي الشريف ذو الأصول المغربية[9] بمنطقة وزان[10] والذي لم تردنا عنه أي معلومات عن هذا الولي الصالح، ولا عن الولي الصالح مولاي الطيب والذي سميت بالطريقة الطيبية[11] ، انتشر أتباع الطريقة الطيبة بمدينة قسنطينة

[1]- Mathea Goudry, La Société.Op.Cit, P 318.
[2]-Mathea Goudry, La Société.Op.Cit, P 318.
[3]- P.J André, Op.Cit, P227.
[4]-A.Devolux, note sur les zaouïas en Algerie, rev-af, t10, Alger, 1866, p215.
[5]-P.J André, Op.Cit, P227.
[6]-Edoird De Neveu, Les Khouan Ordres Religieux Chez Les Musulman De L'algérie, Op.Cit, P44.
[7]- P.J André, Op.Cit, P241.
[8]-Djamil Aïssani, Op.Cit, P77.
[9]-Edoird De Neveu, Op.Cit, P44.
[10]- P.J André, Op.Cit ,P241.
[11]-Edoird De Neveu, Op.Cit, P33.

وضواحيها حيث وصل عددهم لأكثر من الف ومئتين(1200) من الإخوان التابعين لهذه الطريقة بالشرق كما انتشر أتباعها في كل من وهران والجزائر وجرجرة[1].

14.2-الطريقة الحنصالية:

مؤسسها هو سيدي يوسف الحنصالي[2]، تأسست الطريقة الحنصالية في قسنطينة وبالضبط بالجبل الواقع قرب مدينة شطابة، يتبعها حوالي ألف شخص من المناطق المحيطة بقسنطينة[3].

15.2-الطريقة الزيانية:

مؤسسها هو سيدي محمد بوزيان المولود سنة 1733م المعروف بسيدي بوزيان عرفت طريقته بانها الاكثر تسامحا[4].

تعد الطريقة الزيانية هي احدى الطرق الصوفية التي اسسها سيدي محمد بوزيان في الغرب الجزاري خلال القرن 19، والتي جمعت بين البعد الروحي والديني، فاعتمدت على الأذكار والاوراد الرتبطة بالتقاليد الشاذلية وبين البعد الإجتماعي والسياسي، إذ لعبت زاويته دورا بارزا في تنظيم القبائل وتعبئتها لمواجهة الاستعمار الفرنسي؛ وقد وصفه الفرنسيون بأنه من أبرز مشايخ الجنوب الغربي، وأن طريقته تحولت الى قوة دينية واجتماعية واسعة النفوذ في المنطقة[5].

16.2-الطريقة الدرقاوية:

تأسست جماعة الدرقاويين سنة 1786م في بني زروال، شمال فاس[6]، مؤسسها هو سي مولاي العربي الدرقاوي[7] تلميذ مولاي العربي الدرقاوي على يد علي الجمل وهو نفسه تلميذ

[1]-Edoird De Neveu, Op.Cit, P44.
[2]-P.J André, Op.Cit ,P227.
[3]-Edoird De Neveu, Op.Cit, P123.
[4]-P.J André, Op.Cit, P227.
[5]-Octavee Depont et Xavier Coppolani, Op.Cit, pp 408-412.
[6]-P.J André, Op.Cit, P246.
[7]-P.J André, Op.Cit, P228.

بعيد للجازولي، تعد الطريقة الدرقاوية تجمع حديث من جوهر مغربي خالص يمتد تأثيره الى الجزائر[1].

تعتمد طريقتهاعلى التعاليم المتشددة للطريقة الشاذلية، يتشبه تلامذته بالدراويش عن طريق لبس الملابس البالية، ويتميزون عن غيرهم بلبس عمامة خضراء[2].

18.2-الطريقة المدنية:

تعد الطريقة المدنية احدى الزوايا الصوفية المحدودة الانتشار في الجزائر، مؤسسها هو أبو زيان جعفر بن حمزة المدني[3]، ظهرت ضمن المشهد الروجي المتنوع خلال العهد الاستعماري، وقد ربطتها بعض الدراسات لفرنسية بنماذج الصوفية الصامتة، التي تركز على الذكر الخفي والتأمل[4].

19.2-الطريقة الخلواتية:

مؤسسها عمر الخلواتي المتوفى نهاية القرن الرابع عشر صوفي من بلاد خرسان (افغانستان حاليا)، وقد اسس قواعد الطريقة الاساسية للطريقة التي تعتمد الخلوة (العزلة والذكر الخاص) والتي نقلها سيدي محمد بن عبد عبد الرحمان المدعو بوقبرين الى الجزائر وتحديدا بآيت سماعيل ببلاد القبائل[5].

20.2-الطريقة الرحمانية:

هي طريقة اسسها سيدي محمد بن عبد الرحمان والمدعو بوقبريين وهي فرع من فروع الخلواتية*، شبهها الفرنسيون بأنها تعد أكبر كنيسة إسلامية جمعت أكبر الأخويات الدينية في الجزائر التي فاقت المليون مريد[6]، كما صنفت بأنها الأهم[7].

---

[1]-P.J André, Op.Cit, P246.
[2]- P.J André, Op.Cit, P228.
[3]-P.J André, Op.Cit, P228.
[4]-Omar Benaïssa, le soufiseme algerien a l'époque coloniale, horizons Maghrébins, 1999(issn 0984-2616), p103.
[5]-Djamil Aïssani, Op.Cit, P77.
[6]-P.J André, Op.Cit, P266.
[7]-Marcel Simian, Op.Cit, P54.

21.2الطريقة السنوسية:

مؤسس الطريقة السنوسية هو سي محمد بن سي علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي المجاهري[1]، انتشرت بشكل كبير في كل من ليبيا والجزائر وفي منطقة زمورة وعمي موسى والكرمة وغليزان وتيارت بقبائل فليتة والمجاهر التي ضمت(ولاد سيدي عبد الله، وأولاد حمدان، واولاد معالف واولاد بوعبسة، واولاد الشعفة واولاد بوكامل والاد سيدي يوسف ...) وهذا ما أقلق السلطات الفرنسية خاصة لما تدعوا اله العقيدة السنوسية[2] لأنها لم تؤسس على شاكلة الطرق الأخرى؛ بل تأسست في شكل جماعة دينية عسكرية مؤسسة بذلك إمبراطورية والتي امتدت ممن مدينة جغبوب الليبية الى برقة في فترة الاحتلالالإيطالي دعت الى الجهاد ضد المسيحين الكفار، وعدم التفاوض معهم وصنفت من الطرق السياسية والعسكرية أكثر منها صوفية روحية[3].

22.2-الطريقة التيجانية:

تعد الطريقة التيجانية ثاني أكبر طريقة بعد الطريقة الرحمانية واحدثها حسب" Marcel Simian "[4]، أسست بالجزائر سنة 1781م، أسسها الولي الصالح سيدي احمد التيجاني، والذي كان من أهم أعيان مدينة عين ماضي[5] بمكان عند سفح للمنحدر الجنوبي لجبل عمور لمدينة الأغواط، وصل عدد مريديها لحوالي 62ألف مريد[6]

إن الطريقة التجانية طريقة معتدلة سهلة لكنها تعد طريقة سجينة، فالمنتمون إليها يجب

إمتدت الطريقة التيجانية لتنشئ زوايا ومدارس قرآنية عبر الشرق ببسكرة وباتنة عبر الصحراءمن تقرت وواد سوف والهقار الى إفريقيا السوداء وانتشرت عبر السنغال والسودان

[1]-P.J André, Op.Cit, P298.
[2]-René Pottier, Histoire Du Sahara, Nouvelles Editions Latines, Paris, 1947, P230
[3]-G.-C Anwati Et Louis Gardet, Mystique Musulmane Aspects Et Tendances Et Techniques, Librairie Philosophique J. Vrin, Paris, 1976, P72
[4]-Marcel Simian, Op.Cit, p,69.
[5]-Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux Chez Les Musulment De L'algerie, Imp De A.Guyot, Imprimeur Du Roi, Deuxiéme Edition, Paris, 1846, P129
[6]- P.J André, Op.Cit, P290

وموريتانيا وغينيا وغامبيا الإنجليزية[1] ولاقت بها ترحيبا كبيرا بآسيا بالهند والصين واندونيسيا[2] وهذا كله راجع الى العلاقات الجيدة التي ربطها التيجانيون مع فرنسا[3].

غير ان " rené Pottier"* يرى أن الطريقة التيجانية يستحيل أن تكون طريقة متفردة غير تابعة، فهو يرى أن تعاليم التيجانية مأخوذة من الطريقة الخلواتية مع تغيير في بعض المفردات والجمل الضمنية لاوراد الطريقة، وهذا الأمر استشفه من خلال نص يتضمن طريقة دخول المريد في الطريقة الخلواتية والتي هي نفسها التي يأخذ بها الشيخ في الطريقة التيجانية[5].

23.2-الطريقة الكرزازية:

مؤسسها هو أحمد بن موسى الكرزازي، كما يطلق عليها ايضا الموساوية، وهي طريقة غير منتمية الى أي طريقة من الطرق الكبرى، مقرها في كرزازة جنوب منطقة القنادسة والمعروفة بمناجم الفحم، من الناحية الدينية لا تتميز هذه الطريقة بخصوصية، أي انها لا تعتد وردا معينا، أما من الناحية السياسية لعبت دورا مهما خاصة في الصراعات التي كانت تحدث على مستوى الحدود الجزائرية المغربية، فحيادها جعلها المحكم الذي كانت تلجأ له سلاطين المغرب في الحكم في الخلافات التي كانت تحدث بين القبائل الحدودية[6].

إنتشرت الطرق الصوفية في الجزائر بفعل الفراغ الديني، وضعف الدولة العثمانية أن ذاك فأصبحتالزوايا مراكز روحية واجتماعية، ولعبت الطرق مثل الشاذلية والرحمانية دورا بارزا في تنظيم المجتمع ومقاومة الإستعمار.

---

[1]-P.J André, Op.Cit, P296.
[2]-René Pottier, Op.Cit, 1947, P219.
[3]- P.J André, Op.Cit, P296.

*-رينيه بوتييه (René Pottier) 1830-1968: لم يكن بوتييه مجرد باحث تقليدي، بل عاش حياة قريبة من روح المغامرة، جمعت بين الاستكشاف الميداني والكتابة التاريخية. فقد كان رحّالة، رساما، ومؤرخا مهتما بالصحراء الكبرى، حيث ترك بصمته في الأدبيات الكولونيالية الفرنسية. ينظر
-Jeanne Pottier, Légendes touareg, Paris, Nouvelles latines, 1946, p07.

[5]-René Pottier, Histoire Du Sahara, Op.Cit, P219.
[6]-René Pottier, Histoire Du Sahara, Op.Cit, P224

وإذا ما قارنا بين كتابات كل من " Octave Dupont et Xavier Copolani» * و"P.J André "* فإننا نجد كتابات دوبون وكبولاني نجد أنها كتابات كلونيالية وصفية جردية تحتوي على سرد للمعلومات فقط أما أندري فكتاباته أكثر أكاديمية ولا تعتمد السرد فهس تحمل جانبا علميا من البحث السوسيولوجي.

24.2.الطريقة الشوذية:

وهي طريقة سرية جاء بها أبي عبد الله الشوذي الأندلسي، مبادئها غير معروفة، كما انها غير متاحة للعامة كما هو الحال مع بقية الطرق، لا يعرف عدد مريديها تنتقل من شخص الى آخر بطريقة سرية[3].

تعتبر الكتابات الفرنسية كل من الطرق المدنية، والخلواتية طرقا سرية الى جانب الطريقة الشوذية، وهذا بسبب إعتمادها الصمت في أورادها وعدم سهولة الإنضمام إليها، كما تعتبر أيضا الطريقة السنوسية طريقة سرية، لأن أورادها ليست متاحة للعامة بل تعتمد قواعد أساسية أولها مقاومة وطرد أي محتل كافر من الأراضي الإسلامية لأنها تعتبر تدنيسا لها.

---

*- Octave Depont : اوكتاف دوبون موظف إداري في الجهاز الاستعماري الفرنسي بالجزائر شغل مناصب إدارية مثل: رئيس ديوان الحاكم العام ثم نائب عامل(SOUS– PRFET) في فرنسا، غير ان كتاباته المشتركة مع كبولاني تعكس منظورا إثنوغرافيا كلونياليا أكثر من كونها دراسة تاريخية علمية بالمعنى الأكاديمي

–Xavier Copolani : كزافييه كبولاني كان إداريا و ظابطا إستعماريا فرنسيا إشتهر بدوره العسكري والسياسي في موريتانيا حيث لقب بمهدئ مويتانيا، ومع أنه ألف نصوصا حول الطرق والزوايا الصوفية إلا أن خلفيته تبقى عسكرية إدارية أكثر منها تاريخية أكاديمية ينظر

[1]-Octavee Depont et Xavier Coppolani, Op.Cit, p 05.

*-P.J André : وإسمه الكامل جون بيار اوندري يعد من الإداريين والباحثين الفرنسيين، الذين إهتمو بدراسة الرق الصوفية والأخويات الإسلامية في الجزائر خلال الفترة الإستعمارية، وظفت دراساته الإسلامية حول الطرق والصلحاء لأهداف سياسية وإسعمارية. للمزيد ينظر :P.J André ، Op.Cit، 03P.

[3]-محمد حلمي عبد الوهاب، الشوذية حلقة مفقودة في التصوف الأندلسي، إبن المرأة الأندلسي انموذجا، مصر، د ت ط، ص42.

رابعا: سبب اهتمام الفرنسيين بدراسة الصلحاء :

تعددت اهتمامات الكتابات الفرنسية بالصلحاء وهذا لعدة إعتبارت نذكر منها:

1-في الجانب الديني:

إن المتمعن في الواقع الديني للجزائر قبل الغزو، يلاحظ الانتشار الواسع لأماكن القداسة المرتبطة بالصلحاء. وهذا ما يجعلنا نتساءل عن التأثير الديني لهؤلاء الصلحاء على المجتمع من جهة، وعن تأثير ذلك على الفرنسيين وجعلهم يهتمون بهم من جهة أخرى، فمع بداية الغزو الفرنسي للجزائر، أمرت الحكومة الفرنسية أن يعتنق المسلمون الديانة المسيحية للقضاء على الأديان غير النصرانية واستعباد أتباعها.وأعطى الاحتلال الفرنسي للجزائر صبغة دينية في دعوة لإنقاذ المسيحية والمسيحيين من "عش القراصنة"[1].

تذكر الدكتورة " خديجة بقطاش" في كتابها " الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1871م) أن الغستعمار الفرنسي بذل مساعي الحثيثة لنشر المسيحية، وذلك عبر تمسيح مسجد كتشاوة، وتأسيس أسقفية الجزائر، ومشروع إرسال العزاريين للجزائر، مرورا بمجهودات البارون أغسطين دوفيلار وأخته إيميلي دوفيلار، وكذلك الأسقف ديبيش ولافيجري، والتي فشلت في عمومها أمام صمود الجزائريين وتمسكهم بدينهم وحضارتهم الإسلامية[2].

ليعتمد بعدها الاستعمار الفرنسي فكرة "فرق تسد" ويتحول إلى تبشير منطقة القبائل، إذ يعتبر القس"Raynal" ، صاحب كتاب التاريخ الفلسفي والسياسي للاستيطان الأوروبي وللتجارة الأوروبية في شمال إفريقيا، أول من تحدث عن "الأسطورة القبائلية"، والتي جاء فيها :إنهم نسل من الوندال؛ أعينهم زرقاء وشعرهم أشقر ولهم في عقيدتهم الدينية إنتماء للإسلام وخضوعون "لهيمنة المرابطين"، ونزوعهم الأبدي عن الاستقلال[3].

---

[1]-عدة جميلة، مرجع سابق، ص487.

[2]- عدة جميلة، مرجع سابق، ص488.

[3]- عدة جميلة، مرجع سابق، ص488.

حيث يقول "شارل روبير آجرون" في كتابه " الجزائريون المسلمون وفرنسا ودعوة لتمسيح القبائل والعودة إلى دينهم الأصلي، ليظهر القبائل الخاضعون للتأثير المباشر الذي يمارسه "إمرابطن" عليهم تقبلا واحترام اتجاه أشخاص" المرابطين المسيحيين"، حيث قال أحد مقدمي الزاوية الرحمانية ببلاد القبائل:"نفضل أن نرى أولادنا يموتون على رؤيتهم وقد تحولون الى المسيحية" فلا نجد اي حالة تنصير في بلاد القبائل في الفترة الممتدة من سنة 1863م الى 1871م[1].

جاء على لسان الضباط الفرنسيين " إن مسلميٍّ الجزائر مرتبطون بالإسلام بشكل قوي وبأنهم واقعون تحت سحره" غير انه هناك العديد من الشهادات التي تقول بأنها"عبادة الاباء والأجداد" تشهد على ذلك الأسماء المشتركة أو الأنساب القبلي، أما في نظر السلفية الإسلامية، فقد جرى الاعتقاد أحيانا بإمكانية الوصول يوما الى انشقاق الاسلام الجزائري[2]

هذا ما سعت إليه بعض الأطراف الخارجية لاحقا.إن عبادة بعض الشخصيات المحلية – كما يشير إليه الخطاب الكولونيالي – من أهل الخير الأحياء الذين نطلق عليهم اسم "مرابو" أي المرابط، حيث إن تقديس "أولياء الله" لا يفصلهم، بل يربط المجتمع العروشي بمجموع الأمة الإسلامية، ومن هنا برزت عدة دراسات عن الصلحاء خاصة، وعن الدين الإسلامي عامة.

فنجد "إدموند دوتي" في كتابه الصلحاء يقول عن ظاهرة تقديس الأولياء: وعلى كل حال، فإن تقديس الأولياء لا يجد تفسيره فقط في هذا الجهل وحده؛ ذلك أن هذا الجهل أيضا كان منتشرا في المدن المشهورة بثقافة سكانها من قبيل تلمسان وحتى تونس. ومن جهة أخرى، فإن السكان الذين يعيشون في ضلالات دينية مثل بقية قبائل شبه الجزيرة العربية في الجنوب لا يكادون يعرفون تقديس الأولياء إلا لماما. والشيء نفسه ينطبق تماما على قبائل الطوارق الذين يعتبر

[1]–عدة جميلة، مرجع سابق، ص488.

[2]– عدة جميلة، المرجع السابق، ص489.

جهلهم وعدم مبالاتهم بالدين مضرب مثل لبقية الصحراويين، وليس للصلحاء في أوساطهم سوى تأثير قليل لا يكاد يذكر"[1].

فقد درس الفرنسيون الدين الإسلامي من خلال القرآن الكريم، فنجد في المجلة الإفريقية (La Revue Africaine)، العدد 12 لسنة 1886م، مقالتين بعنوان Le Coran par ordre de matière"ترتيب المواد في القرآن الكريم". وقد تطرقت هاتان المقالتان إلى جملة من القضايا الاجتماعية والإنسانية مثل: الزواج والطلاق، والعلاقات الاجتماعية، وشؤون اليتامى، والخدم، والعبيد، والتبني، والعزاب، والأقربين، والأسرى، والأخلاء، والجواري، وما للمرأة وما عليها، وما على الرجل وما له تجاه المرأة، كما ورد ذكر "الصلحاء" في القرآن الكريم، فقام الكتاب الفرنسيون بمحاولة عقد مقارنات بين التعاليم الإسلامية وبين ما هو موجود في الديانة المسيحية الكاثوليكية.[2]

منع الفرنسيون التظاهرات الدينية خاصة المرتبطة منها بالزوايا، ولم يجيزوها إلا بتصاريح خاصة منها الوعدة[3]، كما منعوا التدريس القرآن بالمدارس االقرآنية والزوايا وتنقلات "الطلبة"، والشيوخ حدت ومنعت احيانا ولكن بتصريح من رئيس قسم شؤون الأهالي ان هنالك 115 مئة وخمسة عشر عائلة مرابطية إحتفضت بهيبتها ودبلوماسيتها ولكن أخفيت ولم يصرح بهم لأن شعار الجزائر المستعمرة منذ سنة 1871م هو غلق جميع الزواياوالتي أعتبرت بؤر توتر[4] وهذا بإيعاز من مقاومي الإكليروسية*

---

[1]عدة جميلة، مرجع سابق، ص489.

[2]–عدة جميلة، مرجع سابق، ص489.

[3]-A.M.C، Gouvernement Général De L’algérie Cabinet Service Des Liaisons Nord Africaines، Bulletin Des Questions Islamique,1954,P63.(C 417)

[4]- Charles-André Julien, Histoire De L’algérie ContemporaineDe L'istruction De 1870 Au Décclenchement De La Guerre De Libération(1954), Tome02, Presse Universitaire De France, Parie, 1979, P273

*–مقاومة الإكلوروسية: أو ما يسمى بالعداء للرجال الدين وهي مجموعة معارضة للرجال الدين خاصة فيما يتعلق بالمسائل الإجتماعية والسياسية، عارضت تاريخيا وبشكل رئيسي الكاثوليكية الرومانيةوترتبط مقاومة

يرى "Charles-André Julien أن المرابطية لم تفقد بعد الاحتلال الفرنسي مكانتها الدينية في المجتمع الجزائري خاصة الريفية منها، فالممثلين المحليين كالشيخ والمقدم مثلوا السلطة الروحية والدينية، فالمثل القائم " من لا شيخ له، الشيطان شيخه" جعلت ترسيخ سلطة هؤلاء قائمة لا استغناء عنها، فلا صلاة تقام بدونهم، فكانوا هم الأتقياء المتبعين لخطى النبي صلى الله عليه وسلم، فإضافة انهم لعبوا دور الأئمة، فقد لعبوا دائما دور المحكمين والسماسرة فقد خلصوا الإنسان والحيوان من القتلعند الرعي بالخطأ من الدية التي لا يستطيع دفعها ودفعوها بدله، وتدخلوا في أعمال البيع والشراء خاصة أولئك الذين ينتمون للطريقة الرحمانية والهامل والتيجانية بفرعيها بكل من الأغواط وتماسين بتقرت[1].

ويمكن القول إن من الأسباب الدينية لدراسة الصلحاء في الكتابات الفرنسية، هو أن الإستعمار لم يكن معنيا فقط بالفهم الأكاديمي، بل كان يسعى إلى تفكيك الإسلام الشعبي والصوفي (الوعدات، الزوايا، المدارس القرآنية)، ومن ثم كانت دراساتهم تحمل في طياتها أفكارا من أجل تمهيد الأرضية لنفوذ الكنيسة الكاثوليكية والأفكار المسيحية، بما يخدم المشروع الأستعماري في الجزائر.

2-في الجانب الثقافي:

ان البيئة الثقافية في الجزائر بداية القرن تاسع تختزن مقدمات للتحول العلمي بفعل ارتباطها بالتراث العلمي القديم (عصر التدوين) ما جعل الذهنية الجزائرية مع بدايات الاحتلالتتقاسمها التصورات الشعبية التي تتسم بسيادة الخرافات والمعتقدات القديمة والأفكار الغيبية التي ميزت المثقفين، وخاصة من رجال الدين كالفقهاء والطلبة وغيرهم، أما الفكر

الإكلوروسية بالعلمانية التي تسعى الى إخراج الكنيسة من جميع جوانب الحياة العامة والسياسية وإلغاء مشاركتها في الحياة اليومية للمواطن. ينظر:

-José Mariano Sánchez, Anticlericalism: a brief history (University of Notre Dame Press, 1972)

[1]- Charles-André Julien, Histoire De L'algérie ContemporaineDe L'istruction De 1870 Au Décclenchement De La Guerre De Libération(1954), Tome02, P273

العلمي والعقلاني فوجدوه مؤكدا عبر المصادر القديمة المتداولة غير أنه مهمش تهميشا واسعا، أن هذا التهميش يحيل إلى وضع ثقافي يتميز بالجمود والتحجر[1].

لا يعني هنا أن الجمود الثقافي أن المجتمع الجزائري اتسم بالأمية أو ما شابه ذلك، بل بالعكس فان أغلب سكان الجزائر ولا نقول جلهم كانوا يعرفون القراءة والكتابة، وهذا بسبب لانتشار الواسع للكتاتيب، وعدم اقتصاره على الذكور دون الإناث.

بل إن التعليم وقتها اقتصر على علوم الدين فقط دون علوم توضيحية أخرى والتي تبنتها الزوايا، وسعى بعض القائمين عليا لنشر الأساطير، والاكاذيب من أجل الحصول على الهبات والهدايا لإشباع بطونهم.

جاء في كتاب صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، للدكتور عبد اللطيف عبادة أن "أوروبا مرت بمرحلتين لمعرفة الفكرة الإسلامية أولها في العصر الوسيط: حيث اكتشفت الفكر الإسلامي من خلال ترجمة مؤلفاتهم، ومنه استلهمت نهضتها، والمرحلة الثانية في العصر الحديث الاستعماري: أصبحت الدول الاستعمارية الأوربية تبحث عن الفكر الإسلامي، بغية تكييف ثقافتها ومعرفة أحسن لثقافات الشعوب المستعمرة"[2].

هذا ما جعل المستعمر الفرنسي يسعى الى دراسة كافة الظواهر، والعادات والتقاليد وان دراسته للصلحاء ليس إلا قطرة في بحر الدراسات الفرنسية الإسلامية التي خصت بها المجتمع الجزائري بشكل محدد.

فنجد تحليلات في الكتابات الفرنسية لتعرف على شخصية العربي المسلم من خلال ثقافته الشعبية فجاء في كتاب "Au Marabout de Sidi-Brahimet à Calais" لكاتبة القائد

---

[1]–غالم محمد، ظاهرة الزلزال في الأسطغرافيا الجزائرية التقليدية (بين الذاكرة والتاريخ)، مجلة انسانيات المجلة الزائرية في الإنثربولوجيا والعلوم الإجتماعية، Crasc، ديسمبر 1997م، الجزائر، ص56.

[2]–عبد اللطيف عبادة، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة الجزائر، ط1، 1984، ص61.

كافيي"Caffier"* للاحتفال الشعبي بالقرب من المرابط سيدي ابراهيم معلقا:(.... حفلة عربية أصلية. اهتممت فيها أكثر بقفزات المستعرضين بالهراوات والمطارق، ورقصات الأوشحة والسيوف، شعرنا أن السكان الأصليين كانوا في مجالهم وأرادو التألق. فكان النضال والمقاومة يجري عبر دمائهم، بعدها جاءت بعض الرقصات الفاسقة، مكان الفنتازيا* العربية، والتي بدى لي مكانها محدودا للغاية، بالنسبة للفرسان الخيالة، والذين كانوا على أهبة أن يظهروا كل قدراتهم. كان من السهل ملاحظة قوتهم ومهاراتهم فيالفروسية، أعطي أي عربي مهما كان حصانا أو بغلا أو حتى حمارا، وستراه يتحول الى مقاتل، فهو يحتاج للحصان والبارود ليظهر على حقيقته)[3].

إظهار المرابطين، على انهم ذوي مستوى ثقافي وعلمي ناقص، كتعليق على رسائل المرابطين (الجنود)، بتقديم رسائل تحوي على أخطاء إملائية وأسلوب تعبيري ركيك، أو كما جاء في كتاب "لويس رين"(Luis Rin marabouts et khouans)* ، تقليله من شأن المرابط سليل النسب الشريف بذكره أن:"نجد قبائل كاملة من المرابطين أمثال أولاد سيد الشيخ والشرفة وغيرهم، وغني عن القول ان هذه القبائل جاهلة تماما، وليس لها أي نفوذ" إلا أن ثورة اولاد

---

*-Caffier. كافيي: في خمسينيات القرن العشرين كضابطٍ برتبة "قائد(Commandant) "، وكان ناشطا في الحياة العسكرية والاجتماعية داخل أوساط الجيش، مثل نشاطه في "النادي العسكري بباريس. ينظر

-Caffier, Au MaraboutSidi Brahim Et A Calais, Op.Cit, p 07.

*-الفنتازيا وهي : فرقة للعب بالخيول والبنادق.

[3]- Caffier, Au MaraboutSidi Brahim Et A Calais, Paris Librairie Illustrée Jules Tallandar 8 Rus Saint-Josef Memme Maison DeLille 11 : Et 13, Rue Faidherbe,P10.

*-لويس رين (Louis Rinn) **1838–1905**: ضابط فرنسي وباحث في الشؤون الجزائرية، شغل منصب **رئيس مصلحة الشؤون الأهلية**بالحكومة العامة في الجزائر، كما كان نائب رئيس **الجمعية التاريخية الجزائرية** .اشتهر بكتابه (1884) Marabouts et Khouan: Étude sur l'Islam en Algérie، الذي تناول فيه الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، مثل القادرية والتيجانية والرحمانية والسنوسية، مبينا أصولها وانتشارها وأدوارها الدينية والسياسية. ورغم قيمته التوثيقية، اعتبر لاحقا انعكاسا للنظرة الاستعمارية الفرنسية وما تضمنته من أحكام مسبقة على الإسلام والمجتمع الجزائري.ينظر

-louis Rinn", Histoire de la Folie [en ligne] :histoiredelafolie.f

سيد الشيخ(1864م-1867م)، أظهرت عكس المزاعم الفرنسية، التي وصفوا فيها بالجهل وعدم النفوذ، ففرنسا عملت ومنذ البداية على اتخاذ سياسة استعمارية واضحة للقضاء على الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها الثقافية والأخلاقية، هددت بالتالي أوضاعه الثقافية، وهذا بالتركيز على محاربة الدين الإسلامي خشية التمسك به، فتفقد مطامعها الاستعمارية الاستيطانية، فتفقد كيان وجودها بالجزائر[1].

أولت الكتابات الفرنسية خلال الفترة االإستعمارية إهتماما بالصلحاء من منظور ثقافي لأنهم كانو يمثلون الثقافة الشعبية، والدينية المحلية أي انهم لم يكونو مجرد شخصيات روحية بل رموزا لهوية جماعية.فإستغلوا الحكايات الشعبية والأساطير لفهم البنية الذهنية، والخيالية للمجتمع الجزائري وأمام مسعى فرنسا لنشر لغتها وثقافتها، مثل الصلحاء والزوايا مستودعا للهوية والذاكرة وجدارا يحول دون ذلك لأنهم مثلو مركزا للحفاظ على اللغة العربية، وعلوم الدين فمكان عليهم إلا أن يقومو بدراسات لم تكن بريئة.بل تهدف الى توظيف المعرفة الثقافية حول الصلحاء لتفكيك رمزية الثقافة الإسلامية التقليدية، وتعويضها تدريجيا بثقافة استعمارية فرنسية تقوم على محو الهوية الأصلية أو تهميشها.

3-في الجانب الاجتماعي:

إن المجتمع الذي ينتج الأساطير التي تتنبأ بالكوارث لتأديبه على لا أخلاقياته، يجب إن يعاني بالتأكيد من أزمة عميقة تقوض بنيته الفوقية، فقد لجأ الجزائريون عشية الاحتلال الفرنسي، الى الصلحاء لحمايتهم من هذه المحنة لكن الشر كان ضخما لدرجة أن الصلحاء المسؤولين عن حمايتها فضلوا تسليمها الى العدو بدل حمايتهم، فهؤلاء الذين يستبعدون الأحياء ويضعون مصيرهم في أيدي الموتى[2]فئة لا بد ان تحصد نتائج ما تؤمن به لانه وعلى هذا الأساس سيتم إستغلالها إستغلالا على المدى البعيد والبعيد جدا.

---

[1]-عدة جميلة مرجع سابق ص 489.

[2]-أهانوتو وأ التورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، دار الامل للطباعة والنشر والتوزيع، 2013، المدينة الجديدة تيزي وزو، ط1، ص ص 104-105.

لطالما تعرض أتباع الطرق الصوفية لشتى أشكال الاستغلال، فكما سماهم "شارل أندري جوليان"المؤمنين السذج" الذين أساءت إليهم زمرة المنتفعين "هؤلاء المحتالون" "هؤلاء الطرطوف"* "اللوردات الإقطاعيين" المولعين بالصدقات الورعة، والزيارات المربحة الذين إستولوا من دون حق على الملكيات العامة، لطالما قلقت منهم فرنسا خاصة اولئك العلمانيين الذين لطالما ذهب ظنهم أن هؤلاء لديهم إتجاهات سياسية لكنهم لم يكونوا إلا زمرة من الطماعين همهم ملئ بطونهم وفقط، والتي كان يجب على فرنسا أن تستغل هذه الصدقات في ملئ خزينتها[2].

ففي الجزائر ما قبل الاستعمار، يتم تداول العديد من القصص حول الصلحاء، فالله يكلفهم بالإشراف على مخلوقاته وإدارتها؛ فإنهم يوزعون الخير على رجالهم الفاضلين، والشر لمن يرتكبون أفعالا تستحق اللوم لمعاقبة البعض؛ قاموا بتسليمهم إلى رجال لا يرحمون مكلفين بتصحيحهم.

كان هذا هو الحال بنسبة لدعوة "الشر" التي دعا بها سيدي الهواري ضد سكان وهران بعد أن اغتالوا ابنه الوحيد، بان احتلتهم إسبانيا؛ وأسطورة شيخ معمر مقدم زاوية سيد محمد بلكبير.والذي رأى اجتماعا للأولياء الصالحين، حضر فيه سيدي عبد القادر الجيلاني، وسيدي المرسلي، سيدي عبد الرحمان الثعالبي، وسيدي محمد بلكبير، يتشاورون حول مصير الجزائر واختاروا لها مصير "الغول"؛ والذي يقصد به الاستعمار الفرنسي بدل الأتراك العثمانيين الذين عاثوا فيها فسادا[3].

إن الذين ينشرون مثل هذه الأساطير، على علم بان بأنه مجتمع يكرم الميت ويشتم الحي مجتمع يحكمه الميت قبل الحي، مجتمع تحكمه الأساطير، وهذا ما استغلته فرنسا لتتلاعب

*–الطرطوف : المقصود بها هنا الشخص المنافق

[2]- Charles-André Julien, Histoire De L’algérie ContemporaineDe L'istruction De 1870 Au Décclenchement De La Guerre De Libération(1954), Tome02, Presse Universitaire De France, Parie, 1979, P175

[3]-Mahfoud Smati, Les Elites Algériennes Sous La Colonisation, Tome1, Edition Dahlab, Alger, 1998, P159

بعقول مريضة وتحقق مصالحها، فحتى الداي حسين كان من بين المؤمنين بان الصلحاء لديهم القدرة على حماية المدينة وهذا ما أكده احمد شريف الزهار[1]، في آخر عشاء لهم قبل الاحتلال فبدل أن يتشاوروا في كيفية توزيع الجيش، والتسليح وتوفير الحماية استمع الى عبيده، والشيوخ وبعض الزنادقة بأن الجزائر يحميها صلحاءها ولا داعي للخوف من أي شيء، وعندما احتج رئيس رؤساء المراكب على ضرورة التحرك أرسل من يقول له: "أقسم بالله ان لم تكن شيخا لدفنتك في القبر حيا جزاء الكلام الذي تتكلم"[2].

ترى الكتابات الفرنسية إن الإسلام لم يوحد المسلمين، إنما الإسلام المرابطي هو الذي سعى الى ذلك، وذلك عن طريق إنشاء ضريح بجواره زاوية تليه مدرسة قرءانية يليه منزل وبعدها مجموعة من المنازل التي تشكل قرية، والتي تستقطب المريدين، وهذا ما يدفع شيئا فشيئا الى تشكيل مدينة يحكمها المرابط سليل الولي الصالح[3].

وهذا ما جعل الفرنسيين يستغلون المؤسسات الطرقية في هذا الجانب، بإستقطاب الجماعات المتمردة عن السلطة فمن كرامات كبار الأولياء تتويب العتاة الخارجين عن القانون[4]، ومن واجبات المريد الطاعة المطلقة للشيخ، ففي جميع الطرق الدينية المنتشرة فكرة الهيمنة والاستعباد القائمة ليرضى الشيخ عن المريد حسب"Marcel Simian "[5].

لقد حاول البحث السوسيولوجي الاستعماري إبراز الصلحاء في المجتمع الجزائري سنة 1830م، وكأنهم فئة تتعالى عن باقي مكونات المجتمع، فالصالح في المجتمع الجزائري ليس فقط هو الولي الصالح، بل الصالح مصطلح أطلق على كل من كانت له علاقة وثيقة بالدين

---

[1]-Mahfoud Smati, Op.Cit, P159.

[2]-أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج احمد شريف الزهار ويليه محمد عثمان باشا داي الجزائر(1766-1791)، المجلد السابع، طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،2010م، صص208-209.

[3]-René Pottier, Histoire Du Sahara, Op.Cit, P219.

[4]-خالد محمد، الزوايا الطرقية، مجلة ليبيكا، المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، الجزء، الجزائر، 1998م، ص 68.

[5]-Marcel Simian, Op.Cit, P25

خاصة سليل الولي الصالح مثل المرابط أو المقدم أو خادم الضريح، فهذه فئة تتمتع بمصالح مادية ومعنوية، لكن الدراسة التاريخية لظاهرة الصلحاء تظهر لنا أن الصالح او الولي أو المرابط كان شخصا منخرطا في حياة المجتمع، حيث لم يمنعه وضعه المميز من المشاركة في التاريخ الاجتماعي والسياسي للمجتمع، فكان هؤلاء لا يتوقفون عن تسيير النزاعات القبلية وتبني المطالب للرعية اتجاه السلطة[1].

إن الصلحاء في المجتمع الجزائري لهم مكانة مهمة فهم يعلمون الناس الصلاة، ويهدونهم الى مكارم الأخلاق، ومقابل ذلك يجنون الطاعة المطلقة المحفوفة بالاحترام، إذ يسود الاعتقاد لدى القبائل أن دعاء المرابط مقبول عند الله، وهكذا على بركة أو سخط المرابط تتوقف سعادتهم في اعتقادهم، فيتوجب على من أراد الرضى ان يقدم القرابين إن أرادأن تتحقق امانيه، أما من تلاحقه شرور دعوات المرابط فإنه مذنب سيعاقبه الله سبحانه وتعالى، وحتى بعد موتهم تدفن أجسادهم في قبر يحاط به تابوت يتلقى الزيارة من مريديه ومحبيه[2].

إذ جاء في أحد تقارير وزارة الحرب الفرنسية "لأوجين دوما""EugéneDauma"* يتحدث فيها عن أحد الأضرحة الموجودة في اقليم واحات واد سوف بقرية كوينين، أنهم وجدوا يوما رجلا غريبا ميتا في الشارع، وقد عرف أنه مرابط، من السبحة التي كان يحملها فقاموا ببناء قبة له بالمكان الذي وجد فيه، وسمي بشيخ الشارع[4].

---

[1]–عدة جميلة، مرجع سابق، ص489.

[2]–حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، مصدر سابق، ص57.

*–وجين دوما :(1803–1871) (Eugène Daumas) جنرال فرنسي، شغل منصب مدير الشؤون الأهلية في الجزائر، وعرف بكتاباته عن الصحراء والقبائل مثل Le Sahara algérienو LesChevaux du Sahara.جمع بين خبرته العسكرية ودراساته الثقافية فكان صلة وصل بين الإدارة الاستعمارية والمعرفة بالعالم العربي الإسلامي. ينظر: -Daumas,*Le Sahara algérien*, Paris, 1845, p*379*

[4]–الصحراء الجزائرية من خلال التقارير الفرنسية في أواسط القرن التاسع عشر (نصوص مختارة مترجمة مع نبذة عن حياة ونشاط أصحابها) مرتبة حسب تاريخ النشر، تر نصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، 2019، ص30.

فنجد هنا المرابط يحظى باحترام يفوق الذي كان من الممكن أن يحظى به وهو حي فيصبح المكان موقرا الى درجة أنه يمكن للمجرم أن يلجأ إليه دون أن يقدم ابن القاتل على اقتحام المكان[1].

وحسب حمدان بن عثمان خوجة فإن الصالح أتخذ كمنقذ أو كحام[2]، فينادى على الولي الصالح لإنقاذهم فهنا تلعب الأساطير دورا هما فيتم تخويف الناس فينصاعون لأوامرهم، فيأتي دور المرابط كوسيط في توفير الحماية للمسافرين عبر الطرقات، وتأمين التجارة، والفلاحة مثل الدور الذي لعبه مرابط القليعة مقدم زاوية سيدي محمد بلكبير. حيث أنه بعد أن تم اعتقاله ظلما من طرف الاحتلال بعد الغزو مباشرة كثر اللصوص في المنطقة، وأصبحت الطرقات غير مؤمنة، وشحت الموارد في الأسواق وارتفع ثمن السلع[3].

أولى القبائل ثقة كبيرة لعدد معين من مرابطيهم، لكنهم كانوا يعولون بالدرجة الأولى على حماية بعض من أوليائهم الصالحين المدفونين في جبالهم التي كان الإيمان الشعبي يعتقد بأن مهمتهم تتمثل في الحيلولة دون اقتحامها من طرف الغزاة الأجانب لا سيما الكفار منهم.

وقد عزز هذا الاعتقاد الهجمات التركية الكثيرة الفاشلة، وبقي هذا الإيمان راسخا حين ظهرت فرنسا في المحيط المباشر الخاضع لحماية الأولياء الصالحين، والتي كان من المفروض ان يلق فيها الرعب، والرمي بالصواعق لكن سرعان ما ألحقت بهم فرنسا الهزائم والمرابطين الأحياء الذين قدموا باسم الإله وعودا، بالنصر وجدوا أنفسهم أمام الحقيقة المرة المتمثلة في الهزيمة أمام الغزاة[4].

---

[1]–حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، مصدر سابق، ص57.

[2]–عدة جميلة، مرجع سابق، ص 490.

[3]–حمدان خوجة، مصدر سابق، ص ص 88، 89.

[4]–أهانوتو وأ التورنو، ص –ص 104–105.

ولعل مثل هذه الأمثلة الكثيرة، والمتعددة تظهر بما لا يدع مجالا للشك العلاقات الوطيدة بين الصوفية والمجتمع ومدى تأثير الأولياء الصالحين فيها[1]، فقوام ديننا أخلاق فاضلة فقط واساس شريعتنا مبادئ حقوق الانسان، والجزائريون يطبقون هذه المبادئ[2].

شبه"John Roney " دور الذي لعبه قديسوهم في الديانة الكاثوليكية بنفس الدور الذي يلعبه الصالح في المجتمع الإسلامي، إلا أن الصالح مهما كان وليا او مرابطا وحتى إماما من حقه أن يتزوج ويشتري الإيماء من الأسواق كما يشاء ويتمتع بهم ويبيعهم فيما بعد إن شاء بينما يشرط في الديانة المسيحة العفة في القداسة[3].

ويشير كل من " René Pottier " و"Mathea Goudry " في مسألة العفة وتشبيه القديس بالصالح، بان الصالح بمجرد الشك ببنته أوزوجته فإنه يقتلها، ولكن إن زنا هو بإحداهن أعتبر نعمة الاهية تبشر بالرفاهية والازدهار، يتحملونها ويتحمسون لها، وإن فضحت يغطونها ببرانسهم[4]، لذلك أستغل المرابطون بدورهم هذا الأمر لجلب البنات الصغيرات، واتخاذهم كمحضيات لمدة معينة ومن ثم إرجاعهم الى أهلهم وأن ولدت إحداهن فابنها سيصبح مرابطا وستعود للعيش في كنف الزاوية مستفيدة بذلك من رفاه العيش بدل الفقر وسط أهلها حسب " Mathea Goudry " عندما تطرقت لنفس الموضوع[5].

كما شبه لويس رين الفترة التاريخية التي عاش فيها الجزائريون في ظل الوجود التركي العثماني بالتي عاشها الأوربيون في عصور الوسطى، والتي عرفت بعصور الظلام والتي حكمت فيها الكنيسة بشكل مطلق على الأوربيين، وتسببت في جهلهم وتخلفهم وتأخرهم فيشبه

[1]–عدة جميلة، مرجع سابق، ص490.

[2]–حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، مصدر سابق، ص104.

[3]-John Roney, Les Sain De L'islam, Op.Cit, P31.

[4]-René Pottier, Histoire Du Sahara, Op.Cit, P227

[5]-Mathea Goudry, La Société Féminine Au Djebel Amour Et Ksel, Op.Cit, P 320.

شيوخ الطرق الصوفية بالبابوات، والزاوية بالدير وصراع المرابطين المحليين مع شيوخ الطرق الدينية بالصراع الذي كان في أوربا بين رجال الدين النظاميين والعلمانيين[1].

إرتبط الناس بالولي الصالح روحيا، وارتبطت المساجد بأسماء الصلحاء الذين أقاموا او دفنوا قربه، وكذلك ارتبطت المدن بهم، وكانت كل مدينة كبيرة او صغيرة محروسة بولي صالح فهو الذي يحميها من العين، ومن الغارات ومن النكبات الطبيعية، ومن طمع الطامعين، فهناك صلحاء تلمسان، ومدينة الجزائر ومدينة قسنطينة ومدينة شلف ومدينة المدية وبجاية[2].

عرف المجتمع الجزائري الريفي خلال القرن التاسع عشر، القيادات القبلية التقليدية المنحدرة من النسب الشريف، والتي حافظت غالبيتها على مكانتها –أمثال عائلة ولاد سيد الشيخ المنحدرة من نسب الولي الصالح سيد الشيخ–القيادية، والجدير بالذكر هنا أن بعض الإتحادات القبلية لعبت دور المخزن من طرف الإحتلال الفرنسي طوال فترات المقاومات المسلحة (1830–1881) في الريف الجزائري، وسيعرف تطور هذه البنية السياسة العربية (اي المخزن)، اختراقا للقبائل الجزائرية، مما ساعد في تشكيل جيش ساعد في دحض العديد من المقاومات[3].

سخِرت "René Pottier" من الأساطير، وإعتبرها حكايات طفولية يؤمن بها الناس الساذجون فليس من المعقول الإيمان بأحداث، جرت على بعد الآلاف من الأميال لم يرها أحدهم إنما زينها أولئك القلة الذين يعرفون القراءة والكتابة، وبما ان اللغة العربية في الدين الإسلامي هي لغة الله لا يجوز الكذب بها فهذا يعتبر إفتراءا[4].

---

[1]– مجدوب موساوي، الزوايا والطرق الصوفية بالصحراء الجزائرية عند لويس رين، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، المجل د3، ال عدد1، جانفي 2020م، ص294.

[2]–أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص262.

[3]–ابراهيم مهديد، القطاع الوهراني ما بين 1850م–1919م دراسة حول المجتمع الجزائري، الثقافة والهوية الوطنية، منشورات دار الأديب، وهران، 2006، ص35.

[4]-René Pottier, Histoire Du Sahara, Nouvelles Editions Latines, Paris, 1947, P225

إستغلت الكتابات االفرنسية البعد الإجتماعي للصلحاء، كمفاتيح لفهم البنية الإجتماعية الجزائرية لأنهم كانوا يؤدون أدوارا تتجاوز الدين الى تنظيم الحياة اليومية، وخلق روابط التضامن، وتثبيت الشرعية القبلية. هذا الفهم الإجتماعي مكن فرنسا من التعامل معهم ببراغماتية تارة بمحاولة إستمالتهم، وتارة بمحاولة تحييدهمتبعا للظروف السياسية.

4-في الجانب اقتصادي:

حث المريدون في كراساتهم على زيارة الولي الصالح للحصول على الشفاء من الأسقام كما انها تعادل عبادة سبعين سنة وزيارة الولي الصالح أولى من زيارة الأحياء والميت الصالح هذا سيمتعك بالخير والفضل والبركات[1]، وهو ما لم تمنعه فرنسا وراقبته نظرا للعائدات التي كانت تقتسمها مع المسؤولين عن الزاوية.

ارتبطت طقوس الزيارة سواء بالضريح او بالزاوية بالهبة "الزيارة"-مبلغ من المال يقدم كهدية، كما يطلق عليها، وهي إعطاء الزائر "للمقدم" المسؤول عن الضريح او عن الزاوية مبلغا من المال او ما يساويه من حبوب (قمح، شعير أو حبوب جافة كالزبيب أو البرقوق) أو حيوانات (دجاج، ماعز، غنم وأبقار) حتى يتقبل الولي الصالح زيارته، وكلما كانت العطايا او الهبات ذات قيمة أكبر كالحلي (الفضية أو الذهبية) تنال دعوته الاستجابة، وتزيد هذه العطايا خاصة في مواسم الزيارات الكبرى حيث تحسب الحبوب القناطير، والحيوانات بالمئات والى غير ذلك من الهدايا المختلفة التي تقدم للمقدم عن الضريح اوعن الزاوية، كما يتلقى المقدم الزكاة والعشور وتوكل اليه مهمة توزيعها على الفقراء[2].

وحسب "ديبون وكوبولاني" أن مجموع إرادات الزوايا يقدر ب 7.5 مليون فرنك موزعة على الزيارة التي تقدر بثلاث ملايين وثلاث ملايين أخرى منتج الصدقة ومليون و 500الف

[1]-عبد الرحمان بن الحاج بن سيدي علي ابن عثمان بن سيدي علي بن عمر، الدر المكنون في حياة سييدي علي بن اعمر وسيدي بن عزوز، مطبعة النجاح قسنطينة، ص12.

[2]- عدة جميلة، مرجع سابق ص490

فرنك لحقوق التنشئة وهذا يمثل أضعاف الإرادات العربية التي تتمثل في الضرائب المفروضة من فرنسا على الجزائريين والتي قدرت سنة 1897م بـ 105 مليون فرنك فرنسي، كما لا تزال لدى الإخوان أو كما يسمى المريد التزامات أخرى اتجاه الزاوية والشيخ والمقدم وهو العمل الشاق في الأرض أو التويزة على أمل ان يجلب لهم تفانيهم نعم السماء عليهم، اذ يعتبرون العمل الجاد الذي فرضه عليهم جشع المقيمين في الزاوية شرف لهم والتي تنجز دون شكوى منهم[1].

اعتبرت فرنسا الزاوية تنظيما سياسيا، واقتصاديا وبذلك هي دولة داخل دولة لها رئيس وحاشية واقتصاد ومجتمع متفاني لخدمة الرئيس وحاشيته[2] وهذا ما أرادت استغلاله من خلال تحالفها المباشر مع هذه المؤسسة الدينية، حتى تحصل على يد عاملة تعمل من دون أجر في سبيل نيل رضا الشيخ إتباعا لقاعدة الحكم المطلق له.

وهناك حتى هدايا يدفعها بعض الرؤساء الزمنيين(الحكام) اتقاء لعنة الشيخ، خاصة منهم الذين لم ينضموا للثورة التي يدعى اليها الشيخ[3]، ومن هنا فإن الفرنسيين رأوا أن أموالا طائلة كان يجمعها أصحاب الطرق الصوفية تحت غطاء الدين وأن ذلك يعتبر منافسة لهم في الحكموإن الفكرة التي جاء بها الفرنسيون أن علامات الطاعة، والخضوع عند العرب والمسلين هي الالتزامالمالي من غرامة وضريبة ونحوهما.

تعتبر الزاوية ثروة وكنز المحتاجين، بالإضافة للزيارة هنالك الحبوس، أو كما تسمى الأوقاف التي يتوجه إليها الطلبة والمسافرون والتي كانت تعتبر مكسبا ماديا توفر دخلا ماليا

[1]-Marcel Simian, Op.cit, P33.
[2]- Marcel Simian, Op.cit, P34.
[3]–ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954م، الجزء الرابع، دار الغرب الإسلامي، 1998م، ط1، ص21.

كبيرا من حيث استغلالها في التجارة أو الكراء[1]، والتي كان يوقفها أتباعها عليها[2]، إضافة الى بيع التمائم والإيصالات السحرية[3].

لم تتوقف إيرادات الزوايا عند هذا الحد، فهناك نزوات المقدم والشيخ التي ربما لن تتوقف والتي يجب ألا ترفض فبدل ان تقدم له الهبات يطلبها من أصحابها، فله الحق أن يطلب منهم خيولهم وأراضيهم وحتى أكواخهم، والتي يمكن أن يرفض بيعها لآخر.

لكنه يقبل أن يسلمها بإسم الله للمقدم أو شيخ الطريقة اي كانت حتى يتقي لعنته التي يمكن ان تلاحقه وأولاده[4].

قامت فرنسا لاحقا بتصفية الأراضي الموقوفة، بفعل سلسلة من المراسيم والقوانين التي نصت على رفع الحصانة على الوقف وادخالها ضمن المعاملات العقارية، مثل مرسوم 08 مارس 1830م، ومرسوم أكتوبر 1844من وقرار 30 أكتوبر 1858م، وقانون سيناتوس كونسلت 1863م، وقانون 1873م، الذي وضع حدا نهائيا للأراضي الموقوفة[5].

إن الفاعلية الاقتصادية التي مثلتها الزوايا، أسالت لعاب الغزاة منذ بداية الإحتلال حيث كانت الهدايا والأراضي تهدى للولي الصالح في حياته وحتى بعد مماته، وكانت كان كل هذه الثروة ملكا للزاوية تحت ما يسمى الوقف، ولهذا السبب درست الكتابات الفرنسية هذا الجانب لتقويض استقلاليتهم المالية، وإدماج مواردهم ضمن المنظومة الإستعمارية.

---

[1]–عدة جميلة، مرجع سابق، ص490.

[2]–خالد محمد، الزوايا الطرقية، مجلة ليبيكا، المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، ج 35، الجزائر، 1998م، ص68.

[3]-René Pottier, Histoire Du Sahara, Nouvelles Editions Latines, Paris, 1947, P228

[4]-Marcel Simian, Op.Cit, P34.

[5]–ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص55.

5-في الجانب السياسي والعسكري:

اعتبر الفرنسيون الدين المحمدي من أخطر الأديان، التي انصهرت في المجتمع الجزائري[1] ووجدوا صعوبة في السيطرة على القوى الدينية التي مثلها الإسلام الصوفي بجانب الإسلام السني[2].

ومن أخطر الأدوار التي قام بها القائمون على الزوايا هي: دورهم السياسي وتجلى ذلك بالمشاركة في الحروب الصليبية، حيث تشير المصادر أن نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي الذي حكم في فترة ما بين 541هـ-596هـ الموافق 1146-1173م كان يكاتب الزهاد والعباد المنقطعين عن الدنيا، ويذكر لهم ما لقي المسلمون من الفرنجة وما نالهم من القتل والسلب، ويستمد منهم الدعاء ويطلب منهم حث المسلمين على الجهاد، والتصدي للغزاة الصليبيين. واستمر هذا الدور حتى القرن التاسع عشر، حيث أن الاستعمار الأوربي الحديث لم يجد في مواجهته إلا المؤسسات الطرقية بعد انهيار سلطة الحكم، وعجزها عن المقاومة حيث خلفت الزوايا أنظمة الطرق هذه، وعمرت الفراغ الذي تركه انهيارها. ونجد هذا بوضوح في مقاومة القادرية والرحمانية وأولاد سيد الشيخ، وقد تمكنت الزوايا من لعب هذا الدور بفضل ما كانت تحتوي عليه من التشكيلة البشرية التي كانت تضمها في صفوفها، حيث أن فتح باب التصوف أمام عامة المواطنين قد مكنهم من تنظيم صفوفهم تحت لوائها للدفاع عن الوطن وسيادته، وهذا لأن عامة لمواطنين دائما هم الضحايا الأوائل الذين يدفعون ثمن العدوان الأجنبي عن الوطن، وبالتالي فهم أصحاب المصلحة الحقيقية في حرية الوطن وسيادته[3].

استغلت فرنسا الصراعات الموجودة بين القبائل وعروش، كل منطقة في الجزائروبسطت نفوذها ومهدت لهذا عبر بث جواسيسها أو ما يسمى بالمكاتب العربية[4]، والتي كانت ترفع

[1]-M-H.Lelong.O.P, Le Sahara Aux Cent Visages, Edition Alsatia, Paris, 1943, P235.
[2]-Charles-André Julien, Histoire De L'algérie Contemporain, Op.Cit, P15.
[3]-خالد محمد، الزوايا الطرقية، مجلة ليبيكا، المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، ج35، الجزائر، 1998م، ص69.
[4]-عدة جميلة، مرجع سابق، ص 491.

تقاريرها الى سلطات المعنية كما استحدثت أجهزة أخرى نذكر منها " Service Des Liaisons NordAfricaines" والتي كانت تقوم بإنجاز تقارير يومية وسنوية عن أبسط التفاصيل اليومية كالخلافات، والتنقلات والزيارات اليومية خاصة شيوخ الزوايا، وعدد المريدين المنتمين اليها[1].

تميزت مواقف أغلب الطرق والزوايا خلال القرن التاسع عشر، برفض الاحتلال الفرنسي للجزائر حيث واجهت غالبية الطرق الصوفية –باستثناء التيجانية–هذا الاحتلال وانخرط شيوخها ومريدوها في المقاومات الشعبية التي امتدت طيلة القرن التاسع عشر، وعندها سارعت الإدارة الاستعمارية الفرنسية لدراسة هده الطرق الدينية والعمل على اختراقها وإخضاعها وبث الفرقة بينها بهدف السيطرة عليها[2].

نمت الطرق الصوفية، قبل الأوان واكتسبت قاعدة شعبية كبيرة، واستعادت بلهف العديد من الفئات الشعبية، التي عانت من حرمان الحقوق في ظل الأزمات التي شهدتها الجزائر في ظل الحكم العثماني[3]. فاستغلت فرنسا هذا الأمر، ونشرت بيانات مختلفة والتي يكاد يكون معناها واحد والتي تدعو العرب لمصادقة الفرنسيين، وتعدهم وعدا قاطعا بأنه لم يعد يشترط عليهم دفع الضرائب التي تعودوا دفعها للأتراك، وبأن جميع الإهانات والظلم سيتوقف، وبأنهم سيتمتعون بالعدالة والحرية، وتضمن لهم حرية العبادة[4].

---

[1]–للإطلاع على هذه التقارير ينظر:

-A.M. C, Gouvernement Général De L'algérie Cabinet Service Des Liaisons Nord Africaines, Bulletin Des Questions Islamique, 1953

-A.M. C, Gouvernement Général De L'algérie Cabinet Service Des Liaisons Nord Africaines, Bulletin Des Questions Islamique, 1954

[2]–حميد قريتلي، السياسة الاسلامية الفرنسية في الجزائر، 1870–1914م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة ال جزائر2، 2019–2020م، ص115.

[3]– عبد القادر صحراوي، الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني(1520م–1830م)، دار هومة للنشر والتوزيع، 2016م، ص 19.

[4]–حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، مصدر سابق، ص257.

وليحافظ المرابطون والشرفة على مكانتهم الدينية وتوسيعها يرى كل من " Roger Durand Et Michéle Maury-Moynier Et Tony Guggisberg "، أن عليهم خدمة الإدارة الفرنسية، فنجد أحفاد الولي الصالح "سيدي الشيخ" سيدي سليمان بن حمزة الابن الأكبر لسيدي حمزة بن بوكر سليل الولي الصالح للجنوب الجزائري سيدي الشيخ والذي عين سنة 1850م خليفة أولاد سيد الشيخ الشراقة وحفاظا على منصبه ساعد الفرنسيين قمع مقاومة شريف ورقلة[1].

ويظيف "C.Trumelet " في هذا الصدد أن سيدي محمد بن عبد الله برفقة الجنرال دوريو"Durrieu" ، وهو في طريقه لورقلة على القضاء على كل من مقاومة ولاد نايل بالجلفة ولرباع بالأغواط؛ وفتح قصر شريف ورقلة أمام الفرنسيين، ورفع فيها علم فرنسا؛ لينصب مكان شريف ورقلة الأخ الأصغر لسيدي حمزة، سيدي زوبير بن بوبكر، ويسطر بعد ذلك سيدي حمزة على كل جيش بيت ولاد سيد الشيخ، ويتمكن من فرض السلطة الدينية والروحية على كامل قبائل ولاد سيد الشيخ. وبالرغم من المكانة التي أصبح يحتلها ولاد سيد الشيخ في الجنوب، والتي لربما تهدد مكانة فرنسا، إلا أن هذه السياسة كانت بالنسبة لفرنسا ضرورية ومن المستحيل فعل عكس ذلك؛ ليخدم سي حمزة فرنسا بكل إخلاص لغاية وفاته سنة 1861م ليخلفه بعدها ابنه الأكبر سي بوبكر، لكن تحت لقب باش آغا بدل خليفة؛ ليبدي هو كذلك إخلاصه لفرنسا مباشرة بعد وفاة والده، ففي نفس السنة أي 1861م، قام بملاحقة شريف ورقلة السابق سي محمد بن عبد الله، واعتقاله مع بداية سنة 1862م[2]، ويستمر حال ولاد سيد الشيخ هكذا إلى حين تمردهم على فرنسا وقيام ثورتهم سنة 1864[3].

[1]-Roger Durand Et Michéle Maury-Moynier Et Tony Guggisberg, Regards Sur L'algérie Par Les Européens Au Temps D'henry Dunant, Genéve Humanitaire Centre De Recherche Historique Et Société Henry Dunant, Suisse, 2014, P86.

[2]-C.Trumelet, L'histoire De L'insurrection Dans Le Sud De La Province D'alger En 1864, La Revu Africaine, N20, 1876, Pp179 180.

[3]-Ibid., P191.

وللمزيد إطلع على مقالتين بنفس العنوان ونفس العدد ص369وص417.

استعملت فرنسا القبائل المنتسبة لصلحاء أو طرق مختلفة، ضد بعضها للقضاء على المقاوماتفقام شيخ ولاد نايل سي موسى بإيعاز من فرنسا، بإيهام قبيلته انه نبي مرسل من الله وان الأمير عبد القادر حليف فرنسا ويجب مقاتلته، ليتوجه لمحاربة الأمير بمدينة المدية سنة 1832م، لكنه خسر وهرب، استسلمت قبيلة ولاد نايل للأمير وإنظمت اليه لاحقا[1].

كما لعبت الطريقة الرحمانية التي جاء بها سيدي محمد بن عبد الرحمان رحمه الله الملقب ببوقبرين دورا هاما في ثورة القبائل الأولى في عهد الشريف ببوغلة، ولالة"فاطمة نسومر" في إلحاق فرنسا هزائم ساحقة، والذي خلفه على رأس هذه الطريقة الشيخ محمد أمزيان أبن الحداد بطل ثورة القبائل الأخيرة سنة1871م[2]، والتي إنتمى إليها لاحقا الأمير عبد القادر في محاولة للاستمالة القبائل وضمهم الى صفه لمواجهة فرنسا.

يذكر "Edoird De Neveu " أن الحاج علي مقدم الطريقة التيجانية بتماسين هدأ من روع المواطنين الذين أرادو حمل السلاح ضد الفرنسيين بقوله:

"إن الله هو الذي أعطى الجزائر للفرنسيين، فهو من يحمي وجودهم هنا، لذا أبقوا بسلام ولا تتركوا البارود يتكلم ضدكم، ودعوا الفرنسيين يفعلون ما يريدون فبرغم انهم غير مخلصين إلا انهم سلكوا طريقا حاكما وعادلا يجلب الخير للجميع" وهنا كانت كلمات سيدي حاج علي كافية لخداع آلاف الرجال وتهدئة عقولهم المتقلبة[3].

ولتعميم هذه الفتوى قام الجاسوس "ليون روش" بمحاولة للحصول على فتوى من علماء القيروان ومكة تدعوا الجزائريين لوقف المقاومة والحرب ضد فرنسا بدعوى أن القتال غير متعادل وأن مواصلته سوف تترتب عليها عواقب وخيمة...فإن هذه الفتوى التي صدرت عن

[1]-Arnou, Histoire De Oulad Nail, La Revu Africaine, N17, 1871, P301…312

[2]–المهدي بوعبدلي، ن 1–الحياة الثقافية بالجزائر–2جوانب من الحياة الثقافية بلجزائر في العهد العثماني (10–1ه)3–الشريف بوبغلة بطل ثورة بلاد القبائل، من سلسة أأعمال الكاملة للمهدي بوعبدلي، جمع وإعداد عبد الرحمان الديب، عالم المعرفة، الجزائر،2012م، ط1، ص 34.

[3]-Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux Chez Les Musulment De L'algerie, Imprimerie De A.Guyot, Imprimeur Du Roi, Geuxiéme Edition, Paris, 1846, P141

كبار علماء الإسلام في ذلك العصر ونشرت في سائر الجهات من الجزائر، قد اعتبها الشعب بأجمعه عملا إنهزاميا. وبالفعل، فإن المؤرخين قد سجلو الفترة التي تلت صدور الفتوى معارك تدل ان المقاومة الفرنسية بلغت ذروتها، ومنها معركة سيدي براهيم وغيرها كثير[1].

إن الدراسات الفرنسية التي مست الجانب السياسي والعسكري، نبعت من النفوذ القوي للصلحاء داخل المجتمع الجزائري، حيثث إتبروا الزوايا والطرق الصوفية بمثابة قوة إجتماعية وسياسية موازية لسلة التقليدية (القبائل والقيادات)، فقد دركت الادارة الاستعمارية ان الولاء للصلحاء قد يتحول بسهولة الى طاقة مقاومة يمكن تعبئتها ضد الإحتلال، مثلما حدث مع الأمير عبد القادر وشيخ بوزيان وغيرهما. لذلك إتجه الفرنسيون الى دراسة مكانة هؤلاء الصلحاء وأنماط تأثيرهم على أتباعهم، قصد إحتوائهم أو إستمالتهم، أو تحييدهم وإضعافهم عسكريا.

6.نماذج من الكتاب الذين إهتموا بالصلحاء:

1.6-كتابات المؤرخين الفرنسيين:

أ-مارسيل سيميون: Marcel Simian

أستاذ ومؤرخ فرنسي ولد في 10 من أفريل لسنة 1907م، وتوفي في 26 من أكتوبر 1986م، في ستراسبورغ في فرنسا[2]، من مؤلفاته:

" Les confréries Islamique en Algerie (Rahmania-Tidjanya)" كتاب يحوي 95 صفحة مقسم الى جزئين الجزء الأول يتناول فيه الكاتب الطرق الصوفية ودورها السياسي أما الجزء الثاني فيتناول فيه حياة الولي الصالح سيدي أحمد التيجاني وسيدي عبد الرحمان وأحفادهم وعلاقتهم مع فرنسا[3].

[1]- مصطفى الاشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص 104.

[2]- موقع Babelioعلى ساعة 11 و21د بتاريخ 13-02-2023

[3] - ينظر الملحق رقم 01، ص227.

ب-ألفونس سرتو (Alphonse Certeux):

أحد أعضاء المؤسسة الجزائرية التاريخية ولد سنة 1834م، بفرنسا وتوفي سنة 1904م بفرنسا[1]، من مؤلفاته:

- الجزائر التقليدية (L'Algérie Traditionnelle): صدر هذا الكتاب سنة 1884م يتألف من 290 صفحة يعتبر من الكتب المتخصصة التي درست الفلكلور والتصوف والصلحاء في آن واحد (متوفر رقميا)[2].

2.6-كتابات رجال الدين المستشرقين:

أ-جون جوزيف بارجيس ليوندر (Barges Jean Joseph Léandre)

مستشرق ورجل دين فرنسي متخصص في الدراسات العبرية والعربية ولد في 27 من فيفري 1810م، باوريول فرنسا له عدة مؤلفات منها تاريخ بني زيان[3]، من مؤلفاته:

Vis du célèbre marabout cidiAbou-Médienحياة المرابط المشهور سيدي بومدين يتكلم فيه صاحب الكتاب عن سلسلة الصلحاء، وينتقل الى حياة سيدي بومدين ورحلاته وإنجازاته كونسيدي بومدين أول من أدخل الطرق الصوفية الى الجزائر، يحوي الكتاب على مئة وثماني عشر صفحة، ويعتبر من الكتب النادرة متواجد على مستوى جناح الرصيد المغاربي بالمكتبة الوطنية للحامة بالجزائر العاصمة.[4]

[1] Https://Www.Google.Com/Search?Q=Alfonse+Serteux&Oq=&Aqs

[2] -Alphonse Certeux Et E. Henry Carnoy, L'algérie Traditionnelle, Imprimerie Pierre Fontana, Alger, 1884,290.

[3] -Https://Www.Signification-Noms-Prenoms.Com/Stars/Jean-Joseph-Leandre-Barges/

[4] - ينظر الملحق رقم 02، ص228.

3.6-كتابات الساسة والصحفيين:

أ- :Eugéne Valletاوجين فالي

صحفي وسياس فرنسي، ولد بمقاطعة أعالي سايون بمدينة لور سنة سنة 1868م، قدم الى الجزائر سنة 1878م حيث أكمل تعليمه بها، تقلد عدة منها مهمة رئيس لجنة البحث والتنقيب عن الآثار بقسنطينة، إهتم بالأضرحة والآثار والأساطير المرتبطة بها توفي سنة 1950[1]، من مؤلفاته:

-**La Légende de sidi Massaoud: أسطورة سيدي مسعود:** مؤلف يتكون من أربع صفحات كتب بالآلة الراقنة، يتحدث عن أسطورة عين سيدي مسعود بمنطقة فرجيوة بقسنطينة[2]، مؤلف نادر متواجد بمكتبة وزارة الثقافة بالجزائر العاصمة، جناح المؤلفات النادرة.[3]

-**La Légende Du Ferdjioua: اسطورة فرجيوة:** مؤلف يحتوي على أربع صفحات كتب بالآللة الراقنة، تطرق فيه المؤلف عن أسطورة حجر الزيت على ضفاف واد بوكريزة وعلاقته بسيدي بنور[4]، مؤلف نادر متواجد بمكتبة المركز الثقافي مفدي زكريا بالجزائر العاصمة جناح المؤلفات النادرة[5].

4.6-كتابات الضباط والجنرالات الفرنسية:

أ-Corneille Trumletكورناي ترومليي:

كلونال بالجيش الفرنسي عرف بإهتماماته بالأساطير المتعلقة بكرامات الأولياء[6]، من مؤلفاته-**الجزائر الأسطورية (L'Algérie Légendaire):** الفه سنة 1892م وقسمه الى قسمين الأول القسم الأول عن زيارة الأضرحة، والتي يبدأها من الجنوب الغربي الى الجنوب

---

[1]-Homme et destin, dictionnaire biographique d'outre-mer, n, 7 et 8, p-p 467,469.

[2]- E.Vallet, La Légende De Sidi Massaoud, Imprimrie D.Braham, Constantine, 1918.

[3]-ينظر الملحق رقم 03، ص 229.

[4]- E.Vallet, La Légende Du Ferdjioua Le Marabout De Sidi- Bennour, Imprimrie D.Braham, Constantine, 1918.

[5]-ينظر الملحق رقم04،ص 230

[6]-C.Trumelet, Les Français Dans Le Desrt, Bibliothek Emil Gratzel, Pari, 1963, P205.

الشرقي والفصل الثاني تعداد الصلحاء من الشرق الى الغرب، حيث أشار ترواملي في بداية مؤلفه الى اهمية هذا البحوث حول تقاليد الإسلامية، والتي تعمل على تدعيم المتطلبات السياسية من اجل اكتساب قوة بمنطقة الشمال الإفريقي بدون عوائق (متوفر رقميا)[1].

ب-(P.J André(Pierre Jean André بيار جون أندري: كلونال بالجيش الفرنسي، وباحث اهتم بدراسة الطرق والزوايا الدينية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، من أبرز مؤلفاته:الطرق الصوفية الإسلامية:Confererie Religeuses Musulmanes كتاب ينقسم الى جزئين يتطرق الى الصلحاء المؤسسين للطرق الصوفية،والعادات المتعلقة بالأضرحة والاساطير[2].

5.6-كتابات علم الإجتماع والأنثربولوجيا:

أ-ايدموند دوتي (Edmond Douté): عالم في علم الإجتماع والأنثربولوجيا من مؤلفاته: "Les Aïssâoua de Tlemcen "عيساوة تلمسان: كتاب يحوي علىثلاثون صفحة يتكلم فيها المؤلف عن عادات وتقاليد العيساوة وممارسة طقوسهم عند كل من ضريح سيدي بومدين ولالة ستي، كما يسرد حياة الولي الصالح " سيدي أحمد بن بن عيسى مولى مكناس وكل الأسطير المتعلقة بحياته صدر سنة 1900م.[3]

ب-ماتياقودري"Mathéa Goudry": باحثة في علم الإجتماعولدت بقسنطينةفي 25 من ديسمبر 1885م، عملت كمحامية بالمحكة العليا للجزائر العاصمة سنة 1926م توفيت بفرنسا سنة1966م او 1967م، من مؤلفاتها:

-Lasociete feminine au djebel amour et au ksel" المجتمع النسوي في جبال عمور وكسل: وهو كتاب يتحدث في مجمله عن المرأة في منطقة آفلو والأغواط كما

---

[1]-بريجة الشريفة، استغلال الأعمال الأنثربولوجية من طررف العسكريين الفرنسيين لصالح الاحتلال" السنوات الأولى من الإحتلال"، مجلة آفاق فكرية، العدد 01 ديسمبر-جانفي 2014، جامعة وهران2، ص144.

[2]- ينظر الملحق رقم 05. ص231.

[3] - ينظر الملحق رقم 06، ص232.

خصصت فصلا من الكتاب لدراسة ظاهرة الصلحاء، بكل من منطقة جبال عمور وكسال حيث قامت من خلال دراستها لمسح شامل لكل لقبب الصلحاء، أولياء كانوا أو مرابطين وأعطت إحصاءات للطرق المنتشرة(الطيبية، القادرية، الرحمانية، العمارية والتجانية الدرقاوية والشيخية)في جبال عمور وكسال وعدد المنتمين إليها، متطرقة من خلال ذلك الى حياتهم، وكراماتهم ومختلف الأساطير المرتبطة بهم والقبائل المنتمية اليهم، ومدى ارتباط المرأة دينيا وروحيا بهم[1]، كما خلصت إلى أن منطقة شمال إفريقيا عامة، مرتبطة بشكل أساسي دينيا وينتمي قبائلها ككل في الأصل الى النسب الصالح، والذي ينتهي للنبي محمد صلى الله عليه وسلم[2]، كما أسمت علاقة المرأة بالمرابطين وارتباطهم بهم بالدعوات والطقوس، أنها عبادة يتقربون بها الى الله[3].

6.6-المجلات:

أ-المجلة الإفريقية:(la revue africaine):

تأسست المجلة الإفريقية سنة 1856م والتي كانت تشرف عليها الجمعية التاريخية الجزائرية " La sociétéhistorique algerienne " بوصفها مؤسسة إستعمارية ذات طابع علمي تعنى بالبحوث التاريخية والتراثية المتعلقة بالجزائر والبلدان المجاورة لها، إذ تنشر أبحاث مجموعة من المستشرقين الفرنسيين ووغيرهم[4] حيث وصل عدد بحوثها الى أزيد من (1800) ألف

[1]-للمزيد حول المرأة والدين أنظر، ماتياقودري، المجتمع النسوي ي جبال عمور و كسال من صفة 314الى الصفحة 333.

[2]- ينظر الملحق رقم 07. ص233.

[3]-Mathea Goudry, La Famme Chaouia De L'aures, Librairie Oientaliste Poul Geuthner ,1929 Chihabe -Awal, P219.

[4]- بغداد عبد الرحمان، جهود المجلة الإفريقية الفرنسية في نشر التراث المغاربي، قراءة وصفية تحليلية، مجلة الخطاب والتواصل، مج2، ع9، ديسمبر2022م، ص19.

وثمانمئة بحث شمل مختلف المجالات، إحتل التاريخ النسبة الأكبر في عدد البحوث ويليه علم الآثار (متوفرة رقميا)[1].

لقد كان اهتمام الفرنسيين بالصلحاء في الجزائر جزءا من سياستهم الاستعمارية الهادفة إلى السيطرة على المجتمع الأهلي عبر فهم بنيته الروحية والاجتماعية، فالولي الصالح لم يكن مجرد شخصية دينية، بل كان محورا للتنظيم الاجتماعي والسياسي، ومصدرا للشرعية والزعامة الروحية التي تلتف حولها القبائل.

ومن هنا انكبت الدراسات الفرنسية على رصد سير وأدوار أمثال سيدي عبد القادر الجيلاني، سيدي أحمد التيجاني، سيدي الشيخ، وسيدي بومدين شعيب، باعتبارهم نماذج مؤثرة شكلت مراكز إشعاع للطريقة والزوايا.

وبذلك لم يكن الغرض معرفة كراماتهم فحسب، بل إدراك مدى نفوذهم الشعبي، وتقدير حجم تأثيرهم في الاستقرار أو التمرد، وهو ما جعل الصلحاء في نظر الاستعمار مفاتيح أساسية لفهم المجتمع الجزائريو إدارته.

أظهرت الكتابات الفرنسية أن مفهوم الصلحاء في الجزائر قد أسيء فهمه عبر إسقاط مصطلح "القديس" المسيحي عليهم، مما شوه المعنى الإسلامي للولاية القائم على التقوى والطاعة لا على المعجزات والقداسة الكنسية، وقد صنفت هذه الكتابات الصلحاء إلى أنواع متعددة: محليين شعبيين، وعلماء، وشافعين للأمراض، ومول الساعة المرتبط بأسطورة المخلص المنتظر. كما أوضحت مراتبهم الصوفية من القطب والغوث إلى الأبدال والنقباء، وتعددت أسباب الاهتمام الفرنسي بهم بين ديني وثقافي واجتماعي واقتصادي وسياسي عسكري، سعياً لفكك المجتمع الجزائري والسيطرة عليه، واستعرض الفصل أبرز الطرق الصوفية كالقادرية والرحمانية والتيجانية، ومواقفها من الاحتلال بين المقاومة والتعاون، واختتم بنماذج من الكتابات الفرنسية التي تنوعت بين التأريخ والاستشراق والدراسات الأنثروبولوجية.

[1]– للمزيد ينظر الجدول من المجلة ص20.

الفصل الثاني: صلحاء منطقة الشمال الغربي الجزائري

أولا: الامتداد الجغرافي لمنطقة الشمال الغربي الجزائري.

ثانيا: الحضور الروحي للولي الصالح سيدي عبد القادر الجيلاني في الغرب.

ثالثا: صلحاء وهران وتلمسان.

رابعا: صلحاء حوض شلف الغربي.

يمتد الشمال الغربي الجزائري من الساحل المتوسطي شمالاً إلى الهضاب العليا جنوباً، ومن الحدود المغربية غرباً إلى نواحي الشلف شرقاً، في منطقة جمعت بين السهول الساحلية والجبال والهضاب، مما جعلها معبراً استراتيجياً للقوافل والجيوش وموطناً لمدن كبرى كتلمسان عاصمة الزيانيين، وفي هذا الفضاء الجغرافي، تجلت ظاهرة الصلحاء بشكل لافت، حيث انتشرت الأضرحة والقباب التي تخلد ذكرى أولياء صالحين، وعلى رأسهم سيدي عبد القادر الجيلاني الذي يحضوره الروحي الطاغي رغم أنه لم يزر المنطقة، فتجاوزت قبابه المئتي قبة في الغرب الجزائري، كما برزت شخصيات أخرى كسيدي الهواري شفيع وهران، وسيدي بومدين شعيب الغوث، وسيدي الحلوي صاحب الطريقة السرية، وسيدي السنوسي دفين تلمسان، وفي حوض الشلف الغربي، نجد الشيخ بن عليوة مؤسس الطريقة العلاوية، وسيدي معمر صاحب عرف الزواج، وسيدي بن يوسف الملياني صاحب "الدعاوي" الساخرة. وقد أولت الكتابات الفرنسية اهتماماً كبيراً بهذه الشخصيات، ليس فقط لفهم البعد الروحي والديني للمجتمع الجزائري، بل لتوظيف هذه المعرفة في خدمة المشروع الاستعماري.

أولا-الامتداد الجغرافي لمنطقة الشمال الغربي الجزائري:

تمتد منطقة الشمال الغربي الجزائري[1] من الساحل المتوسطي المطل على وهران ومستغانم شمالا، إلى غاية تخوم الهضاب العليا الغربية(سعيدة، النعامة) جنوبا، ومن الحدود المغربية غربا إلى نواحي الشلف وتيسمسيلت شرقا[2].

وهو مجال يجمع بين تضاريس متنوعة تشمل:

-الساحل والسهول الساحلية (وهران، مستغانم) ، التي شكلت مراكز زراعية وتجارية رئيسة

-الجبال مثل جبال تلمسان وجبال الونشريس، التي تعتبر خزانات مائية ومجالات رعوية وزراعية.

-الهضاب العليا الغربية، وهي فضاء رعوي شاسع يتدرج نحو الأطلس الصحراوي.

تعد المنطقة تاريخيا وحضاريا ذات أهمية بالغة:

فهي نقطة التقاء استراتيجي بين المغرب الأقصى والوسط الجزائري، مما جعلها معبرا للقوافل التجارية والجيوش.

-عرفت بمدن كبرى ذات طابع حضاري مثلتلمسان التي كانت عاصمة للزيانيين، واشتهرت بدورها العلمي والثقافي[3].

-كما لعبت المنطقة دورا محوريا في فترة الاستعمار الفرنسي، نظرا لموقعها الحدودي وقربها من طرق التجارة البحرية والبرية[4].

ثانيا: الحضور الروحي لسيدي عبد القادر الجيلاني.

لم تأت الكتابات الفرنسية ولا العربية، أن سيدي عبد القادر الجيلاني قد زار شمال إفريقيا بصفة عامة ولا الجزائر بصفة خاصة، إلا أن لحضور الروحي لهذا الولي الصالح جلي وواضح في بلادنا، فضريح الولي الصالح منتشرة عبر ربوع هذا الوطن، خاصة في الجهة الشمالية

---

[1]- ينظر الملحق رقم08: ص234

[2]- عبد الرحمان حميدة، الجغرافيا الإقليمية للوطن العربي، دار الفكر العربي القاهرة، 2000، ص 118.

[3]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998، ص. 55-63.

[4]-Yves Lacoste، Géographie du Maghreb، Paris، Masson, 1965, p 81.

الغربية من البلاد، وبرغم أن هذه الأضرحة والقباب لا يوجد بها أي شخص مدفون إلا أنها تجسد الوجود الروحي لهذا الولي في الجزائر.

تتعدد القبب التي تعود لرمزية سيدي عبد القادر الجيلاني والتي تفوق المئتي ألف في الجهة الغربية فقط، حيث أحصى منها مئة وأربعة قبة في عمي موسى وحدها واثنان وأربعون بمدينة مستغانم وضواحيها واثنان وخمسون بمدينة شلف[1].

إن سيدي عبد القادر الجيلاني هو النموذج الولي الصالح الأكثر انتشارا في الجزائر ومن هنا نجد أسماه الأولى الجيلالي وجلول وقويدر وبوعلام والبغدادي وبغداد منتشرة في المجتمع الجزائري، لأنه يمثل شخصية الولي الصالح الأكثر شهرةفي العالم الإسلامي عامة والغرب الجزائري بشكل خاص[2].

جاء في كتاب "l'Algérie Légendaire" للكولونيل"CornailTrumlet"[3]: إن سيدي عبد القادر الجيلاني، بالتأكيد، هو القديس الأكثر شعبية والأقدس عالميا في الإسلام إذا لم يكن الله قد اختار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ليكون خاتم الأنبياء، لكان قد أرسل سيدي عبد القادر، لأنه من بين جميع الرجال، الشخص الذي كان بفضائله وروحه الخيرة الأنسب لهذه المهمة[4] وهذا ما يشير الى الإهتمام الكبير الذي ناله هذا الولي، ومدى إهتمام"ترومليي" بطريقته التي يتبعها أكثر من ثمان مئة ألف مسلم في ذلك الوقت.

تعتقد فئة من الجزائريين أن سيدي عبد القدر الجيلاني هو شفيع كل الجزائريين وأنه موجود في كل مكان، رفيق المسافر المنفرد يحميه من جميع الصعوبات، يجب فقط أن تتوجه

[1]- Gaston Cauvet, Les Marabouts Petits Monuments Funéraires Et Votifs Du Nord De L'afrique, Ancienne Maison Bastide-Jordan, Alger, 1923, P10.

[2]- Fatma-Zohera Oufriha, Au Temps Des Grands Empire Maghrébins, La Décolonisation De L'histoire De L'algérie, Chihabe Edition, Alger, 2015, P166

[3]-Corneille Trumlet كورناي ترومليي: كلونال بالجيش الفرنسي عرف بإهتماماته بالأساطير المتعلقة بكرامات الأولياء. للمزيد ينظر:

- C.Trumelet ،Les Français Dans Le Desrt , Bibliothek Emil Gratzel, Pari,1963,P205

[4]-Cornailtrumlet, L'algérie Légendaire, Op, Cit, P174

له بطلبك، فهو ينادى بـ "سلاك الواحلين أو الحاصلين" والذي يقصد أن يخلص أي كان من المآزق الحرجة ولهذا يتم تمجيده بلقب بسلطان الأولياء[1].

1.نسبه :

ينحدر سيدي عبد القادر الجيلاني من نسب شريف[2]، فهو محي الدين أبو أحمد عبد القادر الجيلاني الحسن الحسيني الصديقي[3]ابن أبو صلاح موسى جنكي دوسنبن سيد عبد الله الجيلاني بن سيد يحي الزاهد بن سيد محمد بن سيد داود بن سيد موسى الجون بن سيد عبد الله المهدي بن سيد الحسين المثنى بن الامام الحسين الراضي الله، ابن الامام أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب زوج فاطمة ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ليستمر النسب الى شام ونوح وسيث وآدم أبو البشرية[4].

2.حياته ورحلاته:

ولد الولي الصالح سي محي الدين أبو محمد عبد القادر الجيلاني بن أبو صلاح موسى الحسني بمدينة جيلان[5]، ببغداد سنة 471هـ الموافق لـ سنة 1078م او 1079م[6]، او 1166م[7]، حيث تتضارب المعلومات في الكتابات الفرنسية حول سنة مولده والتي في الغالب نجدها متضاربة أو غير منطقية مثل التاريخ الذي جاء بيها«A.Fevret» * عبد القادر الجيلاني ولد سنة 71م[8]، وهو بعيد كل البعد ان يكون صحيحا رغم أن الكاتب، ذكر أن ببليوغرافية عبد القادر الجيلاني أخذت من عدة نصوص عربية والتي لم يحدد مصدرها.

[1]-Mahfoud Smati, Les Elites Algériennes Sous La Colonisation, Tome1, Edition Dahlab, Alger, 1998, P171

[2]-Cornailtrumlet, L'algérie Légendaire, Op, Cit, P179

[3]–يوسف محمد طه زيدان، عبد القادر الجيلاني باز الله الأشهب، دار الجيل، بيروت، 2001م، ص25.

[4]-Cornailtrumlet, L'algérie Légendaire, Op, Cit, P P179, 180.

[5]-جيلان أحد المدن العراقية جنوب بحر غزوين.

[6]-Cornailtrumlet, L'algérie Légendaire, Op.Cit, P174

[7]-René Pottier, Histoire Du Sahara, Nouvelles Editions Latines, Paris, 1947, P.218

[8]-A.Fevret, Abd Al-kâdir de jîlân, La Revue Du Monde Musulman, Volume 3, N9, Août-Septembre 1907, P179

ولأن حياة وطريقة التي جاء بها المؤسس الشهير للطريقة القادرية كانت محط اهتمام كثير من الأوربيين فإننا نجد حياته مترجمة الى العديد من اللغات، والمأخوذة من النصوص العربية والتي لم يحدد مصدرها في الغالب[1].

إن والد الشيخ عبد القادر الجيلاني سيدي الحاج علي[2]، ينتسبإلى أسرة اشتهرت بالورع والتقوى، وعرف بالصلاح، ولكنه توفي بعدولادته بقليل، فعاش في كنف جده لأمه السيد عبد الله الصومعي الزاهد العابد وأمه التقية الورعة[3].

يسرد لنا "Cl. Huart " حيات الولي صالح سيدي عبد القادر، أنه في بداية حياته الى مدينة بغداد حيث سمي هناك بالجيلاني نسبة الى مكان ولادته جيلان، درس أسس المذهب الحنبلي سنة 1095م[4]،على يد القاضي "أبو سعيد المخرمي" وعلوم الفقه على يد الشيخ" أبو بكر احمد ابن المظفر السوسن التمار" والذي كان هو الآخر قاضيا وعالما ببغداد[5]، وبعد وفاة "ابو سعيد المخرمي" أخذ عبد القادر الجيلاني في مدرسته في تجمعات والوعظ والإرشاد، والتي كان لها الفضل في دخول آلاف المسيحيين واليهود الى دين الإسلام، كما أثرت خطاباته التي نقلت الى ساحات المدينة على العديد من النفوس الشريرة والتي عادت الى الطريق المستقيم، كما ساهمت هذه التجمعات الكبيرة لعبد القادر الجيلاني في كسب الإحترام ونيل شهرة خار أسوار مدينة بغداد والتي كانت سببا[6] في نشر أفكاره التنويرية والتي تجسدت لاحقا في الطريقة القادرية[7].

---

[1]- A.Fevret, Abd Al-kâdir de jîlân, Op.Cit, P178

[2]-Alphonse Certeux Et E. Henry Carnoy, L'algérie Traditionnelle, Imprimerie Pierre Fontana, Alger, 1884,97.

[3]-الشيخ عبد القادر الجيلاني، الغوث الأعظم، تر، منال اليمني عبد العزيز، آفاق للنشر والتوزيع، ط1، 2016، ص10.

[4]-Cl. Huart, Littérature Arabe, Librairie Armand Colin, Paris, 1923, P271.

[5]-A.Fevret, Op.Cit, P178

[6]-A.Fevret, Op.Cit, P179

[7]-Cl. Huart, Littérature Arabe, Librairie Armand Colin, Paris, 1923, P271.

كان سيدي عبد القادر الجيلاني لا يزال شابا عندما قام برحلته الى مكة، من اجل أداء فريضة الحج برفقة قافلة، ولم يكن لديه إلا عشرة دراهم ولأنه إنسان زاهد لم يتوانى للقيام بهذه الرحلة، كما عرف سيدي عبد القادر الجيلاني بكرهه للكذب لدرجة أن حادثة جرت له أثناء رحلته الى الحج، حيث تعرضت له القافلة لهجوم من طرف مجموعة من اللصوص والتي قامت بتجريد رفاقه من أملاكهم إلا هو بسبب ملابسه الرثة، إذ قال له قائد اللصوص " اذهب فأنت لا تملك شيئا" فأجابه عبد القادر الجيلاني "بلى أملك عشرة دراهم ها هي لك خذها" فاستغرب اللص من تصرفه فسأله عن السبب، فأجابه سيدي عبد القادر الجيلاني" أوصتني والدتي بأن لا أكذب أبدا"، انبهر اللص بإجابته، وترك له خمسون قطعة ذهبية ليقسمها سيدي عبد القادر الجيلاني على المحتاجين لاحقا ممن كانوافي القافل[1].

3.ألقابه :

من ألقابه الجيلاني أو الكيلاني، وهي نسبة لموطن مولده جيلان، وقد عرف سيدي عبد القادر بهذا اللقب عند نزوله ببغداد، وسبط أبي عبد الله، أي ابن ابي عبد الله جده والد أمه الذي رباه، وباز الله الأشهب الذي لقب نفسه به، وشيخ الكل[2].

كما لقب بألقاب أخرى كمحي الدين الغوث والغوث الأعظم وغوث الثقلين، وباز الله وقطب الوجود[3]، لذلك فسيدي عبد القادر الجيلاني هو مولي بغداد: سلطان الأولياء (سلطان الصالحين)، قطب الاقطاب، الغوث، القوس الكبير (قوس العزام)، ملك البر والبحر[4]، صاحب الراية(بوعلام) كما أن الله منح حمايته لنسل هذا الرجل الصالح وضاعف أعدادهم[5].

---

[1]-Cornail Trumlet, L'algérie Légendaire, Op, Cit, P175

[2]–يوسف محمد طه زيدان، عبد القادر الجيلاني باز الله الأشهب، دار الجيل، بيروت، 2001م، ص26.

[3]–الشيخ عبد القادر الجيلاني، الغوث الأعظم، تر، منال اليمني عبد العزيز، آفاق للنشر والتوزيع، ط1، 2016، ص9.

[4]-Cornail Trumlet, L'algérie Légendaire, Op, Cit, P175

[5]- Cornal Trumlet, L'algérie Légendaire, Op, Cit,178 .

4.وفاته :

توفي الولي الصالح سيدي عبد القادر الجيلاني بمدينة جيلان التي ولد بها، عن عمر ناهز تسعين سنة، بيوم الجمعة او السبت في الثامنمن ربيع الاول سنة 561ه الموافق لـ 11 من فيفري 1166م[1].

5.أولاده :

أنجب سيدي عبد القادر الجيلاني تسعة أولاد كانوا كلهم علماء معلمين وهم:

-الشيخ عيسى والذي توفي بالكرف في 573ه الموافق لـ 1177م او 1187م، وهو مؤلف كتاب لطائف الأنوار.

- شيخ عبد الله والذي توفي ببغداد سنة 589ه، 1193م.

- الشيخ ابراهيم والذي انتقل الى فاس وبعدها الى سوريا توفي بالقريطة الموجودة بين بصرى والكوفة سنة 592ه الموافق لـ 1195او 1196م.

-الشيخ عبد الوهاب والذي توفي ببغداد سنة 592ه الموافق لـ 1195م أو 1196م.

-شيخ يحي، والذي توفي ببغداد سنة 600ه الموافق لـ 1202م -1203م.

-شيخ محمد توفي ببغداد سنة 600ه الموافق لـ 1202م-1203م.

-شيخ عبد الرزاق توفي ببغداد سنة 603ه الموافق لـ 1206م-1207م.

-شيح موسى توفي بداماس سنة 613ه الموافق لـ 1206-1207م

-شيخ عبد العزيز والذي توفي بلفاس ويجهل تاريخ وفاته[2].

[1]- Cornailtrumlet, L'algérie Légendaire, Op, Cit, P174.
[2]- Cornailtrumlet, L'algérie Légendaire, Op, Cit, P178

6.مؤلفاته :

ترك سيدي عبد القادر الجيلاني مجموعة من المؤلفات أشهرها كتاب: الغنية لطالبي طرق الحق وهو كتاب يجمع بين التصوف والفقه، كما جمعت مجالس الإمام ومواعظه في كتابين هما: فتوح الغيب، والفتح الرباني والفيض الرحماني[1].

7.الزيارة الكبرى لضريح سيدي عبد القادر الجيلاني :

كل سنة يقام احتفال كبير بمدينة بغداد، بالقبب الذهبية التي تحيط بضريح الولي الصالح سيدي عبد القادر الجيلاني؛ إذ لا يوجد مسلم مسافر قريب من هذه المنطقة لا يقطع سفره من أجل زيارة ضريح الولي الصالح، كما تقام الاحتفالات لزيارة الولي في العديد من الأماكن عبر العالم، بالجزائر والمغرب والتي يكون لها نفس المحتوى وتقام بالأشهر الأولى من فصل الربيع بالزاوية وضريح سيدي عبد القادر الجيلاني احياءا لذكراه، فلم يكن سيدي عبد القادر الجيلاني رجلا صالحا فقط، بل كان أيضا، عالما ومعلما لتعاليم التصوف[2].

8.كراماته :

يعتبر سيدي عبد عبد القادر الجيلاني مولا بغداد "قطبا"، وهي أعلى الرتب الصلحاء في السلسلة الصوفية،ومن الملاحظ في كتابات "Edoird De Neveu " تعظيم الولي صالح سيدي عبد القدر الجيلاني الى حد التأليه فيقول في كتابه"Les Khouan Orderes Religieux Chez Les Musulment De L'algerie ": ومن كراماته أنه ينزل من السماء الرابعة في شهر صفر وينزل معه 380 ألف شفاء طبيعي من مختلف أنواع الألم سواء كانت جروحا، او احتضارا أو مرضا فيأخذ من هذه الآلام الربع ليشفى الناس، ويتألم مكانه ويعاني قبل أن يعود للسماء ونصف ما تبقى يأخذه الاولياء الصالحون الذين ينزلون معه، ويسمون بالأقطاب

[1]–يوسف محمد طه زيدان، عبد القادر الجيلاني باز الله الأشهب، مرجع سابق، ص154.

[2]-Cornail Trumlet, L'algérie Légendaire, Op, Cit, P177

ويعانون بدورهم لشفاء غيرهم أما ما تبقى فنأخذه الطبيعة من أشجار واحجار وتحمل الآلام مكان الإنسان[1].

ويضيف"Edoird De Neveu " في ذات السياق أن سيدي عبد القادر يولي حماية خاصة لأتباعه، فهو حاضر لهم دائما للاستجابة لدعواتهم، حتى انه يقال ان الامير عبد القادر لدى عودته من الحج برفقة والده محي الدين مروا ببغداد، وقاموا بزيارة ضريح الولي الصالح سيدي عبد القادر الجيلاني، وفي أثناء ماهم جالسون تحت القبة الذهبية للضريح دخل عليهم سيدي عبد القادر الجيلاني في هيئة زنجي، يحمل معه ثلاث برتقالات وناداه بسلطان العرب فأجابه شيخ محي الدين ليس بيننا سلطان فبشره الزنجي بأن الحكم العثماني سينتهي وأن ابنه عبد القادر سيصبح سلطانا على العرب وهذا ماحدث سنة 1832م حيث بويع الأمير عبد القادر سلطانا على بايلك الغرب[2] ومن أقواله:"أنا اريد أن أمتلك كل خيرات الأرض حتى لا أترك أي فقير مسلم جائعا على وجه هذه الدنيا اللئيمة"، ولهذا فقط أكرمه الله أن يطعم الفقير الذي يستنجد به حيث يذهب كل من " Edoird De Neveu و"Cl. Huart " في هذه القوى و الآلام لتشبيهه بآلام المسيح [3].

كما يذكر"Cl. Huart " أن له بابا خفي يفتحه الله له، كلما أراد شيئا إذ يروي أحد المحبين لخطاباته "مظفر الحربي"، أيام التي كان سيدي عبد القادر الجيلاني يقطن مدرسة معلمه"أبو سعيد المخرمي"، أن هذا الأخير صعد الى سطح المدرسة في أحد أيام الحر؛ وتكلم بصوت مسموع يدعو الله عز وجل:"يارب لو تجود على بخمس حبات من التمر لاكونن من الشاكرين" ليجد أمامه عبد القادر الجيلاني يناديه وهو لا يعرفه حتى"تعالى يا مظفر وخذ خمس تمرات التي طلبتها من المولى عز وجل فلقد سمع دعواتك واستجاب لك"[4].

[1]-Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux Chez Les Musulment De L'algerie, Imprimerie De A.Guyot, Imprimeur Du Roi, Deuxiéme Edition, Paris, 1846, P25.
[2]-Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux, Op.Cit,P25.
[3]-Cl. Huart, Littérature Arabe, Librairie Armand Colin, Paris, 1923, P271.
[4]-Ibid, P271.

9.علاقة القادريين بفرنسا :

إن فرع القادرية بالجزائر تكيفت مع مشاعر الناس، وكانت محمية من قبل باشوات الجزائر أثناء العهد العثماني، وهذا عائد الى الروابط المتينة السابقة التي كانت قد ربطت بين الأستانة والمؤسسة الأم بالعراق؛ لتتبنى المقاومة ببايلك الغرب تحت قيادة الامير عبد القادر الجزائري، كما لم يقتصر فرع القادر فقط على الغرب الجزائري، بل شمل امتداده الى بلاد القبائل[1]، وتمثلت الطريقة القادرية في شخص الأمير عبد القادر والذي أعتبرته فرنسا أحد ألد خصومها[2].

سيدي عبد القادر الجيلاني، والذي يعد من أعلام التصوف الإسلامي ومؤسس الطريقة القادرية التي انتشرت في المشرق والمغرب، وصف في المصادر الإسلامية بأنه ولي صالح وزاهد وعالم في الفقه والحديث غير أن المريدين والمتصوفة نسجوا حوله روايات كثيرة عن الكرامات، مثل المشي على الماء، وطي الأرض، وكشف الغيب، والتأثير في الحيوانات والجمادات، هذه المرويات الشعبية بالغت أحيانا في تصوير مكانته، حتى شبهه بعضهم بصفات الألوهية، وهو ما استوقف الباحثين والرحالة الأوروبيين الذين رأوا في ذلك انعكاسا للمخيال الشعبي أكثر من كونه حقيقة دينية.

وقد ركزت بعض الدراسات الاستعمارية الفرنسية على هذه المعتقدات لإبراز سلطة الأولياء في المجتمع، وكيف كانت صورتهم تتجاوز حدود الإنسان العادي لتصل إلى مرتبة القديس الخارق.

[1]-Djamil Aïssani,Mille Ans De Pensée Soufie En Kabylie(Xi^{E}-Xxi^{E} Siècles) ,**Libyca**, Mémoire Du Centre National De Recherches Préhistoriques Et Anthropologiques Et Historiques , Nouvelle Série N°1, 2020, Alger, P76

[2]-Cl. Huart, Op.Cit, P271.

ثالثا: صلحاء وهران وتلمسان:

1-سيدي الهواري

1.1-نسبه:

هو شيخ محمد بن عمر بن عثمان[1]، بن منيع بن عائشة بن عكاشة، بن سيد الناس بن امين الناس الرياري المزاوي[2]، المغراوي المعروف بلهواري نسبة الى قبيلة الهوارة البربرية العظيمة؛ المولود سنة 751هـ/1351م[3] حسب ما جاء به(Edmond Desaing)* أما كورناي ترواملي فيذكر في كتابه الجزائر الأسطورية أنه ولد سنة 1349م[5].

2.1-حياته ورحلاته:

ولد سيدي الهواري بوهران، وكان ورعا مقيما للصلاة منذ نعومة أضافره، حيث أنه حفظ القرآن وهو في العاشرة من عمره، فاستحق لقب الحافظ، لم يكد سيدي الهواري يشد أزره حتى كان

[1]-Edmond Desaing, Un Saint Musulment Au Xv Siécle Sidi Mhammed El-Houari, In Journal Asiatique, Tome Viii, Juillet-Aout 1906, P333 نقلا عن هواري قبايلي الولي الصالح محمد بن عمر الهواري في الإسطوغرافيا الفرنسية، مقاربة ببليوغرافية، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع13، 2017، ص 115.

[2]- CornailTrumlet, L'algérie Légendaire, Op, Cit, P454.

[3]-Edmond Desaing, Op, Cit, P 115.

*- Edmond Desaing: اد موند ديسانغ هو كاتب وإداري فرنسي من القرن التاسع عشر، انشغل بدراسة المجتمع الجزائري خلال الفترة الاستعمارية، واهتم بظاهرة الصلحاء والزوايا، باعتبارها مراكز نفوذ ديني واجتماعي مؤثر في مقاومة الاستعمار. تميزت كتاباته بالجمع بين الطابع الإثنوغرافي والبعد الإداري، إذ كان ينظر إلى الزوايا والمتصوفة كمفاتيح لفهم البنية الاجتماعية للجزائر وضبطها سياسيا.للمزيد ينظر:

-Dictionnaire français-berbère, dialectedes ,Beni-senous, Edmond Desaing, Ernest, Leroux, 1914 **, p 317.**

4- CornailTrumlet, L'algérie Légendaire, Op, Cit, P.454

[5]- CornailTrumlet, L'algérie Légendaire, Op, Cit, P454.

من الزاهدين يقوم الليل ويصوم النهار؛ ولم يتجاوز سن الرشد عندما قام أحد الأولياء الصالحين ليأخذ منه البركة؛ ويكون من السائرين على الطري المستقيم[1].

حسب الكاتب بعد إنفصاله عن الولي الصالح، جاب سيدي الهواري بقاع الأرض من غربها الى شرقها، ثم توغل في أعماق الصحاري، ليجد العزلة ويتأمل في خلق الله، ولأنه من أولياء الله فإنه كان مأمن من الخوف من أي كائن سواء كان جني او إنسي؛ وحتى الوحوش كان لا يخافها منذ نعومة أضافره[2].

إنتقل بعدها سيدي الهواري الى بجاية، لينهل من أستذتها الكبار مختلف العلوم التي يريد بها ان ينير عقله، وفي سنة 776هـ/1374م ارتحل الى مدينة فاس، حيث كان في الخامسة والعشرين من عمره، ليكمل تعليمه هناك، ويفتتح حلقات التدريس طلبة العلم في كل من علوم الفقه واللغة ليلتف حوله طالبوا العلم؛ منبهرين بعلمه وطريقة إلقائه[3].

غادر سيدي الهواري مدينة فاس في رحلة للحج، ليزور مكة والمدينة وبدها بيت المقدس وبرجع ويستقر نهائيا بمدينة وهران، أين إفتتح مدرسة قرآنية وقاعة للإفتاء أين كان يسمع الأسئلة التي لا تخطر على عقل بشري، كما كان يحضر حلقتاه الأولياء الصالحون الذين سمعوا عن علمه فجاؤؤ ليستمعوا إليها، ليتفاجأو بحضور الملائكة؛ التي لم تكن مرئية إلا اللذين خصهم الله ببركته كما كان هنالك بعض الجن المسلم الذين يسترقون السمع من بعيد مخافة أن تراهم الملائكة فتحرقهم[4].

3.1-كراماته :

يروي "CornailTrumlet " عن كرامات سيدي الهواري، أنه أثناء حرب الإسبان ضد المور جاءت إمرأة فقيرة ذات يوم الى سيدي الهواري، تشكومن ان ابنها قد تم أسره واخذه الى الاندلس فطلب منها سيدي الهواري ان تدعوا الله بكل ثقة بان يفك أسر إبنها وان تجلب له

[1]- CornailTrumlet, L'algérie Légendaire, Op, Cit, P455.
[2]- CornailTrumlet, L'algérie Légendaire, Op, Cit, P456.
[3]- CornailTrumlet, L'algérie Légendaire, Op, Cit, P456.
[4]- CornailTrumlet, L'algérie Légendaire, Op, Cit, P456.

طبقا من الكسكسى باللحم والمرق؛ وهو ما فعلته المرأة المسكينة وجاءت له بما طلب وكانلسيدي الهواري كلبة سلوقية مروضة ترضع صغارها. فأعطاها الطعام وطلب منها ان تذهب وتجلب الشاب فأكلت تلك اللكلبة من ذلك الطعام وذهبت الى الميناء، وإختبأت في أحد السفن المغادرة الى إسبانيا، وما إن وصلت حتى خرجت الكلبة تبحث عن الشاب فإلتقته في السوق يشتري اللحم لسيده الذي بيع له، فأخذت عنه ذلك اللحم وفرت هاربة؛ فلحق بها الى أن وصلت الى الميناء.وقفزت في احدى السفن العائدة الى ميناء وهران ففهم الشاب غرض الكلبة منه فقفز بدوره في السفينة، وإختبأ فيها على عجل ووصل سالما الى بلاده والذي إقتادته الكلبة الى سيدها، ليجد المراة تبكي فرحة بعودة ابنها بفضل دعوات الولي صالح سيدي الهواري[1].

عرف سيدي الهواري كذلك بدعواته المقبولة أو ما يسمى بدعوات الساخطة "دعوة الشر" كما جاء في كتاب "L'algérie Légendaire " لكورناي ترواملي ، حيث ان العرب في وقته كانت تخشاه خاصة بعد ما حدث لاحد زعماء قبيلة بني عامر، حيث أرسل إليهم سيدي الهواري أحد تابعيه ليحصل مبلغا من المال لأحد رفاقه؛ فأهان زعيم بني عامر الرسول وأدخله السجن فلما سمع الولي الصالح الأمر تمتم بأمر سمع منه كلمة " تفذخ"، والتي تعني السقوط الكاسر، فقيل أن زعيم بني عامر كان يركب خيله في أحد مواكب العرس، فجاءه رجل يلبس الأبيض وأسقطه أرضا حتى" تفذخ" فخشي اهله ان يدخل رأسه في صدره؛ فقامت والدته بإطلاق الرسول وطلب السماح منه مخافة أن يلحق إبنها المزيد من الأذى[2].

ومن دعواته المقبولة، الدعوة التي دعاها على أبناء وهران بعد مقتل إبنه، حيث يذكر أن سكان وهران دخلو في جو من البذخ واللهو، وعلى إثر هذا دخل أحدهم دخل في صراع مع إبنه فقتله فدعا عليهم الولي بأنه سيحتلهم الكافر ويعيث في بلادهم فسادا لمدة ثلاثمئة سنة، لتتحقق نبوءته بعد سبعين سنة من قولها[3].

[1]-Lady Herbera, L'algérie Contemporaine Illustrée, Op.Cit, P15.
[2]- CornailTrumlet, L'algérie Légendaire, Op, Cit, P459.
[3]- CornailTrumlet, L'algérie Légendaire, Op, Cit, P461.

4.1-وفاته:

توفي سيدي الهواري سنة 843هـ/1439م بوهران عمر ناهز 92 سنة، ويبنى له مسجد بعد 300 سنة بجوار ضريحه سنة 1799-1800م، على يد الباي عثمان بن محمد الأكحل المدعو "الكبير"[2].

5.1-أبناء سيدي الهواري:

ترك سيدي الهواري بعد وفاته ولدا واحدا يدعى: عبد الرحمان بن محمد، وهو والد أحفاد سيدي الهواري الذي عمرو وهران بعد وفاته[3].

من خلال تتبع الإشارات القليلة التي تناولت سيرة سيدي الهواري، في الدراسات الفرنسية يمكن استنتاج أن هذا الولي شكل بالنسبة لسكان وهران أكثر من مجرد رمز ديني فقد كان حضوره مرتبطا بالمدينة نفسها، إلى درجة أن هويتها الروحية والعمرانية ارتبطت بذكراه. شح النصوص الفرنسية عنه يكشف أن المستعمر لم يستطع استيعاب العمق الروحي لشخصيته، لأن تأثيره لم يكن محصورا في الكرامات أو الطقوس، بل في قدرته على أن يكون عنصر تماسك اجتماعي يربط الماضي بالحاضر؛ وهنا يظهر سيدي الهواري كرمز مقاومة ثقافية صامتة ظل يحافظ على مكانته في المخيال الشعبي رغم تغير الأزمنة والسلطات.

2-سيدي بومدين شعيب1.2

-نسبه:

[1]-ابي عبد الله محمد بن محمد ابن احمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، تحقيق محمد بن ابي شنب، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م، ص 228.

[2]- CornailTrumlet, L'algérie Légendaire, Op, Cit, P46.

[3]- CornailTrumlet, L'algérie Légendaire, Op, Cit, P436.

هو شعيب بن حسين الأنصاري[1]، والممتد نسبه وفق تحقيق علمي إلى الخليفة الراشد على ابن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه[2]، وهو أبو مدين شعيب؛ وهو القطب أبو مدين شعيب بن حسين بن احمد بن علي بن محمد بن شعيب بن احمد بن الحسين بن عبد الله بن عمر بن يحي بن ابراهيم بن عيسى ابن ميمون بن اسحاق بن جعفر بن علي ابن ابراهيم بن محمد ابن الصحابي الجليل سعد بن عادة بن دليم بن حارثة بن حرام بن حزيمة بن ثعلبة بن طريف ابن الخزرج الاصغر بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الاكبر الانصاري المدني[3].

تنسب المصادر المصرية سيدي بومدين الى الدوحة الحسينية: وهو الإمام شيخ الشيوخ قطب الأقطاب شعيب أبو مدين الغوث بن محمد بن عمر بن علي بن عثمان بن حسين الفاسي بن محمد بن موسى الأشهب بن يحيى بن عيسى بن جعفر الزكي بن الإمام علي الهادي بن الإمام محمد جواد بن الغمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاضم بن الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بن عم النبي المصطفى صلى الله عليه وسلموزوج ابنته فاطمة الزهراء وهذا النسب الأخير هو الأرجح المأخوذة من الوثائق، والمخطوطات المتواجدة بالدوائر الرسمية التي تتولى رقابة أنساب الاشراف منذ زمن المماليك الى يومنا هذا من دون انقطاع[4].

[1]– عبد الحليم محمود، أبو مدين الغوث حياته ومعراجه الى الله، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص23

[2]–مقال منشور بجريدة الخبر الخبر.Https://Www.Djazairess.Com/Elkhabar/274647

[3]–زعيم خنشلاوي، شيخ الشيوخ أبو مدين شعيب من سلسلة الجزائر في قلب التصوف، منشورات زكي بوزيد، كونتينونتال باك سارفيس (منشورات Cps)، الجزائر، 2011م، ص44.

[4]– زعيم خنشلاوي، المرجع السابق، ص44.

2.2-حياته ورحلاته:

ولد سيدي بومدين شعيب بناحية إشبيلية حوالي سنة 520هـ الموافق لـ 1126م[1]، بقرية تدعى قطنيانة[2]، في عائلة ذات أصول عربية محافظة محدودة الدخل، توفي والده ورباه إخوته الأكبر منه سنا، امتهن الرعي في بداية سنه قبل أن يتعلم مهنة الخياطة[3]؛ أو صناعة الأسلحة حسب ما جاء في رواية "Luis Rinn "[4].

يجسد أبو مدين شعيب بطريقة مثالية الحراك الروحي، والفكري لرجال العلم آن ذاك[5] وبرغم من أنه نشأ أميا، لكنه أحب الدراسة، فكان يراقب التلاميذ يقرؤون القرآن في الكتاتيب والمدارس وكان يحز في نفسه أنه لا يعرف القراءة ولا الكتابة؛ فكان يهرب من المحل ليحضر الدروس بالمدارس، وهذا ما أثار حفيظة إخوته ووصل الأمر بأن هدده أحد إخوته بسيفه وأراد ضربه به ليرده شعيب بعصاه ويكسر السيف ليتركه إخوته لمراده بعد هذه الحادثة[6].

التقى سيدي بومدين شعيب حسب "Emil Dermenghem "بأحد الصيادين على ضفة البحر، فروى له حكايته فنصحه بالسفر الى المدينة والبحث في العلوم الإلهية (الشرعية)، فاخذ بنصيحة الرجل وعبر مضيق جبل طارق متجها الى إلى طنجة؛ وبعدها الى سبتة ومنها الى مراكش برفقة الصيادين والبحارة لتستقبله الجالية الأندلسية هناك، ويطلبوا منه الانضمام الى مليشيات الأندلسية بالمغرب لكنه رفض بسبب الفتن التي كانت متفشية بينهم، فانتقل الى فاس واستقر بها مدة من الزمن[7].

---

[1]- Emil Dermenghem, Le Culte Des Saint Dant L'islam Magheribin, ollectionL'especehumaine, Ga Llimard, 1954,71.
[2]-Barges Jean Joseph Léandre, Vis Du Célèbre Marabout Cidi Abou-Médien Autrement Dit Bou-Médin, Librairie Ernest Leroux, Pris.1884, P1.
[3]-Emil Dermenghem, Le Culte Des Saint Dant L'islamMagheribin, Op.Cit, P71.
[4]-Luis Rinn, Marabouts Et Khouans, Etude Sur L'islamEn Algérie, Op.Cit, P211.
[5]-Bouzina-Oufriha Fatima-Zohra, Figure Illustres Du Maghreb Central Et De L'algérie, Edition Houma, Alger, 2015, P155. .
[6]- Emil Dermenghem, Le Culte Des Saint Dant L'islamMagheribin, Op.Cit, P71.
[7]-Emil Dermenghem, Le Culte Des Saint Dant L'islamMagheribin, Op.Cit, P72.

ومارس فيها مهنة الخياطة التي كان قد ورثها من والده وهذا ليعيل نفسه لأنه كان يقيم بالغابة حيث بنى لنفسه منعزلا عن الناس، وصار ينتقل يوميا الى المدينة[1]، ليتمكن من الحصول على ما يريد، بعد أن شارك في عدة حلقات علمية، وتتلمذ على يد العديد من العلماء من بنهم (الحسن بن حرزيم*)؛ والذي تلقعلى يده تعليما نافعا، لأن معلمه حافظا لكتاب الله ويتكلم بكلام يلامس القلب والروح، وليتصل بعدها بالصوفية وبالأخص المحاسبي والغزالي واللذان احبا سيدي بومدين حبا كبيرا[3].

لم يتلقى سيدي بومدين شعيب العلوم الشرعية فقط في المغرب، بل درس العلوم الإنسانية والشعر والطب والرياضيات وعلم الفلك، وكذلك علم التنجيم؛ كما درس كتاب"الرحايا" للدكتور المحاسبي على يد الشيخ الحافظ أبو الحسن بن حرزي، وكتاب جامع الأحاديث للترميذي تحت إشراف الأستاذ أبو الحسن إبن غالب من المذهب المالكي[4]، أما تعليمهالصوفي فقد تلقاه سيدي بومدين إنطلاقا من جنيد البغدادي، وابو الحسن السر بن مغلس السقطي، وحبيب العجمي وحسن البصري؛ وليتتلمذ بعدها على يد علي بن غالب وحسن الصلاوي، وأخيرا اجازه معلمه ابو عبد الله الدقاق الذي أعطاه الخرقة[5]، بعد ان نزع عنه ثوب الدراويش[6] والتي كانت تعتبر وقتها شهادة للتدريس[7]سنة 1166م-562هـ[8].

---

[1]-Barges, Op.Cit, P06.

*-الحسن بن حرزيم: من كبار تلامذة أبي مدين شعيب الغوث، عاش في المغرب الأقصى خلال االقرن 16م /12هـ كان له دور بارز في نشر تعاليم شيخه، وجمع وصاياه في كتاب يعد من امهات المصادر في تاريخ التصوف المغاربي. اعتبرهالباحثون همزة وصل بين مدرسة أبي مدين والمغرب الأقصى، خصوصا في فاس حيث إستقر. للمزيد ينظر:

-louis Massignon، Essaisur les lexique technique de la mystique msulman ،Paris, 1922, p 243.

[3]-Emil Dermenghem, Le Culte Des Saint Dant L'islamMagheribin, Op.Cit, P72.

[4]-Barges., Op.Cit, P02.

[5]-Emil Dermenghem, Le Culte Des Saint Dant L'islamMagheribin, Op.Cit, P73.

[6]-Barges, Op.Cit, P02.

[7]-Emil Dermenghem, Le Culte Des Saint Dant L'islamMagheribin, Op.Cit, P73.

[8]- Emile Dermenghem, Vie Des Saints Musulments, Op.Cit,P 253.

3.2-سيدي بومدين شعيب ومولاي يعزى:

يسرد لنا "Barges Jean Joseph Léandre " وقائع لقاء سيدي بومديين و مولاي يعزى النور* وعن علمه ويقول: فذهب ليزوره بصحرائه "تاغية"[2]، كان سيدي بومدين في بدايات شبابه حيث أنظم إليه عدد من الدراويش لزيارة سيدي بوعزة حيث أنه رحب بالجميع ترحيبا حارا وقدم لهم الطعام وطلب من الشاب بومدين ألا يقربه[3].

يسرد لنا "Cl. Huart " أن سيدي بومدين استقبل بطريقة غير محببة، أو غريبة نوعا إذ تركه أمام بابه لمدة ثلاث أيام من دون أن يطعمه أو يرد عليه، بينما كان يستقبل أشخاصا الآخرين في غرفة الضيافة، ليذهب إليه يائسا من عدم استقباله ويمرغ وجهه في الأرض أمامه باكيا، وما إن رفع رأسه حتى وجد نفسه فاقدا للبصر، فما كان منه الا ان زحف الى الحائط وإتكأ عليه وأمضى ليل كله في البكاء وما إن أقبل الصباح حتى أتاه سيدي يعزى النور ومسح على رأسه وعينيه وفمه ورقبته وصدره مرورا بمكان القلب والمعدة وقال له من اليوم لن يصيبك لا مرض ولا حزن ولا جوع بإذن الله وستحس دائما بالسعادة والثقة والرضا عن النفس، وضمه الى الطلبة الذين كانوا يدرسون عنده وتنبأ له بالمستقبل الزاهر كما فعل من قبل معلمه بفاس[4] فأصبح سيدي بومدين من حينها أحد تلامذة سيدي يعزى وشاهدا على عجائبه المرتبطة ببركته[5].

ارتبط سيدي بومدين منذ تلك اللحظة بحلقات ودروس سيدي يعزى، والذي اعتبره هذا الأخير من أبرز تلامذته الذين لم يكفوا عن مدحه أمام الجميع، وتقديم أسمى علامات الاحترام

---

*- مولاي يعزى : المدعو النور عاش في منتصف القرن الحادي عشر للميلاد وهو ابن ميمون إن عبد الله الإزميري يقبع ضريحه حاليا بمدينة مكناس للمزيد حول هذا الولي ينظر:

-Emile Dermenghem, Vie Des Saint Musulments, Op.Cit,P 251.

[2]-تاغية: واد البرد أو واد تاغية المنطقة الواقعة بين الأطلس الكبير والاطلس الصغيربالمغرب الأقصى.

[3]-Barges Jean Joseph Léandre, Op.Cit, P3.

[4]- Cl. Huart, Le Culte Des Saint Dant L'islam Magheribin, Op.Cit, P61.

[5]-Barges, Op.Cit, P04.

والتبجيل ومما قاله سيدي بومدين عن الولي الصالح يعزى النور:" لقد غطيت تاريخ الاولياء منذ زمن إدريس القرني، وحتى يومنا هذا لا أعرف وليا فاظلا مثل شيخنا يعزى النور"[1].

بعد أن مضت ثلاث سنوات من إقامة سيدي بومدين بفاس[2]، استأذن شيخه مولاي بوعزة ليؤدي مناسك الحج[3]، وبصفته صوفيا لم يكن عليه القيام باستعدادات طويلة ليقوم برحلته ارتدى ثوبه وحمل حقيبته ورافق القافلة المتجهة الى مصر عبر الصحراء، حيث ان القافلة لم تكن تحمل الزاد الا القليل؛ إلا ان البركة التي منحها له سيدي بوعزة أعانته على تحمل مشاق الصحراء، وعند وصوله مصر أكمل طريقه مع قافلة اخرى الى مكة، التي ما ان وصلها حتى كرس نفسه لاتباع الحلقات الدينية والعلمية[4].

إلتقى سيدي بومدين ابان إقامته في مكة، الولي الصالح سيدي عبد القادر الجيلاني والذي تلقى منه الخرقة التي تحوي العديد من الأسرار الروحية[5].

لم يكن سيدي بومدين رجل دين وحسب، ولم يمنعه زهده من أن يكون مجاهدا في سبيل الله، فخلال إقامته بالمشرق شارك في المواجهة الحربية الكبرى بين المسلمين والصليبيين في معركة حطين سنة 1167م؛ والتي تعد من أعظم انتصارات صلاح الدين الأيوبي الذي حرر القدسدون إراقة الدماء سكانها، وترك الخيار للمسحيين فيها بترك المدينة ونقل جميع ممتلكاتهم معهم، إضافة إلى ذلك فإن أبو مدين شعيب قد ترك العديد من الأوقاف المخصصة للفقراءوالمحتاجين وقوافل الحجيج بما يسمى حاليا بحي المغاربة، كما دفن بالقدس الشريف ذراعه التي أصيبت بالمعركة[6].

لم تأت الكتابات الفرنسيين على ذكر مشاركة سيدي بومدين الى جانب صلاح الدين الايوبي بمعركة حطين، ولا عن إنجازاته بفلسطين بباب المغاربة، وحادثة قطع ذراعه بها

[1]- Barges, Op.Cit, P02.
[2]- Barges, Op.Cit, P09.
[3]-Emil Dermenghem, Le Culte Des Saint Dant L'islamMagheribin, Op.Cit, P62.
[4]-Barges, Op.Cit, P10.
[5]- Emile Dermenghem, Vie Des Saint Musulments, Op.Cit,P 252.
[6]- Fatma-Zohera Oufriha, Au Temps Des Grands Empire Maghrébins, La Décolonisation De L'histoire De L'algérie, Chihabe Edition, Alger, 2015,P180

خاصة وأن ابو مدين شعيب كان أحد القادة العسكريين في جيش صلاح الدين الأيوبي أثناء تحريره أرض المقدس.

بعد عودته من المشرق توقف سيدي ابو مدين في بجاية، واقام بها بشكل دائم، فقد اختار هذه المدينة فضلا عن اي مدينة اخرى، لان بجاية مدينة تمثل الوجهة السانحة للدراسة والبحث عما هو مشروع ومسموح به.

ان اختياره لمدينة بجاية مستقرا له لم يأتي عبثا، حيث انها بنيت على أنقاض مدينة صالداي الرومانية القديمة، وهذا ما جعلها وجهة للعلماء والتجار فإزدهرت وازدهرت أكثر عندما أنظم أليها سكان قلعة بني حماد؛ فهذه المدينة التي كان بها أكثر من عشرون الف منزل.وأثر من مئتي الف ساكن، إنتشرت بها المدارس وامساجد المزينة بالفسيفساء، كما كان يزورها الآلاف من الحجاج القادمين من مكة عبر البحر حتى أنها لقبت بمكة الصغرى[1].

مثلت مدينة بجاية بلا شك لسيدي بومدين مدينة الغنى والعلم، فكان يرى فيها الأرض الخصبة لنشر العلم والعلوم الشرعية، فسيدي بومدين الحامل للطريقة القادرية المشهورة في العالم، لابد ان ينشر طريقته بين أناس يفقهون للدين وهذا ما وفرته المدينة.

وحسب "Emil Dermenghem " أنه بعدما أتم مناسك الحج، واتم رحلته التي تعلم فيها علوم الدين بالشرق والمغرب الأقصى حط رحاله ببجاية وأقام فيها وأراد ان يعتكف فيها ليعبد ربه، ليأتيه أحد أصدقائه ويخبره أنه رأى بالمنام أن مهمته هي التدريس بالمدن؛ فامتهن سيدي بومدين التدريس وبقي بعيدا عن السياسة. ولكن ومن دون سابق إنذار أصبح في نهاية حياته أحد المشكوك بهم عند الخليفة اليعقوب المنصور[2].

[1]-Barges,Op.Cit, P11.
[2]-Emil Dermenghem, Le Culte Des Saint Dant L’islamMagheribin, Op.Cit, P60.

4.2-ألقابه:

حمل سيدي بومدين اسم الغوث وهو المنقذ وهذا الاسم يحتل أعلى مراتب الصلحاء[1] كما حمل إسم الصالح شفيع تلمسان"Saint patron de Tlemcen "[2].

5.2-كرامات سيدي بومدين شعيب:

"Emile Dermenghem " بالرغم من أن سيدي بومدين شعيب كان من بين الطلبة الفقراء الذين ارتادو مدينة "فاس" والذين لم يكن لديهم سوى قطعة الخبز التي تمنح لهم يوميا او طبق الكسكسى الذي كان يجود به المصدقون، وفي يوم من الأيام وبينما هو يأخذ معطفه المعلق أمام معلمه والطلبة الذين يدرسون معه، أخذ معطفه الرث يتساقط أمامهم وهذا ما أشعره بالخجل فقام معلمه بلم مبلغ من المال من عنده ومن عند الطلبة، ليشتري معطفا جديدا، فأخذها سيدي بومدين وعاد الى الكهف الذي كان ينام فيه برفقة غزالة (كهف الزلاق أثار متروكة أتخذها سيدي بومدين كمأوى له)، والتي كانت تنام بجواره وتتقاسم معه فراشه، فلاحظ سيدي بومدين حين دخوله للكهف أن الغزالة تأبى القرب منه وتهرب منه؛ ومجموعة من الكلاب تنبح وراءه على غير عادتها فسأل نفسه عن السبب وإن أدخل يده ي جيبه حتى وجد النقود التي أعطاه إياها معلمه فقال:" أبسبب هذه الوساخة هربت مني الحيوانات وكرهتني"، فرماها وفي الصباح حكا ما جرى له لمعلمه فقال له:" أبشر فقد رسم لك مستقبل زاهر"[3].

وفي رواية أخرى رواها "Barges " أنه عندما انتقل الى مدينة "فاس"، أخذ لنفسه منعزلا في الغابة القريبة من المدينةحيث كانت تقيم بالقرب منه غزالة يستانس بها، ومارس مهنة الخياطة ليعيل نفسه وأنه كان كلما سلك طريقه بإتجاه المدينة؛ كان يلتقي الكلاب التي كانت تحرس المدينة فكانت تركض بإتجاهه وتهز ذيلها علامة على السعادة والفرحة بلقائه، وفي يوم من الأيام وبينما هو في المدينة التقى أحدا من أقربائه الذين كانوا يعيشون بإسبانيا، وليضيفه

[1]- Emile Dermenghem, Vie Du Saint Musulments, Op.Cit, P349.
[2]- Emile Dermenghem, Vie Du Saint Musulments, Op.Cit., P 263.
[3]-Emil Dermenghem, Le Culte Des Saint Dant L'islamMagheribin, Op.Cit, P72.

أخذ قطعة القماش التي كان قد اشتراها لخيطها وباعها بعشرة قطع نقدية، ورجع للمكان الذي إلتقى به الشخص ليضيفه لكنه لم يجده؛ فأخذ القطع النقدية في جيبه وهم راجعا الى منعزله.

إلا أن الكلاب التي كانت عند باب المدينة تحرسها هاجمته، لولا أن سكان المدينة هبوا لمساعدته وابعدوا عنه الحيوانات الغاضبة لكانت قتلته، وسار الى الغابة لتستقبله الغزالة كعادتها لكنها ما أن بدأت تشمه حتى نفرت منه وبدت خائفة[1].

استغرب سيدي بومدين من الأمر وتحرك متوجها الى كوخه ووضع يديه في جيبه فلمس النقود، فسأل نفسه ما أن كانت النقود هي سبب نفور الحيوانات منه فأخذها ورماها، وعاد الى الغزالة الخائفة فاقتربت منه ورافقته؛ وفي الغد عندما عاد الى المدينة استقبلته الكلاب تهز ذيولها ترحيبا به، فعرف أن النقود هي السبب. وهكذا أكمل سيدي بومدين سنوات تعليمه في مدينة فاس دون أن يحمل النقود في جيبه[2].

من كرامات التي عرف بها سيدي بومدين وتحدث عنها "Emil Dermenghem " هي: ابتعاد الحيوانات المفترسة عنه وعدم مهاجمتها له، وقد أعطيت له هذه الكرامة من طرف سيدي "بوعزة المنور"، فعدما ذهب سيدي بومدين له ليتلقى العلم منه أعطاه كرامة الصحة والشبع؛ كما أضاف له قائلا عند مغادرته" يا بومدين انك ستلتقي بأسد فالطريق، فلا تخف منه وقل له:"من أجل حب المنور ابتعد" فإنه سيبتعد وبعدها ستلتقي مع ثلاث لصوص تحت شجرة، سوف تحثهم على التوبة اثنان منهم سيعودون الى طريق الحق، وثالثهم سيكمل حياتهم البائسة بالسرقة، ويموت مصلوبا على الشجرة التي التقيته عندها[3].

أما قصة سيدي بومدين والأسد معروفة، والتي حدثت لدى عودته من المغرب الأقصى حيث صادف أسدا يفترس حمار أحد الفقراء المساكين، والذي كان يراقب الواقعة من بعيد ويندب حظهفناداه سيد بومدين قائلا:" ما رأيك أن أوفر لكحيوانا أقوى"؛ فوافق المسكين البائس فنادى سيدي بومدين الأسد وجعل حول رقبته حبلا، وطلب من الرجل الذي فقد حماره ان

[1]-Barges, Op.Cit, P07.
[2]-Barges , Op.Cit, P07.
[3]- Emil Dermenghem, Le Culte Des Saint Dant L'islamMagheribin, Op.Cit, P60.

يقتاده ويجعل عليه عربة يعمل عليها لكن الرجلكان خائفا، ولم يرد أن يأخذ الأسد وطلب من سيدي بومدين إسترداده لانه سيفزع الناس، فأخذه سيدي بومدين وطلب منه الإبتعاد وعدم العودة ثانية فهرب الأسد مفزوعا ولم يره سكان المنطقة مرة ثانية[1].

ومن الكرامات التي ترواها عنه "Barges"، أنها لما قدم من المشرق واستقر بمدينة بجاية قد خطفه مجموعة من القراصنة المسيحيين الذين كانوا قد رسوا على أحد شواطئ بجاية، وبينما هو يتنزه اعتقلوه وقاموا بتغطية راسه؛ ووضعوه في قبو السفينة برفقة حجاج كانوا قد سطوا على سفينتهم فأغرقوها وسلبوها، واستعبدوا من فيها بغية بيعهم في سوق النخاسة، وما إن يصلوا الى أحد البلدان الأوربية، لكن كل آمال القراصنة ذهبت في مهب الريح؛ لأن السفينة أبت أن تتحرك رغم الرياح ورغم محاولة العبيد تحريكها بالمجاذيف، فأشار لهم أحد الذين أستعبدوا ان السفينة تأبى ان تتحرك بعد أن جلبوا آخر رجل فلربما هذا الرجل هو أحد أولياء الله، إن الله أعطى لأولياءه عهدا ان يدهب عليهم الخوف والحزن فما دام هذا الولي في السفينة لن تتحرك فهم القراصنة بإلقائه في البحر؛ فقال لهم سيدي بومدين لو ألقيتموني لن تتحرك حتى يغادر معي بقية المسلمين، فكان له ما أراد مبعد محاولات عديدة لتحريك السفينة، وبهذا كان سيدي بومدين سببا في تحريرنفسه، والحجاج من الأسر والإستعباد[2].

كما ينسب لسيدي بومدين العديد من أمور الموعظة الحسنة بين تلاميذه، والتي ترتبط بالكرامات، منها انه عرف بامر أحد تلامذته بعد ان نشب بينه وبين زوجته عراك كبير وقد قام بكسر أواني منزله وعزم على تطليقها؛ ففي اليوم الموالي عندما التحق بالدرسلاحظ سيدي بومدين امرا مشوبا عليه، وما ان فرغوا منه تقدم سيدي بومدين من تلميذه، وطلب منه الرجوع الى زوجته، وتعويضه لها عما أفسده وأن يتقي الله فيها؛ فسأله تلميذه عن الذي أخبره لأنه لم يخبر أحدا بالامر، فأجابه بأن كل شيء مكتوب على برنسه، وأضاف قائلا له: "أنه ليس على

[1]-Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, L'algérie Traditionnelle, Tome 01, Alger, 1923, P. 121.
[2]-Barges Jean Joseph Léandre, Op.Cit, P13.

كل رجل ما أن يحس بالانزعاج من رفيقته أن يكسر ممتلكاته الموجودة في منزله" فترك تلميذه مذهولا وعاد الى منزله ليكفر عن أفعاله[1].

ومما يذكر له من الكرامات التي ظهرت في حلقات التدريس التي كان يرأسها، إذ يحكى أن شخصا ذهب الى سيدي بومدين بهدف إنتقاده وقلب الحجج عليه، فذهب الى حلقات التدريسه وجلس ينصت لعله يجد الامر الذي جاء من اجله، وما أن بدا سيدي بومدين في درسه حتى توقف ونظر الى الرجل وقال له:"ما جئت تفعل هنا؟" فأجابه الرجل الغريب:"جئت آخذ من نور علمك" فسأله ماذا يحمل معه فأجابه أنه يحمل الكتاب المقدس، فسأله أن يفتح الكتاب ويقرأ أول سطر تقع عينه عليه، ففتح الغريب الكتاب وقرأ بصوت عالي:"كل من يتهم شعيب بالكذب يبقى ضائعا للأبد"؛ فأجابه أبو مدين شعب: أرجو أن يكون هذا درسا لك الى الأبد، ليعترف الرجل لاحقا بخطئه ويتعهد بأن لايسيئ التصرف أبدا[2].

إن كتاب"Barges"،"Vis Du Célèbre Marabout CidiAbou-Médien Autrement Dit Bou-Médin"رغم قيمته من حيث جمعه بعض الأخبار عن سيدي أبي مدين، إلا أنه يجب التعامل معه بحذر شديد كمصدر، لأنه يعكس رؤية استشراقية وكولونيالية أكثر مما يعكس حقيقة التصوف إسلامي أو النص القرآني؛ فهو وثيقة لفهم نظرة الاستعمار إلى أولياء الجزائر أكثر مما هو سيرة موضوعية لأبي مدين أن به بعض الأقوال، والأمثال الى تنسب للقرآن الكريم وهذا عائد الى عدم العودة إليه او التأكد من أصحاب العلم به.

6.2-وفاته:

سكن سيدي بومدين شعيب لبقية حياته مدينة بجاية، وعندما تولى سلطنة مراكش منأمراء الموحدين، فأرسل إليه ليلتحق بتلمسان فعظم عليه فراق أصحابه فقال لهم: "هونوا عليكم فإني رجل كبير السن ضعيف البدن، ووفاتي قدرت لي في غير هذا البلد؛ وأنا عاجز عن الوصول الى موضع الوفاة.فقيض الله من يحملني إليه برفق فأموت فيه، وأولئك القوم لا أراهم ولا

[1]- Barges, Op.Cit, P.16.
[2]- Barges, Op.Cit, P16.

يروننني، فأرسل السلطان إلى والي بجاية أن يحمل الشيخ مكرما محترما؛فحمل سيدي بومدين الى أن وصل تلمسان، ونزلوا به إلى موضع قبره وقالو له أنه صالح للدفن، فتوفي هنالك رحمه الله وأصبح المكان مزارا لأهل تلمسان[1]، سنة 594هـ-13 نوفمبر 1198م[2]،أو سنة 1197م[3]،أو سنة 1193م[4]؛ حيث نجد تضاربا في الكتابات الفرنسية حول سنة وفاته لكن الأرجح أنه إنتقل الى جوار ربه عن عمر ناهز 85 سنة[5].

7.2-مؤلفات سيدي بومدين شعيب:

كان سيدي بومدين الغوث رحمه الله عالما صوفيا متزنا، يدعو الى تحرير قلب المرء وربطه كليا بالحق، إمتلك حس الدعابة، واهتم بالشعر فألف ديوانه " ديوان سيدي بومدين" شعيب والذي لا تزال قصائده تغنى في الحفلات الروحية[6].

أما إنتاجه الفكري والديني والذي ضاع في معظمه لم نجد له سوى كتابين هما كتاب "الوصيات" وكتاب "العقيدة"[7]، وتحفة الغريب والذي طبع ونشر وترجم الى اللغة الانتنية من طرف "Fr. de Dombay " وهو كتاب يتحدث عن الروحانيات[8].

8.2-الزيارة الكبرى لسيدي بومدين:

يقوم سكان قرية سيدي بومدين ومدينة تلمسان، كل سنة بداية من اليوم الثاني لعيد الفطر بالتوجه الى مقبرة سيدي بومدين، أين يوجد ضريحه المبني والمزين على الطريقة الأندلسية أين يتدافع الناس على زيارة ضريحه، تترافق هده الزيارة بالعروض البهلوانية "للعيساوة" وضرب

---

[1]-مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في لعهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م، ص49.

[2]- Emile Dermenghem, Vie Des Saint Musulmans, La Bibliothèque De L'islam, Op.Cit, P 262.

[3]-Djamil Aïssani,Mille Ans De Pensée Soufie En Kabylie(Xi^{E}-Xxi^{E} Siècles) ,**Libyca**, Mémoire Du Centre National De Recherches Préhistoriques Et Anthropologiques Et Historiques , Nouvelle Série N°1, 2020, Alger, P67

[4]-Cl.Huart, La Littérature Arabe, Op.Cit, P 273.

[5]- Emile Dermenghem, Vie Des Sainst Musulman, La Bibliothèque De L'islam, Op.Cit, P 262.

[6]- Emile Dermenghem, Vie Des Sainst Musulman, La Bibliothèque De L'islam, Op.Cit, P 258.

[7]- Fatma-Zohera Oufriha, Au Temps Des Grands Empires Maghrébins, La Décolonisation De L'histoire De L'algérie, Chihabe Edition, Alger, 2015, P193

[8]-Cl.Huart, Op.Cit, P 273.

"البندير والغايطة والقلال"ورقصات وقفزات تقلد بها حيواناتكالجمل والنمروابنآوى؛ وتجارالكعك والعصير و"النوغة" والذين أسسوا لأنفسهم مساحة تجارية بالقرب منالضريح وهذا للاستفادة من الوفود الهائلة للنساء والرجال والأطفال القادمين من أجل الزيارة والتي ينظم إليها مقدم الطريقة القادرية والطيبة والذين ينظرون نظرة ازدراء لوفود العيساوة المحتفلة بالوعدة الكبرى لسيدي بومدين* .

يعتبر سيدي بومدين شعيب، من أعظم رموز التصوف في المغرب الإسلامي، وقد حظي باهتمام واسع في الكتابات الفرنسية منذ القرن التاسع عشر؛ خاصة مع توسع الاستعمار في الجزائر، فقد تناول المستشرقون مثل "Bargès و René Basset" سيرته وأثره الروحي لكن مقارباتهم لم تكن خالية من الخلفيات الكولونيالية.

ركزت هذه الدراسات على إبراز مكانته كشيخ للصلحاء ومرجع للطريقة الشاذلية، وأشارت إلى تلامذته الذين نشروا تعاليمه في المغرب والجزائر، غير أن كثيرا من هذه الكتابات انزلقت نحوالجانب الأسطوري والكرامات؛ حيث استخدم ذلك لتصوير المجتمع الجزائري على أنه مرتبط بالتصوف الشعبي أكثر من ارتباطه بالعقلانية أو الفكر الإصلاحي.

إجمالا، تكشف الكتابات الفرنسية أن الاهتمام بسيدي بومدين لم يكن بريئا، بل ارتبط بمحاولة فهم البعد الروحي والرمزي للمجتمع الجزائريبغية السيطرة عليه، مع تقديم الولي الصالح في صورة تجمع بين التقديس الشعبي والأسطرة؛ وهو ما يعكس التوظيف الاستعماري للمعرفة الإثنوغرافي.

3: سيدي الحلوي

* – يقوم إيدموند دوتي بسرد تفاصيل دقيقة عن الزيارة السنوية التي ترتبط بالولي الصالح سيدي بومدين وممارسات العيساوين بها للمزيد ينظر:

-Edmond Douté,Les Aïssâoua De Tlemcen, Imprimerie Matin Frères, France,1900,P6 Jusqu A La P11

1.3-نسبه:

لم تأتي أي دراسة فرنسية أو عربية بنسبه إذ يبقى ليومنا هذا مجهولا، فلم نعثر له الا على اسمه الكامل وهو أبو عبد الله الشوذي، الملقب "بالحلوي" والتي تنسب إليه الطريقة الشوذية[1].

2.3-حياته ورحلاته:

ولد سيدي الحلوي سنة 520هـ الموافق لـ 1126م بقرطبة بالأندلس[2]، ومن المؤسف اننا لا نملك معلومات عن طفولة وشباب سيدي الحلوي[3]عدا أنه كان معلم للقرآن[4]، وزاول مهنة االقضاءباشبيليا، ليغادرها من دون أي سبب يذكر نحو وجهة مجهولة؛ ترك قيادتها لله سبحانه وتعالى[5]، وليترك وراءه كل ممتلكاته وأمواله وعائلته التي لم تصلنا معلومات أنه كان متزوجا أولا، ليترك الحياة الغنى ولباس الحرير المطرز بالخيوط الذهبية، ويلبس الخرق ويأخذ معه عصا ومسبحة ومن دون زاد ركب سفينة متجهة نحو بلاد المغارب، حيث نزل بأول ميناء توقفت به بمدينة تلمسان[6] سنة 1266م الموافق لـ 665هـ[7].

اعتقد الناس في بادئ الأمر انه مجنونا أو انه درويش نظرا للخرق التي كانت تغطي جسده والمسبحة التي كان يحملها والعصا التي كان يستند اليها[8]، لا ندري لماذا غادر سيدي عبد الله الشوذي الملقب "بالحلوي" مدينة اشبيلية حيث اختلفت الروايات بأنه جاء لينشر طريقته السرية، ألا وهي الطريقة "الشوذية"، أو أنه جاء بعد سقوط الأندلس في يد المسيحيين وخوفه من محاكم التفتيش[9].

---

[1]-Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, L'algérie Traditionnelle, Tome 01, Alger, 1923, P 96.
[2]- Fatma-Zohera Oufriha, Op.Cit, P166
[3]-Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, L'algérie Traditionnelle, Op.Cit, P 96.
[4]- Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, L'algérie Traditionnelle, Op.Cit, P95.
[5]- Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, L'algérie Traditionnelle, Op.Cit, P95.
[6]- Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, L'algérie Traditionnelle, Op.Cit, P97.
[7]-Lady Herbera, L'algérie Contemporaine Illustrée, Victor Galmé, Paris, 1882, P30-29.
[8]-Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, L'algérie Traditionnelle, Op.Cit, P 97.
[9]-Lady Herbera, L'algérie Contemporaine Illustrée, Op.Cit, P30-29.

لم يأخذ سكان تلمسان سيدي الحلوي على محمل الجد، بل لقبوه بالمجنون حسب كل من "Alphonse Certeux Et Henry Carnoy "، وكان غير مرحب به فهرب من أمامه الناس الذين صرخوا بوجهه ليغادر جموعهم؛ لكن سيدي الحلوي كان أذكى وأدهى وأكثر جرأة من أن يكون درويشا، يجوب الأسواق من أجل تسول لقمة عيشهكان ينتظر اللحظة الحاسمة التي سيلعب فيها دوره كولي صالح[1].

لم تصور الكتابات الفرنسية أبو عبد الله شوذي على انه ولي صالح، وإنما اعتبرته ممثلا رائعا تنطبق عليه مقولة مذكورة بالإنجيل: «لا يوجد نبي في بلده»، وهذا من خلال حوار نقله لنا "Alphonse certeux et henry Carnoy"* لسيدي الحلوي جرى بينه وبين نفسه[2]

حوار يتهمون فيه سيدي الحلوي بأنه مصاب بمرض نفسي، أو له غاية يريد الوصول إليها من خلال تمثيليته هذه، حوار مبتذل تمازج بالخبث، والضحكات النفسية المتعالية حوار لا يمكن الوصول اليه إلا أن باح به عبدا الله شوذي لأحد؛ إلا أن هذا الحوار لا يممكن ان يكون من إلا وحي خيال الكاتبين.

فأبو عبد الله الشوذي–الحلوي–من الممكن ألا يكون قد ترك بلده بإرادته، لان الفترة التي ترك فيها سواحل إسبانيا كان مدركا بأن حكم الموحدين بدأ في التراجع بالأندلس، وأنه لا مكان له هناك بعد الآن، فكيف لطريقة سرية أن تنتشر في ظل فوضى سياسية، وأن مدينة تلمسان والتي كانت تحت حكم "يغمراسن بن زيان" (665هـ/1266م) كانت ساحة رطبة لنشر أفكاره بأي طريقة كانت ولو بدأت بصورة رجل مجنون[3].

وللوصول الى الغاية التي يريدها–الحلوي–لم يعتمد التسول بين أزقة مدينة تلمسان بالرغم من إفلاسه، بل افتتح بها محلا للحلويات من خلال بعض المساعدات المقدمة من تجار المدينة، وبدأ في توزيع الحلوى على الأطفال وبيعها ومن هنا جاءت تسمية "الحلوي"

[1]-Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, Op.Cit, P 97.
[2]-, Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, Op.Cit P 97.
[3]- Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, Op.Cit, P 98.

حشد حوله الأطفال[1] حيث اشارت"Lady Herbert"* أن سيدي الحلوي إستغل الأطفال وهم يحتفلون حوله وهم يحتفلون حول ويغنون لغايته جلب الأغر سنا، لتنبيه أكبرهم، فصار هؤلاء الأطفال يصفقون ويرقصون من حوله، مرددين "بابا الحلوي" هذا الدرويش الاحمق هذا الأبله كما كان يلقب في المدينة، والذي سرعان ما إغتنم الفرصة المناسبة، ويغير النغمة واللغة ووضع صينية الحلوة جانبا وبدأ في الحديث عن العقيدة؛ والأخلاق والدنيا والآخرة وجوهر الروح والتقرب الى الله، بلغة سهلة مثيرةللجدل من السهلأن يفهمها هؤلاء الصغار وينقلوها[3].

ينقلون خطابات لا تخرج من فم درويش أبله، كما لقبه سكان تلمسان بل من فم عالم فقيه له أن يوصل المعلومة للعامة، ليتأكد سكان تلمسان حينها؛ ان من نعتوه بالكاذب عندما قال إنه قاض اشبيلية. ومن نعتوه بأنه مجنون عندما قال إنه معلم قرآن، لجدير بإسم عالم[4].

راح سيدي "الحلوي" يعضهم ويحدثهم عن الدين، فذاع صيته والتف حوله الناس حيث وجدوا له كرامات في صحة قوله ووصل هذا الأمر الى السلطان والذي عينه حاكما أو واليا على تلمسان[5]، وفي روايات أخرى معلما لأبنائه[6].

---

[1]-Lady Herbera, Op.Cit, pp 30-29.

*-Lady Herbert ليدي هربرت :(1822–1911) (Mary Elizabeth Herbert, Lady Herbert of Lea) كاتبة ومترجمة بريطانية تنتمي إلى طبقة النبلاء الإنجليز، اشتهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بأعمالها الأدبية والتاريخية، وباهتمامها بالشؤون الدينية والثقافية في أوروبا وحوض المتوسط. اعتنقت الكاثوليكية، ما انعكس على مؤلفاتها ذات الطابع الديني والاجتماعي.من بين أعمالها كتاب «L'Algérie contemporaine illustrée» الذي نشر بباريس سنة 1882 عن دار Victor Palmé حيث قدّمت فيه رؤية وصفية وانطباعية عن الجزائر المعاصرة لزمنها، مدعّمة بالرسوم والخرائط، في سياق الاهتمام الأوروبي بالبلدان المغاربية خلال الحقبة الاستعمارية ينظر:

-Lady Herbert, L'algérie Contemporaine Illustrée, Victor Galmé, Paris, 1882, p319.

[3]-Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, Op.Cit, P 99.
[4]-Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, Op.Cit, P 99.
[5]-Lady Herbera, Op.Cit, P30-29.
[6]-Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, Op.Cit, P 98.

عندما غادر عبد الله الشوذي اشبيلية، واستقر بمدينة تلمسان عرف باسم سيدي الحلوي والذي ذاع صيته عبر شمال إفريقيا على أنه ولي صالح، عارف بالله وملم بعلوم الدين حيث قيل عنه أن الله وهبه معرفة الأمور الظاهرة والباطنة؛ وان الجن بخدمته وقدسه سكان تلمسان بعد أن نعتوه بالأبله.ولهذا طلب سلطان تلمسان من وزيره الأول، المجيء به الى لبلاط القصر لاستجوابه، ليأمر الوزير لحراس بإحضاره، وما إن قدموا به للحاكم؛ دعاه أمير لمؤمنين بلطف للجلوس بجانبه.وظل يطرح عليه في الأسئلة لأزيد من ساعة، ليتأكد في الأخير من تمكن عبد الله الشوذي –الحلوي– من العلوم الدينية، ويطلب منه أن يدرس الأمراء–أبناءه– وبتلعثم يجيبه "الحلوي" أن هذه المهمة صعبة، ولكنه قبل بالمهمة الموكلة إليه في الأخير شرط ان لا يقيم في القصر[1].

3.3–كراماته:

تولى سيدي الحلوي تعليم الأمراء أبناء حاكم تلمسان، وبرع في ذلك حتى ان تصرفات الأمراء تغيرت للأحسن، حيث ان الحاشية السلطان كانت قد أفسدت طباعهم، ولينتقلا من الجهل والظلمات الى نور العلم؛ والتدين والمداومة على الصلاة ليصبحا معجزة بالنسبة للسلطان حيث كان قد فقد الأمل فيهم.

ليفرح السلطان بذلك، ويهنئ نفسه بالقرارالذي إتخذه، ويعرب عن ذلك أمام وزرائه[2].

وفي أحد الأمسيات في بلاط السلطان "يغمراسن"، كانت مائدة العشاء قد وضعت عليها العديد من أصناف المأكولات، وأفخرها إلا أن الأميرين لم يرغبا به، ليسألهم السلطان عن السبب فأجابه أحد الشابين بخجل: «...اننا لم نعد جائعين، لأن معلمنا يقدم لنا طعاما عجيبا يرضي دوقنا ويوقف شهوتنا، فلهذا عندما نعود الى القصر مساءا لم تعد لدينا رغبة في لمس الأطباق التي تقدم إلينا؛ فسألهم السلطان من ين يحضر هذا الطعام العجيب، فأجابوه بأنه يكشط الحائط بأظافره فتسقط منه فتاة الجص، فيأخذه ويدلكه في كف يده ليتحول الى طعام

[1]-Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, Op.Cit, P. 100
[2]- Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, P. 101.

رائع، ويكافئنا به كلما كان راضيا عنا، ولهو ألذ طعام تذوقناه في حياتنا على الإطلاق له نكهة أحلى من العسل، تشبع جوعنا بسرعة وتمنحنا في كل مرةطاقة وقوة حماسا، لا مثيل لها لعمل بجد؛ لذلك يا مولاي نحن لا نريد أي غذاء آخر، وهذا ما أثار حفيظة السلطان ويبلغ وزراءه بالأمر مما جعل الشيطان يتسلل بينهم ويشير لهم أن يتهموه بالسحر[1].

4.3-ألقابه:

لقب أبو عبد الله الشوذي، بسيدي شوذي، وسيدي الحلوي، ودرويش مول الكعك؛ القاب التسقت بشخصه حتى يعد وفاته.

5.3-وفاته:

كونه أصبح معلم الأمراء الحكام المستقبليين لتلمسان ينقل " Alphonse Certeux Et Henry Carnoy" أن هذا الأمر لم يعجب الصدر الأعظم، وأشار لحاجبه أن يغرس فكرة السحر بعد حادثة الطعام العجيب، لذي قدم للأمراءفأسرع الحاجب للسلطان وقال له:« كما ترى يا مولاي، إن هذا الفعل لا يصدر إلا من رجل ساحر، صاحب الشيطان؛ ولي كاذب سيء السمعة، يخدعك ويفسد أولادك، يجب معاقبته عقاب يليق مع الإساءة التي قدما الى شخص أمير المؤمنين، فأجابه السلطان: أظنه كذلك لقد خدعني هذا الرجل الساحر، يجب معاقبته على فعله المخزي؛ أخرجوه وراء أسوار المدينة وأقطعو رأسه وتركوه عبرة لمن يعتبر»[2].

أسرع الحاجب لنقل الخبر الى سيده الوزير، والذي أسرع في إعتقال عبد الله شوذي[3]واتهم سيدي الحلوي بالسحروالزندقة، وأدين وحكم عليه بالإعدام خارج أسوار المدينة؛ كما أمر السلطان وهذا ماأثار حفيظة سكان المدينة، الذين خرجوا خرج أسوارها ليرو ما حل بوليهم حيث حذرهم البواب من التأخر مخافة أن يقوم بغلق عليهم الباب، ليسمع بعدها صوتا خارج أسوار المدينة يقول:" أغلق الباب أيها البواب فلم يبق خارجا سوى الحلوي المظلوم" ليتكرر هذا

[1]-Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, Op.Cit, P 100.
[2]- Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, Op.Cit, P. 102
[3]- Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, Op.Cit, P. 102

الصوت لمدة سبعة أيام وليسمعه جميع الحراس الذين تداولوا على حراسة باب المدينة[1]، ليبدأ بعدها سكان المدينة في التذمر[2].

استمر الصوت الذي أثار رعب الحراس يعلو يوما بعد يوم فلم يستطع الحراس تحمل الأمر ليقرر أحدهم إخبار السلطان، وما إن وصل الحارس حتى وقع على ركبتيه ووجه للأرض من ذعر الذي عاشه الليل الماضية قائلا للسلطان: «معجزة يا مولاي معجزة، إننا نسمع صوت سيدي الحلوي كل ليلة؛ بعد إغلاقهفأجابه السلطان حسنا حسنا، سآتي الليلة واسمعه بنفسي غادر الآن وإنتظرني بعد صلاة العشاء عند باب المدينة». وما إن حل المساء حتى تنكر السلطان، وحرص على عدم تفويت الموعد لياخذ معه وزيره الذي كان ميتا أكثر منه حيا، وما إن وصل الى باب المدينة؛ أشار له الحارس الى أذنه أن يسمع بعد إغلاق أبواب المدينة[3].

وفي حالة من الهلع والخوف أجاب السلطان مرددا لقد "سمعت لقد سمعت"[4]، وفي صبح يوم التالي تم اعدام الوزير الأعظم في نفس المكان الذي أعدم فيه سيدي الحلوي، وهذا بدفنه حيا برفقة الحاجب في الطين؛ وبسبب الظلم الذي تعرض له سيدي الحلوي بني له مسجد سمي بإسمه بجوار الضريح الذي دفن فيه[5].

تتشابه أسطورة وفاة سيدي الحلوي مع العديد من اساطير الأولياء المعروفين، امثال سيدي عبد الحق ببجاية وسيدي علي المظلوم بتيزي وزو، وسيدي علي زواوي بالبليدة[6].

[1]- P. Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, Op.Cit102
[2]-Lady Herbera, Op.Cit, P 2930.
[3]-Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, Op.Cit, P. 102
[4]- Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, Op.Cit, P. 102
[5]-Lady Herbera, Op.Cit, P30-29.
[6]-Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, Op.Cit, P. 105

6.3-وعدة سيدي الحلوي السنوية:

تقام وعدة سيد الحلوي سنويا بالقرب من ضريحه، والمسجد والقرية اللذان سميا بإسمه – "سيدي الحلوي"[1]، إلا أن الوعدة لا تقتصر فقط على اطعام الطعام للفقراء بل لغناء قصيدة سيدي الحلوي التي كتبها الشيخ أبن مساعد لرثاء سيدي الحلوي[2].

يعتبر سيدي الحلوي واحدا من الشخصيات الروحية البارزة في الغرب الجزائري، ارتبطت به روايات كثيرة امتزج فيها التاريخ بالأسطورة، الأمر الذي جعل صورته تتجاوز البعد الديني لتأخذ مكانة اجتماعية وثقافية؛ فقد نظر إليه الأهالي باعتباره وليا صالحا له كرامات، بينما اهتم المؤرخون والرحالة الفرنسيون مثلألفونس سارتو(AlphonseSerteux)وهنري كارنو (Henry Carnoy)بما نسج حوله من قصص شعبية ومسابقات وطقوس جماعية. هذه الكتابات لم تقتصر على الجانب الديني فحسب، بل أبرزت كيف أصبح سيدي الحلوي رمزا محليا يوحد المجتمع ويشكل جزءا من مخياله الجمعي.

4-سيدي سنوسي دفين تلمسان:

إن الحديث عن «السنوسي» قد يشير إلىزعيم إصلاحي مؤسس لطريقة كبرى، كما قد يشير إلى ولي محلي في سياق أسطوري وشعبي، مما يجعل التفريق بينهما أمرا ضروريا لفهم دقيق لذلك إرتأيت التطرق الى سيدي سنوسي دفين تلمسان لتسهيل التفرقة بينه وبين الزعيم السنوسي دفين جغبوب.

4.1-نسبه:

وهو ابو عبد الله محمد بن محمد، ولد في بني سنوس بالقرب من تلمسان، سنة 1428م[3].

---

[1]- William Marçais EtGeorgeMarçais, Les Monnument Arabes De Telemcen, Lirairie Des Écoles Francaise, Paris, 1903, P286.

[2]– للإطلاع على قصيدة الشيخ ابن مساعد في رثاء سيدي الحلوي ينظر:

-Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, Op.Cit, P. 105.

[3]- G. Delphin, La Philosophie Du Cheikh Snoussi D'après Son Aquida Es-S'ora, Le Journal Asiatique, Extrait Du N° De Sptembre- Octobre, Impremrie Nationale, Paris, 1897, P 02.

4.2-مؤلفاته:

ألف سيدي سنوسي عدة كتب نذكر منها كتابه "الصور" وهو كتاب في فلسفة العقيدة وكتابه "العقيدة الكبرى"[1]، وقام (G. Delphin) بدراسة مؤلفات سيدي سنوسي، فإعتبر أن مؤؤله الصورة هو جزء مستخلص من كتابه العقيدة الكبرى؛ وأن كتابه العقيدة الكبرى ليس كتابا مثيرا للجدل ولا يتعدى ان يكون كتابا مدرسيا في الفلسفة. يناقش وحدانية الله وخلق الكون ويوم القيامة، حيث تابع (G. Delphin) ترجمة بعض ما جاء في كتاب "العقيدة الكبرى"[2].

3.4-وفاته:

وتوفي سنة 1490م[3] لم نأبى عدم ذكر سيدي سنوسي دفين تلمسان في عملنا المتواضع حتى وإن كانت الكتابات الفرنسية شحيحة عنه وهذا لكي يفرق القارئ بين سيدي سنوسي دفين جغبوب ودفين تلمسان لأن موضوع الصلحاء يشد الخاص والعام، حضور سيدي سنوسي دفين تلمسان،في الذاكرة الشعبية في الغرب الجزائري مازالت تعطي مكانة خاصة للأولياء المحليين الذين ارتبطوا بحياة الناس الروحية واليومية، فالكتابات الفرنسية التي تناولت ضريحه لم تهتم كثيرا بجوانب سيرته؛ بقدر ما رصدت ظاهرة التقديس الشعبي له كرمز للبركة والحماية، ومن خلال هذا المثال يتضح أن الاهتمام بالصلحاء عند الاستعمار لم يكن مقصورا على الكبار من مؤسسي الطرق، بل شمل أيضا أولياء محليين مثل سيدي سنوسي الذين شكلوا نقاط جذب للذاكرة الجمعية، وأدوات لفهم علاقة الأهالي بأرضهم وعالمهم الروحي.

يمكن الاستنتاج أن صورة سيدي محمد السنوسي في تلمسان تعبر عن نموذج الولي المحلي الذي يجسد الذاكرة الدينية والهوية الروحية للمدينة، في مقابل صورة السنوسي الكبير في جغبوب الذي يجسد المشروع الإصلاحي والتنظيمي الواسع، إن هذا التباين في الصورتين يوضح كيف أن اسما واحدا قد ينتج معنيين مختلفين: أحدهما محلي وشعبي؛ والآخر إصلاحي وسياسي.

---

[1]- G. Delphin, Op. Cit, P 08.
[2]-G. Delphin, Op. Cit, P P 14-19.
[3]- G. Delphin, Op. Cit, P 02.

رابعا: صلحاء حوض شلف الغربي:

1-شيخ بن عليوة:

1.1-نسبه:

هو أحمد ولد مصطفى[1] والمعروف بالقاضي، ابن محمد المعروف بأبي شنتوف، ابن الولي الصالح الملقب ب "مدبوغ الجبهة" ابن الحاج علي المعروف عن العامة بعليوة المستغانمي وأبو العباس الشهير بالعلوي وبإبن عليوة[2].

وكأغلب الصلحاء في مختلف الدراسات باللغة الفرنسية، فإننا لا نجد نسبهم إلا قليلا فيتوجب علينا العودة الى كتب الأنساب، أو إلى مؤلفاتهم حيث نجد الذكر الكامل لنسبهم ولذي غالبا ما يكون شريفا؛ وهذا ما يكون من الشروط الاساسية في الولاية.

2.1-حياته ورحلاته:

ولد شيخ بن عليوة بمدينة مستغانم سنة 1872م[3]، ينتمي الشيخ بن عليوة لعائلة متواضعة حيث عمل شيخ بن عليوة كصانع أحذية، وحلاقا وبقالا في شبابه لكنه أفلس سنة 1908م ليترأس شركة إطعام جديدة ويحقق بعض الراحة في الجانب المالي؛ وفي غضون ذلك قام بدراسات دينية قوية على يد شيخ بوزيد الدرقاوي الهبري حيث بقي تلميذا لديه الى حين وفاته سنة 1909م[4].

سافر الشيخ بن عليوة وقام بعدة رحلات منها الى سورية وبلاد فارس، ووصل الى الهند وهذه الرحلات يشوبها الغموض، حيث تعتبر تفاصيل هذه المرحلة غير معروفة في حياته فلم

[1]- A. Berque, Un Un Mystique Moderniste Le Cheikh Benalioua, Société Historique Algérienne, Alger, 1933, P01.

[2]-أحمد بن مصطفى بن عليوة المستغانمي، رسائل الشيخ المستغانمي، ضبطها وصححها الشيخ علي الكيالي، دار الكتب العلمية، بيرروت لبنان 1971م، ص 11.

[3]-G.-C Anwati Et Louis Gardet, Mystique Musulmane Aspects Et Tendances Et Techniques, Librairie Philosophique J. Vrin, Paris, 1976, P72

[4]- A. Berque, Op.Cit, P01

يذكر فيها مع من التقى؛ أو على يد من تعلم سوى أنه درس الثوماتورجيا.وعلم الباطنية وثيوصوفيا والتنجيم وربما التنويم المغناطيسي[1].

كما تم تعرف على ما يبدوا بأشكال اليوغا[2] ولدى رجوعه قطع علاقاته مع عن الدرقاوة وليؤسس طريقة جديدة أسماها العليوية أو العلاوية[3]؛ وبنى لها زاويتين واحدة بمستغانم والاخرى بالجزائر العاصمة، كما أسس لها جريدة ناطقة باللغة العربية تحت اسم البلاغ الجزائري[4] ومثل الخلاوتية بالشرق فقد استقطبت العلاوية العديد من الأتباع، وأخضعوا للخلوة حيث كان يبقى المريد ف العزلة لمدة ثلاثين يوما؛ لا يتلقى إلا زيارات قليلة من شيخه.وهو يردد ليلا نهارا اسم الله وحده[5]، حيث تلقى هذا النوع من التعبد المتعصب هجومات من قبل خصومه خاصة الوهابيين الجدد وبعض الصلحاء، فبنسبة لهم الطريقة العلاوية عقيدة جديدة مشوشة لمريديها الجاهلين، بمضمونها والذي يشبه في حد كبير الإنجيل الجديد[6].

أطلق الشيخ بن عليوة على نفسه صفة الغوث، والتي نعتبر أعلى مراتب في سلسة الصلحاء، كما نعت نفسه بالإمام والمهدي المنتظر، وهذا نتيجة للممارسات النفسية الميتافيزيقية التي كان يمارسها على نفسه، ووصوله لنشوة التي سماها بالتطهير الروحي؛ والتي من خلالها يرى روحالله الموجود فيه والتي أرشدته الى النبي صلى الله عليه وسلم، والذي كلفه بمهمة مهمة جمع كل من آمن بالله تحت راية الإسلام الجديد[7]، او ما سماه بالحركة الوهابية الجديدة الجزائرية؛ وهذا ما أدخله في صراع دائم مع جمعية العلماء المسلمينفهو كان يرى أن الدين لن يتجدد، على يد الإصلاحيين الذين رأى فيهم التناقض الكامل لما جاء به الإسلام، وأن حربهم ضد المرابطين والزوايا ماهو إلا فسح للطريق أمام المبشرين لأن الصوفيين هم من وقفوا أمام الحركات التبشيرية التي أرادت اجتثاث الدين الإسلامي وان تحل محله دينا جديدا، وأن ماجاء

[1]- A. Berque, Op.Cit, P01
[2]-G.-C Anwati Et Louis Gardet, Op.Cit, P72
[3]- G.-C Anwati Et Louis Gardet, Op.Cit, P70
[4]- A. Berque, Op.Cit, P01
[5]-G.-C Anwati Et Louis Gardet, Op.Cit, P72
[6]- A. Berque, Op.Cit, P01
[7]- A. Berque, Op.Cit, P17

به هو لا يتناقض مع الأرثدكسية الإسلامية التي يدعون إليها لكنه أضاف إليها قمع الذات والشهوات للوصول الى الصفاء الإلهي[1].

يذكر "A. Berque " عن بن عليوة أنه سمح في أحد الاستفتاءات، التي رفعت إليه من قبل أحد الذين أسلموا على يده أن يقرأ الشهادة باللغة التي يتقنها إن صعب علبه قراءتها باللغة العربية، ففي رأيه أن الإيمان بالله ورسوله لا يكون فقط باللغة العربية؛ لان اللهيفهم اللغات وجواز قراءة القرآن باللغة الفرنسية؛أو التركية على أن تكون ترجمة تفسيرية لا تتم الصلاة بها كما دخل في صراع كبير مع جمعية العلماء المسلمين بداية من القبلة، والتي كان يصلي فيها أتباعه باتجاه مدينة مستغانم، والتي أنكر فيما بعد أن يكون قد اتخذ مدينة مستغانم قبلة بدل الاتجاه الى بيت الله الحرام؛ وقضايا أخرى الإمساك الأيدي أثناء السجود، وشد المسبحة واستعمال المبخرة أثناء الصلاة، وقضية ترجمة الكتاب المقدس، الذي استعمل منه الشيخ بن عليوة مقتطفات أثناء خطاباته، وقضية جواز التثليث والتي تعتبر شركا في الإسلام والتي اتهم بجوازها؛ إلا أن الشيخ بن عليوة أنكر ذلك بنفسه، وهو الذي كان دائما يدعو الى التوحيد في كل خطاباته وأن دعوته الى تشكيل دين جديد إنما هي صيغة أطلقها لكي يوحد المسلمين، والمسيحيين تحت راية الإسلام[2].

جمع شيخ بن عليوة حوله العديد من تلاميذ بسبب بلاغته العالية، ومعرفة الواسعة التي كهربت كيانات دواوير كاملة؛ وعديدة خاصة تلك المحاذية لمدينة مستغانم حيث كان الشيخ يقوم بدورات عديدة من أجل استقطاب أكبر عدد من المريدين لطريقته[3].

إن مظهر شيخ بن عليوة الضعيف أعطى للناس إحساسا بالزهد، فقد كان مشرقا بالرغم من شحوبه وهذا ما جعل منه مغنطيسا يحلب الناس إليه، تمتع بالقوة والفخر ؛ كما كان مهذبا للغاية منعزلا أعطا نوعا من أنواع الصلاح الجديد، فلم يعرف الناس عن الأولياء الصالحين

[1]- A. Berque, Op.Cit, P17.
[2]-A. Berque, Op.Cit, P44-43.
[3]- A. Berque, Op.Cit, P35.

سوى ضريحهم فقط، فلقد جاء الشيخ بن عليوة وأعطى صورة جديدا للولي الصالح الحي، بعد أن كانت غامضة[1].

كان شيخ بن عليوة لبعض الوقت ناجحا جدا، وكانت طريقته منقسمة الى شقين: شق ظاهر للجماهير وللأتباع، وشق للطبقة المتميزة صاحبة النفوذ(خاصة)، كان يعرف كيف يكسب أصحاب الثقافة الأوربية العالية[2]، وقد أسلم العديد من المسيحيين على يده[3]؛ لكنها أفلت بمجرد وفاته[4].

3.1-أوصافه:

كان شيخ بن عليوة رحمه الله غالبا ما يرتدي عمامة بيضاء، وكان دائما شاحب اللون لحيته بيضاء، عيناه غائرتان في رأسه؛ يداه طويلتنا بإيماءات مثقلة. صوته خافت رقيق، ذكيا ذو قدرة إقناعية عالية[5].

.4.1-وفاته :

وبسبب تحمسه الزائد للزهد فقد مارس شكلا من أشكال التجويع الذاتي والذي سماه الحرمان الإلهي، والذي أدى إلى وفاته في الرابع عشر من جويلية حسب"A. Berque "[6] سنة 1934م بمدينة مستغانم بعد أن دخل غيبوبة جراء نقص حاد في سكر[7].

مؤلفاته:

يوجد للشيخ بن عليوة في رصيده المؤلفات التالية:

عدة مقالات منشورة في جريدته البلاغ الجزائري.

-المنن القدسية

[1]- A. Berque, Op.Cit, P01.
[2]-G.-C Anwati Et Louis Gardet, Mystique Musulmane…, Op.Cit, P72.
[3]- A. Berque, Un Un Mystique Moderniste Le Cheikh Benalioua,Op.Cit, P57
[4]-G.-C Anwati Et Louis Gardet, Mystique Musulmane…, Op.Cit, P72
[5]- A. Berque, Un Un Mystique Moderniste Le Cheikh Benalioua, Op.Cit, P06
[6]- A. Berque, Un Un Mystique Moderniste Le Cheikh Benalioua, Op.Cit, P01
[7]-G.-C Anwati Et Louis Gardet, Mystique Musulmane..., Op.Cit, P72

-كتاب نور الأثمد في سنة وضع اليد على اليد في الصلاة.

-كتاب القول المعقول.

-كتاب القول المعروف.

-كتاب ديوان سيدي أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي[1].

حظي الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي، مؤسس الطريقة العلاوية في أوائل القرن العشرين بمدنية مستغانم، باهتمام خاص في الكتابات الفرنسية، نظرا لتأثيره الكبير روحيا واجتماعيا في الجزائر؛ فقد رأى فيه الباحثون والإداريون الاستعماريون نموذجا للزعيم الصوفي القادر على تعبئة الأتباع.لكن في الوقت نفسه حاولوا تصويره كرمز لـ «الإسلام المعتدل» القابل للتعايش مع السلطة الاستعمارية.

ركزت بعض الدراسات الإثنوغرافية، مثل أعمال (**Louis assignon**)* وOctaveDepontو Xavier Coppolani، على دور الشيخ العلاوي في نشر الذكر والورد وتنظيم الزوايا؛ وأبرزوا بعده الروحي الذي امتد حتى خارج الجزائر نحو المغرب وتونس وفرنسا نفسهاحيث كان له أتباع بين الجالية المغاربية، غير أن هذه الكتابات لم تخل من منظور كولونيالي، إذ غالبا ما قدم سيدي الشيخ بن عليوة كأداة يمكن توظيفها لاحتواء التيار الصوفي في مواجهة التيارات الإصلاحية أو الوطنية التي بدأت تبرز في الثلاثينيات القرن الماضي.

2-سيدي السنوسي

2.1-نسبه:

وهو سي محمد بن سي علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي المجاهري[3]، ينتهي نسبه **إلى** الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ[4].

---

[1]- A. Berque, Un Un Mystique Moderniste Le Cheikh Benalioua, Société Historique Algérienne, Alger, 1958, P05

*-لويس ماسينيون(**Louis Massignon, 1883–1962**) :مستشرق فرنسي بارز، تخصص في الدراسات الإسلامية والتصوف وشغل مناصب في مؤسسات بحثية عدة. للمزيد ينظر:-

-de VitrayMeyerovitch, Louis Massignon et le dialogue des cultures, Paris, 1982 ,PP 17-20.

[3]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes, Op.Cit, P298.

[4]- محمد الطيب بن عبد المجيد، السنوسية دين ودولة، طرابلس، 1973، ص 09.

2.2-حياته ورحلاته:

ولد سيدي محمد بن سي علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي المجاهري[1]، سنة 1206هـ[2]بين سنتي (1791م-1792م) في دوار التورش بمدينة مستغانم[3]، حيث عرف بين أهله عرف الشيخ السنوسي بطابعه المتهور والذي اضطره الى الانفصال عن عائلته ومغادرتها[4]لما بلغ سيدي سن الثلاثين فغادرها متجولا في المغرب؛ والجزائروطرابلس ومصر.

ليواجه مشكلة في مدينة القاهرة مع العلماء الذين اتهموه بالزندقة، ليغادرها وينتقل الى مكة وينظم الى الطريقة الخضرية* ، لسيدي أحمد بن إدريس ليدخل في صراع جديد مع علماء وسلطتها بسبب توجهاته وأفكاره ويتركها سنة 1843م؛ وينتقل الى طرابلس بالجبل الأخضر حيث بنى زاوية جديدة بمدينة البيضاء، وليتنقل من جديد الى مدينة جغبوب سنة 1855[6].

وفاته

توفى بها سنة 1276هـ[7]، الموافق لسنة 1859م[8]، بجغبوب[9]؛ ليترك بركته الى إبنيه رغم صغر سنهم-الأكبر في سن الرابعة عشر والأصغر في سن الثالثة عشر-في رعاية المريدين التابعين للشيخ السنوسي متبعين سياسة والدهم، والذي أسس فكرة الوطن في الإسلام من خلال التأكيد على أن وطن المسلم، هو في أي مكان حيث يدعى الله، وهذا لحشد المسلمين المنتشرين عبر أرجاء المعمورة؛ من أجل إنتصار العقيدة الإسلامية[10].

4.2-كرامات الشيخ السنوسي:

---

[1]- P.J André, Op.Cit, P298.
[2]-G.-C Anwati Et Louis Gardt ,Op.Cit, P71.
[3]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes, Op.Cit, P 298.
[4]-René Pottier, Histoire Du Sahara, Nouvelles Editions Latines, Paris,1947, P225

*-الطريقة الخضرية: تنسب لسيدنا الخضر يدعي أصحاب هذه الطريقة أن سيدنا الخضر زارهم في المنام وعلمهم الطريقة.

[6]- P.J André, Op.Cit, P299.300
[7]-G.-C Anwati Et Louis GardetOp.Cit, P71.
[8]- P.J André, Op.Cit, P299.300.
[9]-P.J André, Op.Cit, P224.
[10]- P.J André, Op.Cit,, P225.

عندما إنتقل الشيخ السنوسي من مصر الى مكة، إعترض بعض اللصوص القافلة التي كان فيها، فدعى عليهم بالمرض فأصيبوا بمرض الجذري وماتوا كلهم قبل أن يصلو الى بيوتهم و بعد ذلك وبالرغم من أن قافلته تعرضت للسلب، فإنه بعد انم نصبت الخيم لراحة المسافرين الذين معه فإن خيمة شيخ السنوسي الجزائري كانت مليئة بالإمدادات الغذائية والتي ظل يقسم فيها بين افراد القافلة ولم تنتهي؛ فكرامات الشيخ السنوسي تمثلت العناية الإلهية التي شملته طوال حياته، وإضافة الى هذا فإن هذه الكرامات انتقلت الى مريديه فأحد شيوخ السنوسية ترك ما يقارب من إلفي جمل من أجل ان تكون عونا للتائهين، حيث أنها تظهر وتختفي لهم تطعمهم من حلبيها وترشدهم للطريق الصحيح[1].

5.2-علاقة السنوسية بالإحتلال الفرنسي:

إن السبب الرئيسي لتأسيس الطريقة السنوسية، هو الاحتلال الفرنسي، فهذا الظهور لهذه الجماعة جاء كرد فعل على هذا الاعتداء الأوروبي الكافر؛ فالعقيدة السنوسية مبنية على الجهاد المقدس الصادر ضد كل ما هو أوربي، ان كل ما يأتي من أوروبا، في نظر السنوسية ملوث الى حد ما بالمسيحية[2]، ونظرا للتأثير الكبير للسنوسيةعلى إتباعها خاصة من خلال قصص الكراما وإيمانهم بها؛ استطاعت جمع عدد كبير من المريدين خاصة الليبيين حولها ما جعل منهم جيشا من المستحيل هزيمته.

ما جعل العثمانيين مثلهم مثل المسيحيين الغزاة يعقدون الهدنة معهم لعدم القدرة على هزيمتهم[3].

ناصبت الإدارة الفرنسية في سنوات 1880م-1900 العداء في المقام الأول للطريقة السنوسية وأتباعها، بالرغم من أن عدد المنتسبين اليها من الجزائر عددهم ضئيل للغاية، إلا ان مكانتها الدولية خوفت الإدارة الفرنسية، بعد ما سببته مذبحة "فلاترز""Flatters" من خسائر في الجانب الفرنسي؛ ودعمها لمقاوم بوعمامة في لجنوب الغربي، من قبل زعيمها المحلي في الجزائرشيخ

[1]- P.J André, Op.Cit, P225.
[2]- P.J André, Op.Cit, P224.
[3]-René Pottier, Histoire Du Sahara, Op.Cit, P225

التكوك الذي اعتقل مرتين ،وأطلق سراحه حيث لم يثبت عليه أي جرم، لكن بقيت الطريقة السنوسية أكبر خطر يهدد فرنسا في الجزائر على الإطلاق؛ وفي سنة 1893م ألقي القبض على إبن الشيخ سونوسي والمدعوا أحمد، بتهمة التنقل الى جغبوب عاصمة السنوسية دون إذن، لينقل الى مدينة كالفي بكورسيكا ويحاكم هناك يسجن، لكن سرعان ما تم إطلاق سراحه بعد تهديدات عديدة من أتباع السنوسية بجغبوب؛ ولكن لم يكن كل أتباع الطريقة السنوسية محظوظين خلال هذه الفترة،فكل مسلم أجنبي يتجول في الجزائر يعتبر عميلا للسنوسية ويعمل للصالح الوحدة الإسلامية العثمانية، وعلى هذا النحو يقبض عليه ويطرد أو يحاكم ويسجن[1].

إن الطريقة السنوسية، التي أسسها محمد بن علي السنوسي جغبوب، حظيت باهتمام واسع في الكتابات الفرنسية خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين؛ فقد نظر إليها الفرنسيون لا باعتبارها مجرد طريقة صوفية بل كقوة دينية وسياسية ذات امتداد واسع في الصحراء الكبرى.

ركزت هذه الكتابات الإثنوغرافية والاستشراقية لإميل دو نوفو (E. de Neveu) ، ثم لاحقا إدوارد على دراسة البنى القبلية، والطرق الصوفية، والعلاقات الاجتماعية في الصحراء وشمال إفريقيا باعتبارها مدخلا لفهم آليات الضبط والسيطرة الاستعمارية".على التنظيم المحكم للزوايا السنوسية (الرباطات) المنتشرة بين برقة فزان والصحراء الجزائرية وتشاد. وقد اعتبرها الفرنسيون أشبه بـ"شبكة دينية–عسكرية" يمكن أن تشكل تهديدا مباشرا لمشاريعهم الاستعمارية في شمال إفريقيا وبلاد السودان.كما حاولت الدراسات الكولونيالية إبراز الصرامة والانضباط في السنوسية، وتقديمها في صورة تختلف عن الطرق الصوفية الأخرى التي اعتبرت أكثر شعبية واحتفالية، هذا الخطاب يعكس قلق السلطات الاستعمارية من أن تتحول السنوسية إلى حركة مقاومة منظمة؛ وهو ما ظهر فعلا في مواجهة الاحتلال الإيطالي لليبيا والحضور الفرنسي في الصحراء.

[1]- Charles-André Julien, Histoire De L’algérie ContemporaineDe L'istruction De 1870 Au Décclenchement De La Guerre De Libération(1954), Tome02, P273

إجمالا، تكشف الكتابات الفرنسية حول الطريقة السنوسية عن منظور استعماري غير محايد، إذ لم ينظر إليها باعتبارها حركة دينية إصلاحية فحسب؛ بل كقوة تنظيمية تملك نفوذا واسعا على القبائل ومفاتيح التحكم في الصحراء.

فقد صورت السنوسية كـ "قوة خفية" تتحكم في الولاءات وتشكل خطرا سياسيا وعسكريا على المصالح الفرنسية، وهذا يبرز كيف تحول البحث الإثنوغرافي لدى الاستعمار إلى أداة للمعرفة– السلطة، حيث لم يكن الهدف فهم السنوسية في بعدها الديني بقدر ما كان توظيفها ضمن إستراتيجية السيطرة والضبط الاستعماري.

3–سيدي معمر:

1.3–نسبه:

سيدي معمر بن سليمان بن علية، لكن هنا تطرح مشكلة: هل سيدي معمر القادم من تلمسان هو نفسه سيدي معمر بن علية الذي تتغنى به الألحان الشعبية، القادم من تونس، والذي يوجد ضريح أخيه هناك إلى الآن؛ ويعتبر أحد أجداد أولاد سيدي الشيخ الذين ينتهي نسبهم إلى سيدنا أبي بكر الصديق[1].

هذا ما أكده "C.trumelet" في كتاب "les francais dans le desrt" الفرنسيون في الصحراء حيث أوضح أن سيدي معمر بن علية، أو سيدي معمر بومكحلة، هو جد البوبكرية المقيمين في قصور البيوض، وهو نفسه المدفون في منطقة تلمسان وقد عاش هؤلاء طويلا في مكة؛ ثم غادروها على إثر اضطرابات دينية كانوا من المحرضين عليها، فاتجهوا إلى مصر في القرن العاشر للميلاد حيث تقلدوا مناصب مهمة، ومنها إلى تونس، ثم الجزائر، حيث استقر سيدي معمر بن علية بالجهة الغربية؛ ويوجد ضريحه الآن بمدينة تلمسان[2].وبذلك فإن نسبه هو نفسه نسب سيدي عبد القادر، المكنى سيدي الشيخ.

[1]-Ougouag-Kezzal(Ch), Le Sadaq Et Le Mariage Suivant Le "Urf"(Rite) De Sidi Ma'ammar, **Libyca**, Centre De Recherches Anthropologiques Préhistoriques Et Ethnographiques, Tome19, 1971, Alger, P236

[2]-C.Trumelet,Les Français Dans Le Desrt , Bibliothek Emil Gratzel, Pari,1963,P81

2.3-حياته ورحلاته:

كان سيدي معمر، طبيبا وقاضيا، عارفا بعلوم الدين، جاء من تلمسان حوالي القرن 16م عن طري مازونة الى منطقة زهراء-المنطقة الممتدة من جبال شنوة شرق الجزائر الى المنطقة الشرقية لسهل وهران -ليعلمهم القرآن لأنهم كانوا لا يعرفون من الإسلام سوى إسمه[1].

3.3-عرف سيدي معمر:

عبر مر السنين عرفت قضية صداق المرأة، ومهرها جدلا كبيرا بين الناس والآباء على وجه التحديد، فهنالك من كان لا يطالب بالكثير ويكتفي بمهر قليل لابنته، لكن هذا الأمر زاد من حدة الطلاق؛ فأصبح الآباء يغالون في مهر بناتهم حتى لا ترد إليهم، فأصبحوا يطلبون بصناديق من ذهب، أو المئات من رؤوس الجمال وقطيع من الأغنام والذي كان يصل تعداده الى الآلاف[2].

وتحديدا بمنطقة تنس وشرشال أصبح الآباء يطالبون بوزن بناتهم ذهبا، فحصلت هنالك مقاطعة تامة للزواج فكان الحل الوحيد هو تدخل سيدي معمر بن عليا،"سيدي معمر بومكحلة" لحسم الأمر، بين موضوع الصداق والطلاق؛ حتى لا يكون هنالك ظلم للطرفين، فعقد ما يسمى بدعوة الشر لكل من يغالي فالصداق، أو يطلق امرأة على صداق سيدي معمر بن عليا حيث حدد الصداق بربع دينار ذهبي، الذي يقدر بعشرين فرنك فرنسي أو درهم ذهبي أو ثلاث دراهم فضية؛ إضافة الى شاة واحدة، وقنطار من السميد والزبدة لصنع الكسكسى، كما أن إتباع عرف سيدي معمر بن عليا يقتضي أن لا يلبس كل من العروسين ملابس باهظة الثمن، وعدم الإطالة في وقت الخطبة حتى يحصلوا على بركة هذا الولي الصالح؛ فبهذا العمل استطاع سيدي معمر أن يزوج كل أبناء المنطقة، وأصبح الطلاق حينها لا يكاد يسمع به إلا نادرا[3].

تناقلت الأخبار والحكايات، على أنه كل من يخالف عرف سيدي معمر سيصاب بلعنة-دعوة الشر-فربما سيصاب بالجنون ويغدو ماشيا بين أزقة المدينة فاقدا لعقله، أو لربما ستظهر على

[1]-Ougouag-Kezzal(Ch),Op.Cit, P.236
[2]- Ougouag-Kezzal(Ch),Op.Cit,, P.237
[3]-Ougouag-Kezzal(Ch), , Op.Cit, P237

جلده بقع سوداء فيصير جلده جلد عنزة؛ أو ربما ستلد زوجته إبنا مشوها، فأصبح الناس يخافون من عدم تطبيق هذا العرف فيتعرضون لعقاب الولي، فلا يغالون في مهور بناتهم ويتبعون شروط سيدي معمر، ولا يطلقون نساءهم مخافة إلحاقهم بهذه اللعنة[1].

يعد سيدي معمر أحد أولياء منطقةحوض الشلف البارزين، ارتبطت سيرته بالتصوف والكرامات الشعبية التي تداولها الأهالي عبر الأجيال، ويرجح أن أصله من الأدارسة الذين انتشروا في مختلف ربوع المغرب الأوسط، حيث أسس لنفسه سمعة روحية كبيرة جعلت زاويته مركز استقطاب روحي واجتماعي.

فقد شكلت هذه الزاوية فضاء لتعليم القرآن ونشر قيم التصوف السني، كما لعبت دورا في احتضان السكان خلال فترات الأزمات، إن حضور سيدي معمر في الذاكرة الجماعية لأهالي الشلف يعكس البعد الرمزي للولي في تشكيل الهوية المحلية؛ إذ لم ينظر إليه فقط باعتباره شيخا روحيا بل أيضا كرمز للحماية والتماسك الاجتماعي

4-سيدي احمد بن يوسف الراشدي الملياني.

4.1-نسبه:

وهو ابو العباس أحمد بن يوسف بن محمد بن ابو عبد الله احمد بن علي (جده الأول القادم من مدينة راشدة بتازة المغربية) بن محمد بن ابو لاطه بن ابو زيان بن عبد المالك بن عيسى بن احمد بن محمد بن علي بن ابو القاسم بن احمد بن عبد المالك بن عيسى الراضي بن موسى المرتضى بن ابو جعفر الصادق بن محمد الناثق بن علي بن احمد المدعو زيان الدين بن عبد الله الكامل بن حسين المثنى بن حسن السبتي بن علي بن ابي طالب زوج السيدة فاطمة رضي الله عنها بنت الرسول الله لى الله عليه وسلم[2].

[1]- A. Berque, Un Un Mystique Moderniste Le Cheikh Benalioua, Op.Cit, P.238

[2]-Marthe Et Edmonde Gouvion, Kitab Aayane El-Marahariba, Impremrie Oriontal Fontana Fréres Alger, 1920, 18.

ولد سنة 840هـ/ 1437م[1] بمليانة، تتلمذ على يد سيدي أحمد بن احمد الزروق الرنوصي إشتهر سيدي أحمد بن يوسف بقداسته بالمنطقة وكراماته، كتب أعمالا دينية توفي حولي 1524م دفن بمليانة؛ تقام سنويا الوعدة حول ضريحه.

خلفه بعد وفاته حفيده سي الخالدي وبعد وفاته حفيده سي محمد بن الميلود ونقل الزاوية اليوسفية الى العين الصفراء ليبلغ عدد التابعين لهذه الطريقة حوالي 1000 مريد بالعين الصفراء، ونفس العدد في كل من مدينتي البيض ومشرية[2].

4.2-حياته ورحلاته:

يعتبر شيخ بن يوسف الملياني من بين طبقة العلماء الذين فروا من الأندلس، بعد سقوط غرناطة آخر معاقل الإسلام آن ذاك، وخوفا من تعرضهم لمحاكم التفتيش الإسبانية اختار وجهة الصلحاء الأولى ألا هي الساقية الحمراء بالمغرب؛ ليقوم بمهمة التدريس هناك[3].

ومع نهاية العقد الأخير من القرن الخامس عشر غادر شيخ بن يوسف الملياني المغرب متجها الى الغرب الجزائري، عبر عدة مدن منها وهران وسيدي بلعباس ومستغانم ليستقر بمدينة تلمسان بالقرب صلحائها المتصوفة ينهل منهم العلم، ليذيع صيته عبر ربوع الدولة الزيانة ويلتف حوله العديد من طلبة العلم، فأصبحت كلمته مسموعة خاصة فيما يخص تعبئة الجيش لمجابهة الخطر الأسباني الذي كان يهدد المناطق الساحلية من الدولة ليثير غيرة الامير الزياني "أبو عبد الله الزياني" حينها والذي كان حليفا للإسبان؛ فليدخل في صراع معه ولان الأمير الزياني رأى فيه التهديد الحقيقي لمكانته.اضطهده ووضع مكافأة للقبض عليه وحكم عليه بالإعدام، لينجو بأعجوبة من سيافه ويفر من قلعة "أبو حمو"، متجها الى مدينة معسكر ويحتمي بمرابطي "هاشم" بغريس ليدعي عليهم بقوليه:" ليس هنالك من جنس باطل وأقل بطلانا من رجل من هاشم"؛ ويتقل بعدها الى مدينة المدية وبعدها الى البليدة وبعدها الى

[1]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes,Op.Cit ,P227
[2]-P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes,Op.Cit, P227
[3]- Kamel Filali, L'algérie Mystique Des Marabouts Fondateurs Aux Khwân Insurgés 15-19 Siècle, Edition Publisud, France, 2002, P37.

بجاية ليستقر بها لفترة ليزاول مهنة التدريس بها، إذ احتل مكانة هامة مكانة هامة المدارس القرآنية بمنطقة "الشرفة" ليدرس" احياء العلوم للغزالي"، و" شرح المواضيع" لمعلمه الزروق[1].

ومع بداية سنة م1502 ارتحل شيخ بن يوسف الملياني الى مدينة مستغانم، ليدخل في جدال مع أحد علماء الدين شيخ "عبد الحمان بن عيسى"، ويدخل معه في مقابلات عديدة فيما يخص بعض الفتاوى ليفوز شيخ بن يوسف في الأخير؛ والذي يتقلد منصب مفتي مدينة مستغانم وتتلمذ على يده العديد من الصلحاء نذكر منهم أحمد بن شعاعة، شهاب الدين القسطلانين وعبد السلام بن مشيش، وسيدي دحو وسيدي بهلول وغيرهم[2].

قام سيدي بن يوسف برحلة الى الحج وزار المدينة المنورة ومكة المكرمة، وانتظر وفات الأمير عبد الله الزياني عدوه اللدود ليعود الى تلمسان، ويدخل في صراع مع المدعو" سيدي سماعيل" والذي تنبأ له أنه سوف يدفن في مكب للنفايات بمدينة مليانة[3].

3.4-كراماته:

من كرامات سيدي بن يوسف الملياني حسب"Alphonse Certeux Et Henry Carnoy " هي تشكل الأمور الغامضة أمامه على حقيقتها إذ يذكر أنه مر على مدينة تنس والتي عرف أهلها بالسمعة السيئة، ولكن ما أن عرفت احد العائلات التنسية من هو هذا الشخص حتى دعوه على العشاء؛ وقدموا له قط مشوي بعد أن طمسوا ملامحه ليبدو على شكل أرنب، لكن سيدي بن يوسف كان قد رأى أن الذي أمامه قط وليس أرنب والحيلة لم تنطلي عليه، ليطلق بعدها تنهيدة هرب منها جميع قطط المدينة، حتى القط لمشوي الذي وضع أمامه قفز هاربا كالسهم، وأمام هروب القطط وتكشيرا تهم على الناس أرعب سكان المدينة، لينهض الولي الصالح أماهم ويطلق عليهم لعنة أو كما سماها دعوة شر"بلادكم مبنية على زبل ماها دم

[1]- Kamel Filali, Op.Cit, P37.
[2]- Kamel Filali, Op.Cit, P37.
[3]- Kamel Filali, Op.Cit, P38.

وهواها سم وسيدي بن يوسف ما يباتش ثم"، ليأخذ سيدي بن يوسف عصاه ويغادر مكملا طريقه[1]

4.4-وفاته:

عندما عرف سيدي بن يوسف بدنو أجله، أخبر أتباعه أنه بعد موته يجب أن يسرعوا في تغسيله وتكفينه ويضعوه على ظهر بغلته، ويتركوها لأمر الله سبحانه وتعالى؛ والتي يؤكد "الناصري" أنها توقفت في مدينة مليانة ودفن بها حوالي سنة 1525م عن عمر ناهز التسعين سنة والتي لطالما اعتبرها سيدي بن يوسف مدينة الظلم والسمعة السيئة"[2].

5.4-مؤلفاته:

ينسب إليه كتاب الأقوال الساخرة " الدعاوي"، والتي اكسبته شهرة كبية في الغرب الجزائري، وجلبت إليه العديد من الإنثغرافيا الإستعمارية[3].

6.4-علاقة اليوسفيين بفرنسا:

أنتخب سي الميلود الخالدي أحد أحفاد سيدي بن يوسف ومقدم زاوية سيدي بن يوسف المليانى، نائبا في المجلس الوطني التأسيسي لسنة 1945م، ولكن المجلس حل، ليترشح بعدها سنة 1948م ولكنه هزم أمام مترشح حركة أنتصار الحريات الديمقراطية، ليعين لاحقا مستشار الإتحاد الفرنسي؛ ويدخل في صراع دائم مع زعماء الطرق بمنطقة العين الصفراء.

ورفض استقبال الشيخ الشريف الوزان مقدم الطريقة الطيبة آن ذاك، عند زيارته لمنطقة العين الصفراء سنة 1949م[4].

سيدي بن يوسف المليانى يجسد بكتابه الدعاوي روح النقد اللاذع المغلف بروح الفكاهة، حيث استطاع أن يوظف أسلوب الأدعية . المعروف عادة بالجدية والرهبة . ليحوله إلى مرآة ساخرة تعكس عيوب البشر وتقلبات الواقع، وبذلك أصبح نصه علامة فارقة في الأدب الشعبي الساخر.

[1]-Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, L'algérie Traditionnelle, Tome 01, Alger, 1923, P. 118
[2]- Kamel Filali, L'algérie Mystique Des Marabouts Fondateur, Op.Cit, P38.
[3]- Kamel Filali, L'algérie Mystique Des Marabouts Fondateur, Op.Cit, P37.
[4]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes, Edition La Maison Des Livres, Alger ,P231

أما أحفاده، فقد ظلوا مرتبطين بالمجال الاجتماعي والسياسي، لاسيما مع احتكاكهم بفرنسا في فترات لاحقةهذه العلاقة حملت بدورها طابعا مركبا: من جهة واجهوا ضغط الاستعمار وتداعياته، ومن جهة أخرى وجدوا أنفسهم في شبكة من التفاعلات التي سعت فيها فرنسا لاستقطاب رموز محلية ذوي مكانة اجتماعية، وهو ما جعل إرث المليانى يتقاطع مع التاريخ الكولونيالي ومع صراع الهوية والانتماء.

هكذا يمكن القول إن سيدي بن يوسف المليانى لم يترك إرثا أدبيا ساخرا فقط، بل فتح أيضا أفقا لفهم العلاقة بين التراث الشعبي والسلطة الاستعمارية، وبين السخرية كأداة للمقاومة أو النقد، والذاكرة الجماعية التي حفظت أثره وأثر ذريته في علاقتهم المعقدة بفرنسا.

أظهر هذا البحث أن منطقة الشمال الغربي الجزائري شكلت فضاءً خصباً لانتشار ظاهرة الصلحاء والطرق الصوفية، بفضل موقعها الجغرافي الاستراتيجي وتاريخها الحضاري العريق. وقد تجسد الحضور الروحي لسيدي عبد القادر الجيلاني بشكل لافت من خلال القباب والأضرحة المنتشرة في الغرب الجزائري، رغم أنه لم يزر المنطقة، مما جعله النموذج الأكثر انتشاراً للولي الصالح. كما برزت شخصيات روحية بارزة كسيدي الهواري شفيع وهران، وسيدي بومدين شعيب القطب والغوث، وسيدي الحلوي صاحب الطريقة الشوذية السرية، وسيدي معمر الذي ارتبط بعرف الزواج، والشيخ بن عليوة مؤسس الطريقة العلاوية. وقد كشفت الكتابات الفرنسية أن اهتمامها بهذه الشخصيات لم يكن أكاديمياً محايداً، بل كان موجهاً لفهم بنية المجتمع الجزائري الروحية والاجتماعية والسياسية، بهدف السيطرة عليه وتوظيف الصلحاء والطرق الصوفية في خدمة الأهداف الاستعمارية، سواء بالتحالف مع بعضهم أو بمحاربة من قاوم منهم، كما حدث مع الطريقة السنوسية والقادرية.

الفصل الثالث: صلحاء منطقة الوسط وشمال شرق الجزائر

أولا: الإمتداد الجغرافي لمنطقة الوسط.

ثانيا: صلحاء منطقة الجزائر والفحوص المجاورة لها.

ثالثا: الإمتداد الجغرافي لمنطقة شمال شرق الجزائر.

رابعا: صلحاء شمال شرق الجزائر.

يمتد الوسط الجزائري من الساحل المتوسطي شمالاً إلى الأطلس الصحراوي جنوباً، ومن تيزي وزو شرقاً إلى المدية وعين الدفلى غرباً، في منطقة تضم سهل متيجة الخصب وجبال الأطلس البليدي والهضاب العليا الوسطى، وتحتضن العاصمة الجزائر التي جعلته قلب البلاد السياسي والإداري، وفي هذا الفضاء، برزت شخصيات روحية كبرى كسيدي عبد الرحمان الثعالبي صاحب التفسير الشهير، وسيدي محمد بوقبرين مؤسس الطريقة الرحمانية صاحب القبرين وسيدي أحمد الكبير مؤسس مدينة البليدة، وسيدي محمد بن عيسى دفين المدية الذي يمثل امتداداً للطريقة العيساوية المغربية، كما شهد الشرق الجزائري حضوراً روحياً مميزاً رغم ندرة الكتابات الفرنسية عنه، حيث برز سيدي عيسى دفين المسيلة، وسيدي عبيد صاحب الزاوية والقبيلة بتبسة، وسيدي يوسف الحنصالي بقسنطينة، وقد عكس هذا التوزع الجغرافي للصلحاء عمق التصوف في المجتمع الجزائري، كما أظهرت الكتابات الفرنسية اهتماماً متفاوتاً بهم، بين توثيق استشراقي وتوظيف سياسي، في مقابل موقف جمعية العلماء المسلمين التي هدمت بعض الأضرحة بالشرق لمكافحة ما اعتبرته مظاهر انحراف عقائدي.

اولا: الإمتداد الجغرافي لمنطقة الوسط الجزائري.

يقصد بالوسط الجزائري المجال الجغرافي الذي يتوسط البلاد بين الشرق والغرب[1]، ويمتد من الساحل المتوسطي شمالًا (الجزائر العاصمة، تيبازة، بومرداس) إلى حدود الأطلس الصحراوي جنوبًا (الجلفة، الأغواط)، ومن نواحي تيزي وزو والبويرة شرقًا إلى تخوم المدية وعين الدفلى غربًا[2].

تتسم المنطقة بتنوع طبيعي بارز:

-السهول الساحلية والداخلية مثل سهل متيجة، الذي يعتبر من أخصب السهول الزراعية في الجزائر.

-الجبال :جبال الأطلس البليدي (جبل شنوة، جبل التيطري) التي تشكل حاجزا طبيعيا وخزانا مائيا.

-الهضاب العليا الوسطى :فضاء رعوي وزراعي يربط المجال الشمالي بالمجال الصحراوي.

وللوسط الجزائري أهمية استراتيجية وحضارية[3]

-يشكل **قلب الجزائر السياسي والإداري**، لاحتوائه على العاصمة الجزائر.

-كان تاريخيا مجالا للتفاعل الحضاري والثقافي، خصوصا مع وجود موانئ ساحلية (الجزائر العاصمة) ومسالك داخلية تصل إلى الصحراء.[4]

-لعب دورا محوريا في فترة الاحتلال الفرنسي كمركز للسلطة الاستعمارية والإدارة المركز.

---

[1]-ينظر الملحق رقم: 09، ص234.

[2]-عبد الحمان حميدة، مرجع سابق، ص 126.

[3]- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص96.

[4]-Yves, op.cit, p 104.

ثانيا: صلحاء مدينة الجزائر والفحوص المجاورة لها:

1-سيدي محمد بوقبرين:

1.1-نسبه:

وهو سيدي محمد بن عبد الرحمان بن أحمد بن يوسف بن بلقاسم بن علي بن إبراهيم بن عبد الرحمان بن أحمد بن الحسن بن طلحة بن جعفر محمد العسكري بن عيسى الرضى بن موسى المرتضى بن جعفر الصادق بن محمد الناطق بن عبد الله بن حمزة بن إدريس بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، الملقب بـ الأزهري، لتلقيه التعليم بالأزهر ليباركه الله؛ الزواوي القجطولي من قبيلة السماعيلي[1].

2.1-مولده:

سيدي محمد بن عبد الرحمان القشتولي الجرجري، المولود سنة 1126هـ[2]/ 1715م[3]، وفي دراسات أخرى 1728م[4]، والمدعو أيضا بـ الأحزري حسب "P.J André "[5]؛ ولد بقرية آيت إسماعيل بجرجرة. كان محمد بن عبد الرحمان ينحدر من أسرة دينية مشهورة، وفي روايات أخرى أنه ولد بالجزائر ودرس بها، ثم انتقل إلى جبال جرجرة في آخر حياته لأسباب مجهولة[6]. ودراسة "P.J André " تقول إنه من أصول مغاربية جاؤوا إلى الجزائر، وأن عائلته ادعت الشرف لتحصل على مكانة مرموقة في المجتمع[7].

---

[1] - Albert Devoulou .Les Edifices Religieux De L'ancien Alger La Revu Africaine.N14.1870. Pp 289, 290.

[2]-المهدي بوعبدلي، ن 1-الحياة الثقافية بالجزائر-2جوانب من الحياة الثقافية بلجزائر في العهد العثماني (10-1هـ)3-الشريف بوبغلة بطل ثورة بلاد القبائل، من سلسة أأعمال الكاملة للمهدي بوعبدلي، جمع وإعداد عبد الرحمان الديب، عالم المعرفة، الجزائر،2012م، ط1، ص ص31-32.

[3]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes, Edition La Maison Des Livres, Alger ,P265.

[4]- Ibid ,P265.

[5]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes, Op.Cit, P 265.

[6]-Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux Chez Les Musulment, Op.Cit,P 412.

[7]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes, Op.Cit, P265.

3.1-حياته ورحلاته:

وحسب ذات الكاتب أنه ابتدأ تعليمه بزاوية الشيخ أوعراب ببني ايراثن، ثم سافر الى مدينة الجزائر ليواصل تعليمه بها وفي سنة 1152هـ-1739م[1]، وفي سنة 1740م[2]، ذهب لأداء فريضة الحج؛ ثم بعدهاإتجهالى مصر.والتحق بجامع الازهر فأخذ عن عن الكثير من أعلامها المشهوين، من بينهم الشيخ محمد بن سالم الحفني، الذي كان يترأس الطريقة الخلواتية[3]، فإنخرط سيدي محمد بن عبد الرحمان في الطريقة الخلواتية[4]، وكان من المقربين لديه، حينئذ كلفه شيخه بالذهاب[5]الى الهند والحجاز[6].

نشر طريقته بالسودان وأقام بها ثلاثين سنة، إذ لقي إقبالا لا نظير له وبعدها عاد الى مصر،بعد أن أذن له شيخه بالرجوع الى الجزائر، فكان رجوعه اليها سنة 1183هـ-1770م فرجع سيدي محمد الى الجزائر برفقة زوجتهخادميه السودانيين (رجل و إمرأة) فإستقر بمسقط رأسه؛ وإلتف حوله الكثير من طلبة العلم ومن بينهم الكثير من رؤساء المعاهد.والزوايا فتصدت السلطة العثمانية حينها لنشر الطريقة الخلواتية، نظرا للشهرة التي نالها في مدة قريبة، إذ أوجس خيفة من الحكام العثمانيون وبعض علماء العاصمة بالجزائر، الذين كانوا يرون مخالفات كثيرة في تعاليم الطريقة الخلواتية للعادات والتقاليد التي أليفوها؛ فكلف باشا الجزائر الشيخ علي ابن الأمين مفتي المالكية بعقد مجلس علمي لمناضرته. فحينئذ بلغ صدى هذا المجلس الذي أنعقد لمحاكمته فأثر ذلك تأثيرا سيئا في أوساط بلاد القبائل، الذي كان معظمهم منخرطين في الطريقةالخلواتيةفخشي حكام الجزائر مغبة تلك المحاكمة وحكموا عليه بالبراءة، وبأن الطريقة

---

[1]-المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص-ص31-32.

[2]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes, Op.Cit, P265.

[3]-المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص ص31-32.

[4]-Marcel Simian, Les Confréries Islamique En Algerie (Rahmania-Tidjanya), Op.Cit, P54

[5]-المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص ص31-32.

[6]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes, Op.Cit ,P265.

الخلواتية وتعاليمها لا منافاة بينها وبين تعاليم السنة؛ واختار سيدي عبد الرحمان العودة الى معهده بجرجرة وحرر عقدا بجميع ممتلكاته لصالح معهده[1].

يتمتع سيدي محمد بشهرة كبيرة، اسس أخوية دينية نمت بشكل كبير في الجزائر، خاصة في منطقة القبائل، وأخذ أهمية سياسية، فاعتقد الأمير عبد القادر أنها مهمة في الانتماء إليها التي كانت تحت حكم بابا محمد؛ على أمل تصعيد شعب القبائل في العدوان الذي كان يعده ضد الفرنسيين، هذا المرابط الشهير الذي قام برحلة الى مصر. والذي سكن الجزائر[2]، تحت حكم مصطفى باشا[3]، توفي ببلاد القبائل، عند بني إسماعيل، العروش الوسطى لقشتولة، والتي ينتمي نسبه لها، والذين بنو له ضريحا جمل بالرخام يحمل على جدرانه سيرته الذاتية؛ ليقوم بعض أتباعه من مدينة الجزائر بسرقة رفاته ونقلها لضريح آخر بمنطقة الحامة[4].

شكل تابعوه مجموعتين، مجموعة اختبأت في الجبال بالقرب من المكان الذي دفن فيه ومجموعة ذهبت إلى أخويته بالزاوية لتقديم العزاء لهم، ولكن غايتهم كانت تشتيت انتباههم بحيث نقلت المجموعة الأولى الرفات الى الجزائر، حتى يبقى قريبا منهم[5]، بمكان قيل إن الولي الصالح كان يتعبد به خلال إقامته بالجزائر، أما في منطقة القبائل لم يحدث هنالك ردة فعل بسبب معجزة أن جسد الولي الصالح قد وجد في قبره القديم؛ كما تواجدت كذلك في قبره الجديد فهذه الحادثة قد جعلت سيدي محمد بن عبد الرحمان. يحمل تسمية بوقبرين، والتي تعني الرجل صاحب القبرين[6]، أما في كتاب المرآة لحمدان بن عثمان خوجة فالقصة عكس ما جاءت به المجلة الافريقية هو أنه دفن بالجزائر، حيث قام مريديه من القبائل بإختطاف جثمانه ودفنه بجبال جرجرة بقرية فرومة بالقرب من مدينة فليسة بالأخضرية حاليا[7].

---

[1]-المهدي بوعبدلي، ن 1-الحياة الثقافية بالجزائر-المرجع السابق ، ص ص31-32 .

[2]-Albert Devouloux .Les Edifices Religieux, Op.Cit, Pp 289.

[3]-Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux Chez Les Musulment, Op.Cit, P99.

[4]-Albert Devouloux .Les Edifices Religieux.Op.Cit, P p 289.

[5]-Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux Chez Les Musulment, Op.Cit, P113.

[6]-Albert Devouloux .Les Edifices Religieux,Op.Cit, Pp 289.

[7]-حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، مصدر سابق، ص58.

4.1-وفاته:

قبل وفاة سيدي محمد بن عبد الرحمان، أحس بدنو أجله فطلب من زوجته وأبنائه الانتقال الى جبال جرجرة بعد مرور ستة أشهر خرج إلى إخوانه، وقال لهم إني أحس أني سأموت غدا وإن ربي في إنتضاري لأنتقل إلى جواره[1]، توفي سيدي محمد بن عبد الرحمان سنة 1208هـ-(1835-1836م)؛[2] والارجح انه توفي سنة 1793م[3].

عاش سي محمد في ظل الحكم العثماني بالجزائر، وأنه لم يشهد الاحتلال الفرنسي لأنه لم يذكر عنه أقوال، او كتابات حول ما حدث بمدينة الجزائر من هول الغزو فليس سيدي محمد من الذين يسكتون عن مثل هذا، أو يمرون عليه مرور الكرام، قبل وفاته كانت الطريقة الخلواتية التي نشرها، سيدي محمد بن عبد الرحمان تعرف بالطريقة الرحمانية نسبة لأبيه، ومع مرور الزمان تنسى الناس اسم الطريقة الخلواتية؛ إلا عند الخاصة الخاصة[4].

5.1-علاقة الزاوية الرحمانية بفرنسا:

ناصبت الزاوية الرحمانية العداء لفرنسا، فقد قام سي محمد أمزيان العداد الذي اعترفت به الرحمانية في منطقة القبائل على انه زعيم الطريقة بحمل لواء التمرد ضد فرنسا، بأمر من الشيخ المقراني والشيخ الحداد؛ لتقوم فرنسا بغلق الزاوية الرحمانية بجرجرة، ومصادرة جميع ممتلكات سي محمد امزيان كإجراء ردعي، ويتم ترحيله الى كاليدونيا الجديدة ليهرب بعدها الى مدينة جدة، ويتوفاه الله بباريس سنة 1895م ويدفن بمدينة قسنطينة[5].

رغم أن الكتابات الفرنسية حول سيدي محمد بوقبرين تبقى محدودة ومتفرقة، إلا أنها تكشف بعض الملامح المهمة: فقد اهتم الفرنسيون بذكر نسبه وارتباطه بالتعليم الأزهري، ورأوا في شخصيته مثالا للولي الذي يجمع بين العلم والقداسة الشعبية غير أن هذه النصوص غالبا ما

[1]-Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux Chez Les Musulment., Op.Cit, P112.
[2]-المهدي بوعبدلي، ن 1-الحياة الثقافية بالجزائر-مرجع سابق، ص 33.
[3]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes ,Op.Cit, P266.
[4]-المهدي بوعبدلي، ن 1-الحياة الثقافية بالجزائر، مرجع سابق، ص 33.
[5]-المهدي بوعبدلي، ن 1-الحياة الثقافية بالجزائر.مرجع سابق، ص 33.

تناولته من زاوية إثنوغرافية؛ إذ ركزت على دوره في تشكيل البنية الاجتماعية والدينية للقبائل أكثر من اهتمامها بجوهر تعاليمه أو سيرته العلمية.

ومن خلال هذا يمكن استنتاج أن الفرنسيين كانوا ينظرون إلى بوقبرين بوصفه عنصرا مؤثرا في التوازن الاجتماعي، لا مجرد شخصية روحية، وهو ما يفسر شح المعلومات المباشرة عنه مقابل التركيز على مكانته داخل المجتمع.

2-سيدي عبد الرحمان الثعالبي

1.2-نسبه:

هو ابو زيد عبد الرحمان بن محمد[1]، أو بن عمر المكنى بأبي زيد[2]بن مخلوف الثعالبي الجعفري نسبة الى عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، عم الرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولقد تزوج عبد الله هذا ابنتي عمه علي بن ابي طالب كرم الله وجهه زينب ثم فاطمة اختي الحسن والحسين رضي الله عنهما[3].

كما يكنى بالثعالبي نسبة الى قبيلة الثعالبة، التي انتشرت بطونها في القرن الثامن والتاسع بمتيجة ويسر والتي يرتفع نسبها الى قبيلة المعاقل العربية الهلالية[4].

2.2-مولده:

ولد الإمام الثعالبي سنتي 786 او 787هـ[5]، وفي روايات أخرى سنة 785هـ[6]الموافق لـ 1385م بناحية واد يسر جنوب شرق العاصمة بحوالي ستة وثمانين كيلو مترا[7] لكن الروايات الفرنسية جاء بها أن سيدي عبد الرحمان الثعالبي كان من بين أعيان مدينة الجزائر الذين أرسلوا رسالة الى السلطان العثماني سليم الأول يطلبون منه النجدة إثر الهجمات الإسبانية،

---

[1]-C.D.R.P, Archvie de la mosque sidi abed rahman taalibi 1907.

[2]-رابح بونار، عبد الرحمان الثعالبي، مجلة الثقافة، مجلة تصدرها وزارة الإعلام و الثقافة بالجزائر العدد 7، السنة الثانية،محرم 1392هـ، مارس 1972م، ص48.

[3]- C.D.R.P, Op.Cit.

[4]-رابح بونار، مرجع سابق، ص48

[5]- C.D.R.P, Op.Cit.

[6]-رابح بونار، ، مرجع سابق، ص48

[7].- C.D.R.P, Op.Cit.

وأنه عاصر "سالم التومي" حاكم مدينة الجزائر وعند مقتله سنة 1515م، طلب منه ان يأخذ مكانه لكنه رفض[1].

3.2-حياته ورحلاته:

نشأ منشأ صلاح وعلم وتقوى، وأخذ العلم من علم ناحيتهم تل من علماء مدينة وجدة ثم ارتحل الى بجاية فنزل بها سنة 802هـ-1399م، ولازم حضور مجالس علمائها فأخذ عنهم علما جما، وكان عمدتهم الإمام ابا الحسن علي بن عثمان المانجلاني، وابا ربيع سليمان بن الحسن، ثم انتقل الى تونس سنة 809هـ-1460م؛ فلقى يها العديد من العلماء فانتفع منهم خاصة الإمامين الأبي والبرزلي تلميذي ابن عرفة، وابي مهدي عيسى الغبريني ثم انتقل الى مصر فلقي بها البلالي وابا عبد الله البساطين وولي الدين العراقي فأخذ عنهم ومر بالحجاز فحج، وأخذ هنالك عن علمائه ثم عاد الى تونس سنة 819هـ-1416م، فوافى بها العلامة ابن مرزوق حفيد التلمساني، فلازمه وأخذ عنه علوما كثيرة؛ وقال في هذا انه لم يكن بتونس يومئذ من يفوتني في علم الحديث فإذا تكلمت أنصتوا، وقبلوا ما أرويه تواضعا منهم وانصافا واعترافا بالحق ، كما أخد العلم عن ابي عبد الله القلشاني، وعن غيره وحصل على اجازاتهم واذنهم في التدريس والتأليف ثم عاد الى وطنه، فذا عظيما في علمه وصلاحه معتكفا على نشر العلم وهداية الخلق، والانقطاع للعبادة والتأليف[2].

فتخرج على يده علماء وأعلام منهم الامام محمد بن يوسف السنوسي، والشيخ أحمد زروق ومحمد المغيلي التلمساني؛ وسيدي احمد بن عبد الله الجزائري وابن مرزوق الكفيف[3].

4.2-مؤلفاته:

ترك الولي الصالح سيدي عبد الرحمان الثعالبين مؤلفات عديدة في مختلف العلوم نذكر منها: كتاب الجواهر الحسان في تفسير القرآن طبع في الجزائر في أربعة أجزاء مذيلا بمعجم

---

[1]-Cornail Trumelet, Les Saint De L'islam Légende Et Croyance Algérienne, Librairie Académique, Paris, 1881, P36. .

[2]-رابح بونار، مرجع سابق، ص53

[3]- ، عبد الرحمان محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، المطبعة العربية ، الجزائر،1955،ط1 ص262.

لغوي لشرح غريبة وروضة الأنوار، و نزهة الأخيار في الفقه، وكتاب جامع الهمم في أخبار لأمم في سفرين ضخمين؛ وكتاب جامع الأمهات في أحكام العبادات.وكتاب الإرشاد في صالح العباد كتاب الأنوار المضيئة في الجمع بين الحقيقة والشريعة[1]، ومخطوط جامع الخيرات المصنف بقرب الممات[2] .

5.2-كراماته:

وعن كراماته "Cornail Trumelet " يروي لنا ما حدث له سنة 1516م، حيث أراد سيدي عبد الرحمان الثعالبي، لأن يقوم بجولة تفقدية لرعايا بمنطقة "متيجة" وما جاورها، لزيارة قبائل بني صالح وبني مسعود وبني وزرة، ليسمع عن قبيلة تدعى "ترقاوة" والذين كانوا لا يعبون الله ولم يؤمنوا به، ليقرر سيدي عبد الرحمان أن يبدأ في وعضهم وهدايتهم الى الله سبحانه وتعالى ليعبر واد الرمان ليترك وراءه المروج التي سترتفع فوق أعالي البليدة مرورا ببلاد "هملیلي" باتجاه المرتفعات التي تقع بها قرى "تارقاوة"[4].

وصل الولي الصالح الى سفح تلة كروشة الفيران، وكان وقت صلاة الظهر، ليجذب انتباهه صوت الموسيقى الصاخب، والتي كانت تعزف على الهواء علنا؛ ممتزجا بالصرخات والضحكات، فظن سيدي عبد الحمان لوهلة أنه زفاف، ولكن ما إن اقترب وأصبح بينهم حتى عرف أنهم يحتفلون هكذا وحسب، دون أي اهتمام للصلاة، أو عملهم وسط الحقول، وبينما هو في وسطهم لم ينتبه أي أحد، شيخ بليحة بيضاء فبدى له انهم أنساس فقدوا إيمانهم؛ بين طيات

---

[1]-عبد الرحمان محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،مرجع سابق ، ص263.

[2]-عبد الرحمان محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،مرجع سابق ، ص263.

[*]-مخطوط لسيدي عبد الرحمان الثعالبي درسه الدكتور عبد الحميد حاجيات رحمه الله للإطلاع على فحوى المخطوط ينظر:

-مجلة الثقافة العدد الخاص بالمخطوطات العدد ، وزارة الثقفة والاتصال، الجزائر 117،118، سنة 1999م عبد الحميد حاجيات مخطوط نفيس لعبد الرحمان الثعالبي ص 191-199.

[4]-Cornail Trumelet, Les Saint De L'islam Légende Et Croyance, Op.Cit, P36.

المجون والغفلة، ولأنهم كانوا على سفوح متيجة فإنهم كانوا ببلاد الثعالبة، وماكان ليسكت على أعمال كهذه وسط التابعين له دينيا[1].

لم يرد سيدي عبد الرحمان تعكير جو فرحة "ترقاوة"، لذ اتكأ على جدار أحد منازل القرية في صمت ينتظر نهاية حفلتهم الصاخبة هذه، ليشاهد مجموعة "الترقاوة" يرقصون مخمورين بملابسهم الذين تعمدوا تمزيقها، وأمام كل هذا ما كان على الولي الصالح؛ إلا أن يأخذ مسبحته وينتظر انتهاء هذه المهزلة الماجنة، لكن مجموعة من تارقاوة انتبهوا لوجدوه، فطلبوا منه للإنظمام إلى حفلتهم، وبالرغم من أشار انه لا يريد المشاركة، إلا أن أحد الترقاوة صاحب جثة ضخمة لاحظ الولي صاحب اللحية البيضاء؛ يرفض مشاركتهم حفلتهم، فاندفع نحو الحشد وحمله ووضعه وسط الراقصين لكن عيني سيدي عبد الرحمان لمعتا مثل كوكب الزهراء وعصاه التي كان يتكأ عليها أصبحت اطول مما هي عليها، وأضاءت حتى وصل وميضها عنان السماء، وطار إلى أعلى التلة ويدعو عليه قائلا:

" انا لاهي مع إلهي؛ وهوما لاهيين مع التلاهي إقلبهم يا إلهي". وما كان ينته الولي الصالح من دعوته، حتى حلت عليهم اللعنة، وخسفت بهم الأرض؛ تقول الأسطورة هنا. انه في المكان الذي حصلت فيه الحادثة إن وضعت اذنك على الأرض فإنك ستسمع صياح الديكة ونهيق لحمير، وضرب الدف وغناء النساء وكلام وضحكات رجالهم، كما نلاحظ على أرض ترقاوة تشبه أرض نبي صالح عليه السلام، وإنها لم تعد الى طبيعتها بعد قلبت رأسا على عقب فأصبحت تبدو كرقعة صفراء مخاطه على برنوس أسود[2].

تشبه أسطورة قبائل ترقاوة ما حدث مع قبيلة سيدنا لوط عليه السلام، هذا التشابه لا يعني التطابق في الحدث، وإنما يعكس آلية ذهنية شعبية تحاول تفسير مكانة الولي من خلال تقريبها إلى النموذج النبوي، فيصبح الولي شبيها بالنبي في قدرته على الدعاء والعقاب أو الحماية؛ وهو ما يفسر الانتقال من التاريخ الواقعي إلى المخيال الأسطوري الديني.

[1]- Cornail Trumelet, Les Saint De L'islam Légende Et Croyance, Op.Cit, P P3, 7.
[2]-Cornail Trumelet, Les Saint De L'islam Légende Et Croyance, Op.Cit,P P 41 40.

6.2-وفاته:

توفي ما بين سنتي(1468-1469م)[1]، وفي دراسة "Diego De Haedo "أنه توفي سنة 1530م[2] اي بعد السيطرة العثمانية على الجزائر[3]،بينما جاء في كتاب تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمان الجيلالي أنه توفي في 23 من رمضان 875م الموافق لـ: 15من مارس1471م وقد ترك اثر وفاته الأثر لعميق في القلوب، والحزن العميق في النفوس[4]؛ وبعتبر ضريحه من الأماكن المقدسة التي يزورها الناس خاصة القادمين من الشرق المتوجهين في رحلتهم الى الحج[5].

بعد وفاته ترك في مقبرته شعب كامل من البؤساء، جاؤوا ليكونو تحت حماية سيدي عبد الرحمان فنجد الأعمى، والمشلول والمشوهين والمساكين؛ الذين يجلسون على طول الجدران المقبرة بشكل القرفصاء ينتظرون الصدقات التي يلقيها المسلمون، الآتون للصلاة في مسجد سيدي عبد الرحمان لعلها تبعد عليهم البلاء وتطيل في أعمارهم[6].

من خلال مطالعة الكتابات الفرنسية حول سيدي عبد الرحمان الثعالبي، يمكن ملاحظة أن هذه النصوص لم تكن محايدة تماما، بل كانت تعكس رؤية استعمارية تحاول تفسير مكانته الدينية والاجتماعية بعيون خارجية، فالفرنسيون لم يهتموا به كعالم، بقدر ما ركزوا على أثره في الوعي الشعبي، معتبرين ضريحه ومقامه مركز قوة رمزية للمجتمع الجزائري هذا يدل على أن الثعالبي لم يكن مجرد شيخ أو فقيه؛ بل تحول في المخيال الجماعي إلى رمز للهوية والانتماء.

---

[1]-Albert Devoulx, Tombe De Khedeur Pacha A Alger, Rev- Af.N16.1872.P273.
[2]-Diego De Haedo, Topographie Et Histoire Genérale D'alger, Traduction De Monnereau Et A. Berbrugger, Edition Bouchéne, Le Maghreb, 2000, P119.
[3]-Albert Devouloux, Tombe De Khedeur Pacha A Alger, Op.Cit, P273.
[4]-عبد الرحمان محمد الجيلالي، مرجع سابق، ص264.
[5]-Albert Devouloux, Tombe De Khedeur Pacha A Alger, Op.Cit, P273.
[6]-John Roney, Les Sain De L'islam, Ancienne Revue Des Revues, Paris, N°70, 1907, P31.

وهو ما جعل حضوره قويا حتى في كتابات خصومه ومن هنا نفهم أن قيمة الثعالبي الحقيقية لم تصنع فقط بالكتب والمرويات، بل بالذاكرة الشعبية التي جعلت منه جزءا من ثوابت المدينة الجزائرية وركيزة لصمودها الروحي أمام محاولات الاستعمار.

3-سيدي احمد الكبير

1.3-نسبه ومولده:

للأسف لا توجد معلومات عن طفولة وشباب سيدي احمد الكبير، مؤسس مدينة البليدة ولا عن نسبه، سوى انه غادر الاندلس مع سقوط آخر معاقلها سنة 1492م، ولم يصل الى البليدة إلا سنة 1519م المواقف ل 925هـ، وكان قد تجاوز سن الخامسة والأربعين من عمره[1].

2.3-حياته ورحلاته:

لا يعرف عن حياة سيدي أحمد الكبير سوى تلك التي عاشها بالبليدة، حيث قدم من الشرق بعد ان قام بزيارة ليستقر أخيرا بالجزائر، جاءت الروايات التي رواها تلامذة سيدي لكبير، والتي أخذت عنه انه قال انه حج الى مكة المكرمة مرتين في حياته قبل قدومه الى الجزائر، وصلى قرب قبر النبي صلى الله عليه وسلم عندما زار المدينة المنورة، وشرب من ماء زمزم وقبل الحجر الاسود؛ كما زار مصر ولامس بيده رباطات "دير التين" بالحجاز، وقبل بشفتيه الآثار الشريفة والمقدسة للرسول صلى الله عليه وسلم من أواني وإبرة كان يخيط بها نعليه، كما زار حلب حاضرة المسلمين وقلعتها المنيعة، وزار دمشق والتي أعجبته بساتينها التي وصفها بانها تحيط دمشق كالهالة كما زار بيت المقدس وصلى بمسجدها[2].

زار الأندلس ووضع جبهته على ألواح مسجد قرطبة كما زار اسطنبول وصلى بمساجدها والمسجد الشريف الذي أسسه آصف بن أرخيا ابن خالة نبي الله سليمان بن داوود عليه السلام ورحب به في زواياها المشهورة، وتناقش مع مشايخها في علوم الفقه والسنة كما مارس الصوم مع اتقيائها؛ وعاش حيات الزهد مع متصوفة بغداد، واخذ منهم مختلف العلوم بما فيها تاريخ

[1]-Cornail Trumelet, Les Saint De L'islam Légende Et Croyance, Op.Cit,P195.
[2]-Cornail Trumelet, Les Saint De L'islam Légende Et Croyance,Op.Cit, P198. .

الشعوب السابقة، واخذ منهم العلوم الظاهرية والباطنية، حتى ممارسات الفقراء الدراويش الحيدريين من مشي على نار ووخز الإبر دون التعرض للأذى أو الإحساس بالألم؛ كما سافر الى الهند وتعرف على ممارسات الزهد الخاصة بهم وهي الصوم للأيام دون أكل او شرب وتعرف على علوم التخاطب الذهني ومعرفة ما يدور في سر اي شخص يلتقيه، حتى ذاع صيته من المغرب الى الشرق[1].

جاء سيدي أحمد الكبير بعدها من اسبانيا سنة 1519م، عبر البحر ونزل بإحدى موانئ الجزائر الساحلية وإتجه جنوبا لزيارة سيدي عبد العزيز الحاج، والذي نصحه بان يستقر بمنطقة واد الرمان حيث يوجد "اولاد بونصير"؛ والذين يجب هدايتهم فيما هم فيه من عبث. وواصل رحلته يمشي بمحاذاة واد" تبوركشانت"، والذي يمتد الى "موزاية" عبر شعبة واد الرمان، كان هذا الرجل يمشي حافي القدمين، وعلى الرغم من انه يبدو بالخامسة والأربعين أو يتجاوزها بقليل إلا انه كان يتكأ على رمح طويل يمسكه بعناية أمامه؛ يتعكز عليه في كل خطوة، وعند وصوله الى ملتقى الوادي بواد الرمان وتابورشانت،لاحظ الرجل غابة كثيفة من أشجار الزيتون وأشجار التوت البري، ليبدو أن الرجل الصالح قد رأى شيئا يرضيه، ليرمي العصا التي كان يتكأ عليها ويصلي ركعتي شكر لله لأنه وجد المكان الذي طالما أراد العيش به[2].

واصل سيدي احمد الكبير زيارته للمنطقة لمعرفة مصدر المياه المغذية للمنطقة، فوجد العديد من أصناف الأشجار المنتشرة عبر هذه الأرض الواسعة، من أشجار الزيتون البرية وأشجار التوت وأشجار الدردار؛ متصلة ببعضها البعض مثل المضلة التي يحملها الخادم لحماية سيده من أشعة الشمس الحارقة. وأشجار الرمان التي تدلت فاكهتها مثل ثريات المسجد الحرام، فإن هذه البساتين هي أحد جنات عدن المتخفية في بقاع هذه الدنيا المنسية، ليقول سيدي احمد الكبير ف نفسه: "لو أن الله يسقيها من مائه ستتحول من جنة لجنات لن اعيش بها وحدي بل سيعيش فيها معي ناس كثر"[3].

[1]-Cornail Trumelet, Les Saint De L'islam Légende Et Croyance,Op.Cit, P198. .
[2]-Cornail Trumelet, Les Saint De L'islam Légende Et Croyance,Op.Cit, P195.
[3]- Cornail Trumelet, Les Saint De L'islam Légende Et Croyance,Op. Cit, P199.

3.3-تأسيس مدينة البليدة:

بدأ سيدي احمد الكبير في البحث عن الماء لسقاية الأرض التي وجدها، ووصفها بإحدى جنات عدن، فبحث في الوديان، والمنخفضات والشقوق؛ ولكنها كانت جافة مثل حلق قاض تحدث لفترة طويلة عن قضية سيئة صاحبها مجرم كما وصفها سيدي احمد الكبير[1].

ومع ذلك لم يكن نقص الماء هذا يسبب قلقا كبيرا في ذهن الولي، فقد كان يعلم أن الله لن ستخلى عنه، وان الدعاء الى الله كان سيأتي له بألف ينبوع؛ لكنه استحى من الدعاء الى ربه فقد طلب الكثير واستجاب له. فما كان عليه إلا أن يسعى وراء مصدر الماء، فأخذ عصاه وقطع واد الرمان متسلقا كدية سيدي عبد القادر، ونزل مع واد المرجى ليقطعه، ويصل الى واد شفة وواد بني؛ وواد وزرة ويعبر جسر جبل الدخلة المطل على سفوح موزاية ليحل عليه الليل ويواصل رحلته في عتمة الليل. والتي لم يكن يرى منها سوى ما أنارته عليه النجوم لكن الله لم تخلى عن وليه الصالح وأنار بصيرته ليجد امامه شلالات تنحدر من جبل الدخلة المطل على سفوح موزاية والتي مصدرها"عين لسموت" ليصيح سيدي احمد الكبير"الحمد الله الحمد لله"[2].

وأمام هذا الاكتشاف كانت أمام سيدي أحمد عقبات أخرى، هي كيف سيوصل هذه المياه العذبة الى المكان الذي يريده؟ كيف سيجعل من المياه المنحدرة من سفح الجبل، المشكلة لبركة عميقة، الله الوحيد الأعلم أين يصل عمقها أن تنحرف عن مسارها؛ وتتجه الى سهول واد الرمان؟ كان من الصعب تحويل مسار هته المياه.التي تتدفق جنوبا مشكلة بحيرة أن تتجه الى حيث يريد هذا الولي ، فما كان من الولي الصالح إلا أن قام وصلى ركعتين الى الله وطلب منه ان يامر المياه فتتبعه فكان له ذلك[3].

[1]- Cornail Trumelet, Les Saint De L'islam Légende Et Croyance, Op. Cit, P195.
[2]-Cornail Trumelet, Les Saint De L'islam Légende Et Croyance, Op.Cit, P200. .
[3]-Cornail Trumelet, Les Saint De L'islam Légende Et Croyance, Op. Cit, P200. .

4.3-كراماته:

من كرامات الولي الصالح سيدي أحمد الكبير، كغيره من اولياء الله الصالحين هي الدعاء المستجاب، فكما ذكرنا ان سيدي احمد الكبير عندما وجد نبع مياه"عين لسموت" صلى لله ودعاه بان يأمر المياه بان تتبعه.فقامت المياه مثل الفضة السائلة، وأخذت تتبع الولي سيدي أحمد الكبير مثلما يتبع الكلب الوفي سيده، ووتنزل أينما ينزل؛ وتخترق الصخور عابرة الجبال صعودا أينما يصعد، منزلقة عبر الوديان وهكذا عبروا جبل الداخلة، وواد بني بوبكر، وواد المرجى دون أن تختلط بمياههم، وصعدوا مرتفعات"بوردو" و"لعمش"؛ الى أعلى نقطة ببني صلاح ليصلوا أخيرا الى واد الرمان1.

كانت الشمس قد ناصفت عنان السماء أين كان هناك رجلان غريبان يستريحان فوق صخرة تعلوها شجرة الخروب، ودلهم ارتفاع الشمس أن وقت الظهر قد حان، فبحثوا عن الماء للوضوء لكن دون جدوى؛ فاستدار ورأوا سيدي احمد ويضرب الصخرة التي أمامه بعصاه، وتنفجر منها المياه العذبة. وتشكل هي بدورها نافورة تتدفق من كل النواحي كأنما السماء تمطر من دون غيوم، ويختفي بعدها، ليظن الرجلان أن هذا الشخص هو سيدي عبد القادر الجيلاني2.

5.3-وفاته:

من الامور التي حصلت بعد وفاة سيدي أحمد الكبير بعد وفاته، هو ما حدث للقبة التي بنيت على ضريحه، حيث أنه لما وجد الولي الصالح ميتا؛ قام البناءون الأندلسيون ببناء قبة جميلة تليق به على ضريحه.بمهارة أساتذة العمارة المغربية، لكن ما إن مضت تلك الليلة وحل اليوم الموالي، تم العثور على قبته مقلوبة، وحطامها متساقط من حولها؛ وعلى الرغم أن أحدا لم يشعر بسقوط الضريح. فإن الحدث نسب الى زلزال حدث في الليل، فعاد الأندلسيون للعمل عليها ولمدة خمسة عشر يوما بنا المهندسون الأندلسيون قبة أعلى، وأجمل من الأولى ليجدها

[1]- Cornail Trumelet, Les Saint De L’islam Légende Et Croyance,Op. Cit, P201. .
[2]- Cornail Trumelet, Les Saint De L’islam Légende Et Croyance,Op. Cit, P201. .

تلامذة الشيخ أثناء مرورهم بها وهم ذاهبون للصلاة الفجر؛ قد تهاوت عن آخرها ولم يبقى بها حجر واحد، فقد كان هناك لغز لا يمكن كشفه، اذ لا يوجد إنشاءات مجاورة للمقبرةأنها قد خضعت للتأثيرات التي أدت الى هدم الضريح، فاكتفى الأندلسيون وأبناء سيدي احمد الكبير بوضع نصب تذكاري، والذي لم يتهاوى كما حصل من قبل، فلا بد أن الولي الصالح لا يريد قبة عليه فيجب الخضوع لمراده، ومشيئته الأخيرة؛ فمثل هذه الأمور لطالما حدثت في بلاد المسلمين. وهذا ما حدث مع الضريح الذي بني للإمام بن حنبل، والذي كان يقع في كل مرة يبنى فيه، ليقوم تابعوه في الأخير ببناء نصب تذكاري على شكل شاهد؛ نقش فيه إسمه بدل القبة والضريح[1].

إن سيدي أحمد الكبير لم يكن مجرد ولي صالح، بل كان رمزا لبعد عمراني وروحي في آن واحد، تجلى خاصة في تأسيسه لمدينة البليدة،؛ حيث جمع بين بناء الفضاء الحضري وترسيخ الهوية الدينية والاجتماعية للسكان وهو ما جعل حضوره يتجاوز حدود الولاية ليصبح علامة فارقة في تاريخ المنطقة.

4-سيدي محمد بن عيسى:

1.سيدي محمد بن عيسى دفين مدينة المدية:

سيدي محمد بن عيسى هو الابن الأكبر لسيدي محمد بن عيسى دفين مكناس، والذي قدم الى الجزائر عبر الغرب الجزائري، وأقام به مدة من الزمن واستقر بمنطقة المدية؛ وبالضبط في منطقة وزرة بالمدية وأسس زاوية "العيساوة" هناك أين يوجد ضريحه الآن[2].

1.1.نسبه:

يلقب سيدي محمد بن عيسى في منطقة وزرة بالشيخ الكامل[3]، وهو محمد بن عيسى ابن أبو عبد الله محمد بن عيسى –الولي الصالح دفين مكناس–الفهدي السفياني، المختاريوهو

[1]-Henry Carnoy, Les Koubbas Renversées, La Tradition, Revue Générale Des Contes, Légende, Chants, Usage, Tradition Et Arts Populaire, Tome 07, 1893, P58.
[2]- Emil Dermenghem Et Léo Barbes, Essai Sur La Hadhra Des Aïssaoua D' Alger, La Revue Africaine, N°95, Alger, 1951, P291.
[3]- Emil Dermenghem Et Léo Barbes, Essai Sur La Hadhra Des Aïssaoua D' Alger,Op.Cit, P291

سليل عائلة شريفة غامضة الى حد ما؛ والتي اختلف المؤرخون عليها فيما بينهم الى أين ينتهي نسبها[1]، ونسبه من خلال كتاب سلوة الأنفاس للكتاني أنه محمدبن عيسى. بن امير بن عمر بن عامر بن حريز بن محروز بن عبد المومن، بن عيسى ابوسبع الشريف سليل إدريس حسن السبط حفيد الرسول صلى الله عليه وسلم[2].

أما أبو الفتوح أحمد الغزالي فيذكر نسبه في كتابه الذخيرة في علم البصيرة، أنه محمد بن عيسى بن سيدي عامر بن سيدي عمر بن سيدي عامر بن سيدي حريزبن سيدي محروز بن سيدي عبد المومن بن سيدي عيسى الملقب بالسبع بن سيدي ابراهيم بن سيدي هلال بن سيدي محمد بن سيدي يوسف بن سيدي ابي يزيد بن سيدي عبد الرحمان بن سيد سلام بن سيدي عبد العزيز بن سيدي عبد المومن بن سيدي زيد بن سيدي رحمون بن سيدي زكريا بن سيدي محمد بن سيدي عبد المجيد بن سيدي علي بن سيدي عبد الله بن سيدي عبد الله بن سيدي احمد بن مولاي ادريس بن مولاي ادريس ابن عبد الكامل بن مولاي الحسن المثنى بن مولاي الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه زوج سيدة فاطمة رضي الله عنها بنة سيد الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم[3].

إختلف المؤرخون فيما بينهم على أن عيسى بن محمد دفين مكناس هو نسبه لعائلة بني فهد سفيان المختاري، فكل من ابن عسكر في كتابه دوحة الناشر، وعبد الرحمان الفاسي في كتابه "ابتهاج القلوب"، يؤكدون هذا النسب بينما مردوه؛ والشيوخ الذين يؤرخون له يقولون أن نسب الولي الصالح سيدي محمد بن عيسى، يعود الى عائلة أبي سبع المنحدرين من نسب الادارسة الشرفاء، وأن كل ما جاء في كتب السير لم تعطى له إلا نتيجة إقامة طويلة عند بني سفيان ومختار وبني فهد[4].

[1]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes ,Op.Cit, P216.
[2]-Edmond Douté, Les Aïssâoua De Tlemcen, Imprimerie Matin Frères, France, 1900, P19.
[3]- René Brunel, Essai Sur La Confrérie Religieuse Des Aîssâoûa Au Maroc, Librairie Orientaliste Paul Geuthner 13 Rue Jacob Paris, 1926, P06.
[4]- René Brunel, P12.

ولأجل التحالف معهم نسب نفسه إليهم، وهذا ما أكده أحمد الغزالي ان سيدي عيسى بن محمد ينتمي الى الشرفاء الحسينيين[1]، وان سيدي احمد التيجاني رأى بالمنام السيدة فاطمة الزهراء محاطة بابنيها الحسن والحسين تتحدث للشيخ الكامل؛ ولو لم يكن شريفا لما إقترب من السيدة الزهراء المقدسة[2].

2.1.كرامات سيدي محمد بن عيسى دفين المدية:

قام أحد سكان "دامد"* بسرقة ناقة سيدي محمد بن عيسى، والذي ذهب إليهم يطلبهم إرجاعها ولكنهم رفضوا، فقام أحد حكمائهم بعرض أمر على من سرقوا ناقته بأن يطلبوا منه أن يزيد من تدفق مياه أحد العيون التي يستعملونها في سقي مزروعاتهم؛ وسيردون له ناقته.

وما إن طلبوا ذلك من الولي صالح كان لهم ما أرادوا، حيث قام سيدي محمد بن عيسى بتلويح بيدهونزع الجزء العلوي من الجبل، الذي تواجدت به العين المذكورة فانفجر المكان بالماء؛ ففرحوا ونسوا أمر إرجاع ناقة فقام آخرون بذبحها وتوزيع لحمها على سكان القرية فسمع سيدي محمد بالخبر.فتوجه الى مكان العين، وبإشارة من إصبعه حمل أكبر صخرة متواجدة في المكان ورفعها الى السماء وأنزلها على مكان تدفق المياه فأغلقها، وبذلك عاقب سكان قرية دامد على فعلتهم[4].

إن سيدي محمد بن عيسى المدفون بالمدية، لم يترك أثره في المكان وحسب، بل في الامتداد الروحي للطريقة العيساوية بالجزائر؛ إذ ينظر إليه كجدها المؤسس ومرجعها الأول. وهذا البعد يمنح سيرته بعدا مزدوجا: محليا من خلال ارتباط ضريحه بمدينة المدية وذاكرتها، وعابرا للحدود من خلال استمرارية أتباعه العيساويين ومن خلال الكتابات الفرنسية، يظهر أن الاهتمام لم يكن منصبا على شخصيته الصوفية فقط، بل أيضا على الدور الذي لعبته العيساوة باعتبارها جماعة روحية وفنية واجتماعية ساهمت في صياغة جزء من المشهد الثقافي

---

[1]- René Brunel, Op.Cit, P04.

[2]- René Brunel, Op.Cit, P05.

*– دامد : يطلق عليها حاليا سيدي دامد وهي بلدية واقعة بعين بوسيف بولاية المدية.

[4]-Alphonse Certeux Et E. Henry Carnoy, L'algérie Traditionnelle, Imprimerie Pierre Fontana, Alger, 1884, P P 69-70.

الجزائري، وهنا يتضح أن سيدي محمد بن عيسى يشكل همزة وصل بين قداسة الفرد وبروز جماعة واسعة التأثي

2.سيدي محمد بن عيسى دفين مكناس:

ولفهم طبيعة ممارسات العيساوة بالجزائر، وجب معرفة أصولها ومن أين جاءت، ولذلك إرتأينا دراسة أصولها من خلال دراسة سيدي محمد بن عيسى؛ والد سيدي محمد بن عيسى دفين وزرة بالمدية.

1.2.مولده:

ولد في مكناس[1]، في القرن التاسع هجري حوالي سنة 872هـ، ما بين سنتي (1465م-1466م) ولقب بالشيخ الكامل[2]؛ لقب بالكبريت الأحمر وبركة أهل السماء والأرض[3].

عاش سيدي محمد بن عيسى بمكناس بالمملكة المغربية، في ظل حكم السلطان مولاي إسماعيل كما جاءت به الاسطورة[4]، لقد كان رجلا صوفيا اتبع الطريقة الشاذلية، والجازولية أخذ مبادئها عن أحمد الحريستي تلميذ سليمان الجزولي؛ لينضم بعدها الى عدة مسارات صوفية[5] بحياة مليئة بالحكايات و الأساطير[6].

2.2.حياته ورحلاته:

عاش سيدي عيسى بمدينة مكناس، ولم يتلقى تعليما كبيرا يكاد يذكر إلا أنه كان ورعا ووزاهذا في الدنيا، وككل الصلحاء تلقى سيدي عيسى الطريقة عبر المنام؛ حيث رأى سيدي عيسى في الليلة في المنام.أن النبي صلى الله عليه وسلم،أمره بأمر من الله تعالى بتكوين تابعين، وكشف له صيغة الصلاة التي يجب ان يتبناها؛ ولما استيقظ جاب المدينة باحثا بين الحكماء والعدل، المعروفين بتقواهم إن أمكنهم أن يصبحوا تلامذته وإخوته، بسؤالهم: هل تريد

[1]- P.J André,Confréries Religieuses Musulmanes, Op.Cit, Alger ,P216.
[2]- René Brunel, Op.Cit, P02.
[3]- René Brunel, Op.Cit, P05. ،
[4]-Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux Chez Les Musulment De L'algerie, Imprimerie De A.Guyot, Imprimeur Du Roi, Deuxiéme Edition, Paris,1846,P-P 68-73
[5]- P.J André ,Confréries Religieuses Musulmanes, Op.Cit, P217
[6]- للإطلاع على حياة الولي الصالح سيدي محمد بن عيسى الجد كاملة انظر:
- René Brunel, Essai Sur La Confrérie Religieuse Des Aîssâoûa Au Maroc,Op.Cit, P-P 1-30

العمل معي؟ فأجابوه بنعم، لكن ماهو العمل الذي تريده منا؟ فأخذهم معه الى بيته وأعطى كل منهم مبلغا معينا من المال؛ ولقنهم الورد الذي يقال كل يوم، وإن هذه النقود أرسلها الله إليكم فاحذران تفعل بها منكر، واذهب بسلام فإن الله معك وتخف من الأعداء، فمن اليوم لا يمكن للشر أن يصل إليك؛ وبهذا شكل سيدي عيسى جمع مئة تابع وأسماهم بالإخوان،كما سمو وفي كل طريقة[1].

ذاع صيت سيدي عيسى بمدينة مكناس، وهنا جاءت قصة الخلاف بين سيدي عيسى بن محمد ومولاي إسماعيل سلطان مكناس، قد تكون ضربا من الخيال أو خلطا في الأسماء أو لربما أسطورة لان هذا الأخير ولد سنة 1672م، أي بعد أزيد من قرن من وفاة سيدي محمد بن عيسى السفياني؛ والذي عاش في فترة المضطربة لحكم الوطاسيين، والذين لم يحمل أي حكامها اسم مولاي إسماعيل، لذلك فإن صاحب هذه الأسطورة قد صاغ اسما لسطان خيالي يسهل تذكره[2].

أما الأسطورة فتقول إن السلطان مولاي إسماعيل، الذي كما قلنا سابقا ملك مكناس في ذلك الوقت سرعان ما أدرك التأثير المتزايد لسيدي عيسى والتبجيل الذي يحيط به، فاستاء منه بشدة[3]؛ فهو شريف المغرب ومن نسل الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو من أصل ملكي وكانت عائلته تمتلك العرش والسلطة الدينية لفترة طويلة، فليس من المفترض ان ينموا الى جانبه مرابطون من أصول غير معروفة، والذين سيطرت سمعتهم على قدسيته ومكانته ولكن هل يستطيع ان يعاقب دون ظلم؟ ودون ان يعرض نفسه الى أشد اللوم؟ أن يعاقب رجلا بسبب الحماية التي منحته إياها السماء[4]؟

أخفى مولاي اسماعيل سخطه منتظرا مناسبة مواتية، لطرد الرجل الذي كان يغار منه من المدينة وسرعان ما اتيحت له الفرصة، والتي لم يدعها تمر بسلام وهذا خلال الاحتفال

[1]-Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux Chez Les Musulment De L'algerie, Op.Cit, P-P 68-73
[2]- René Brunel, Op.Cit, P02.
[3]-Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux, Op.Cit, Pp 68-73.
[4]-Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux, Op.Cit, PP 74-78.

بالعيد الأضحى؛ حيث قام سيدي عيسى بشراء مئة خروف ووزعها على تابعيه.طلب منهم موافاته بعد صلاة العيد في منزله فاستجابوا له، وأمام منزله سألهم إن كانوا يحبونه محبة الابناء لأبيهم، هل انتم مستعدون لإتباع أوامري فأجابوه بنعم، فأجابهم سيدي عيسى بأنه يريد أن يرى إن كانت قلوبهم تتفق مع أفواههم؛ وإنني أعلن إني في هذا اليوم قد صممت لقطع أعناقكم جميعا. بدل المعتاد من ذبح للأغنام في هذا العيد، ومن له الإخلاص لي فليدخل لمنزلي للاستسلام وذبحه بدل الأضحية، فيتردد تابعوه بعض الوقت ويخرج من الحشود احدهم ويقول له: أحبك محبة الإبن لوالده وأعطي لك نفسي بصدق إن كنت تعتقد أنها مفيدة،؛ ومن دواعي سروري ان أقدم نفسي على الفور.فدخل التابع رفقة سيدي عيسللمنزل، فبدل ذبحه أعطاه شاة ليذبحها وأراه المكان الذي يتم فيه الذبح، والذي كان منحدرا خلف أسوار منزله فيه فتحة تدفق منها الدم للشارع أمام أعين الإخوة التابعين،الذين لا يزالون مجتمعين وأمام هذا المنظر إسحب أغلبهم ولم يبقى سوى ثمانية وثلاثون؛ دخلو منزله ينتظرون مصيرهم ليسلمهم سيدي عيسى اغناما لذبحها[1].

وأمام هذا الامر ينظم إليهم رجل يهودي، أعجب بحب المسلمين لدينهم والتضحية لأجله فذهب لسيدي عيسى، وطلب منه ان يترك دينه ويدخل الإسلام وهو مستعد للموت لأجله، فما إن دخل للمنزل ونطق الشهادة اهداه سيدي عيسى شاة لذبحها، وفي خظم هذا الامر إنتشر الخبر فيالمدينة؛ ومنه الى المولى إسماعيل والذي أرسل جنوه لينطر في أمر سيدي عيسى الذي قتل إخوانه وما إن وصلوا منزلة حتى وجدوا أربعون رجلا منهمكين في سلخ وتقطيع شاة العيد في منزل الولي الصالح سيدي عيسى[2].

اقتادا لحراس مريدي سيدي عيسى الى السلطان[3]، ودون أن يسأل حراسه عما رأوه يتحدث مباشرة الى سيدي عيسى قائلا له: بأي حق تقوم بذبح الرجال؟ من سمح لك أن تنسب لنفسك قوة لا أملكها إلا أنا هنا هل تجرأ بمقارنة نفسك بي، وتسعى الى رفع نفسك الى ذروة عرشي؟

[1]-Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux, Op.Cit, PP 74-78.
[2]-Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux, Op.Cit, PP 74-78.
[3]-Edmond Douté, Les Aïssâoua De Tlemcen, Op.Cit, P22.

فأجابه سيدي عيسى: كل العظمة لله وأنا أكثر عبيده تواضع؛ فقد خدعتم فانا لم أقتل أحدا، فقد أردت فقط إختبار إخلاص أولئك الذين أطلقوا على أنفسهم إخوتي. والخدعة التي إستخدمتها جعلتني أتعرف على أولئك الذين يرتبطون بي بصدق، فهرب الذين لم يثقوا بكلماتي وأنا لست نادما عليهم إطلاقا، هنا يغار المولى إسماعيل من السلطة التي فرضها سيدي عيسى على أربعين من تابعيه الذين ظلوا مخلصين، وعلاوة أن ترى براءة الولي الصالح من الاتهامات الموجهة إليه؛ أمر بمغادرة مدينة مكناس على الفور، فقال سيدي عيسى للمولى إسماعيل:" حفظ الله السطان المجيد المولى إسماعيل.أنا أحترم رأيك وسأتبع أوامرك، ولكن أن سمح لي بقضاء أيام العيد الثلاثة وفي الرابع سأرحل" وقد منح هذا الطلب[1].

غادر سيدي عيسى بالفعل وأخذ معه زوجته وأطفاله، وتابعيه الاربعون، ليستقر بمطقة "حمريا" وهي منطقة غير مأهولة بالسكان، فقام سيدي عيسى بضرب شجرة الزيتون القديمة بعصاه، وعلى الفور بدأ ينبوع من المياه الصافية بالتدفق، منتشرة مياهه فوق السهل وسرعان ما علم السلطان بهذه الكرامة، فأمر سيدي عيسى بالابتعاد أكثر حيث أنه يريده بعيدا عن الأراضي التي يحكمها فأجابه سيدي عيسى أن الأرض ملك لله، ولكنني اعترف بسلطانك عليهم لذلك أقترح عليك أن أشتري كل الأراضي التي تمتلكها بالثمن الذي تحدده وافق مولاي اسماعيل على عرضه، ضنا منه أن سيدي عيسى يكذب؛ وأنه فقير ولا يملك ثمن شبر حتى فاتفق معه على يوم إبرام العقد[2].

إنتقل مولاي اسماعيل الى "حميرة"، مع كل علماء ومكناس وموظفي البلاط، لكي يقوم بإهانته أمامهم إن عجز عن دفع ثمن لأراضي، التي يريد شراءها وليحقق انتقامه فقد جاءت الفرصة التي إنتضرها طويلا وعندما وصل المولى اسماعيلاستقبله سيدي عيسى عند شجرة الزيتون؛ والتي كانت ينبع من وسطها الماء، وشكل رفقة العلماء الذين أحضرهم معه دائرة حوله، وقدم له السند لبيع مدينة مكناس، والأراضي المحيطة حولها وبمبلغ كبير جدا؛ فأجابه سيدي عيسى: إن كانت صلاتي مقبولة فإن الله يحميني وضرب شجرة الزيتون مرة أخرى

[1]-Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux, Op.Cit, P78.
[2]-Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux, Op.Cit, Pp 79-80-81

فأمطرت ذهبا، وامتلأت تلك الدائرة التي شكلها مولاي إسماعيل حتى صارت جبلا من القطع الذهبية[1].

بعد ان جمعت تلك الأموال، وعدوها ووجدوا أنها فاقت بثلاث أضعاف المبلغ الذي أراده المولى إسماعيل، وفي خضم الذهول الذي أحدثته هذه الكرامة الإلهية، إستقام سيدي عيسى وقال بصوت مرتفع: أنا صاحب المدينة وتوابعها أخرج منها؛ وسأكون قاسيا غير متسامح كما كنت معي. وبعون الله أنا الآن أعظم عظماء الأرض، وربي سيرشدني ويوجهني الى الخير وكما أردت أن تسخر من الصالح المسكين، وتتهمه بالخداع والكذب، أذلك الله، ولكن من ألهمني يسألك من خلال فمي: من هو الأقوى الآن؛ فاستولى العاروالخجل على المولى إسماعيل في حضور العلماء والاعيان.فيد الله كانت فوق الجميع ووجب عليه تحمل نتائج تصرفاته، فقد تغيرت الأدوار فبدل أن يشعر السلطان مولاي إسماعيل بالفخر، لعدم دفع الثمن المطلوب من طرف سيدي عيسى أصبح يشعر بالخزي[2].

لم يجد مولاي إسماعيل الحل المناسب للخروج من المأزق الذي وضع فيه نفسه، وهنا إلتفالأعيان والعلماء حول سيدي عيسى قائلين: سيدي عيسى حفظك الله ورعاك، كيف لكان تقبل علينا البؤس والشقاء ففي المدينة منازلنا وممتلكاتنا ليست ملكا للسلطان؛ ورثناها عن أجدادنا، لايمكن أن نتركها، فأجابهم سيدي عيسى ألم تأتوا للتمتع بهزيمتي وذلي، آن الأوان لأنتقم لكنني لن أفعل، بشرط واحد فقط، أنه ومن كل سنة وإبتداءا من يوم الثاني عشر من ربيع الأول(المولد النبوي الشريف)؛ وطيلة سبعة أيام لن يخرج سكان مكناس من منازلهم[3].

وسيكون حق التجوال فالمدينة في هذه المدة للتابعين لي فقط ويجب أن يكون هذا الشرط دائما، وعلى كل سلطان تنفيذه، فتم قبول هذا الاقتراح بالإجماع فوقع السلطان ووقع أعيان وعلماء المدينة الى جانبه، ومنذ ذلك الحين تم الإلتزام بهذا الإتفاق بكل أمانة إذا كانوا لا يريدون تحمل العقوبات الجسيمة من قبل العيساوة؛لتجنب هذا الإتفاق المزعجفإن كل سكان مكناس أصبحوا من أتباع العيساوة[4].

[1]-Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux, Op.Cit, Pp 79-80-81
[2]-Edmond Douté, Les Aïssâoua De Tlemcen, op.cit, P22.
[3]-Edmond Douté, Les Aïssâoua De Tlemcen, op.cit, P22.
[4]-Edmond Douté, Les Aïssâoua De Tlemcen, op.cit, P22.

ومهما كانت الأسباب التي أدت بسكان مكناس للإعتقاد بالعيساوية، سواء ارتبطت بالأسطورة أو أمر آخر فلا يمكن إلا الاعتراف بأن سيدي عيسى كان رجلا يتمتع بالبصيرة من خلال الشرط الذي شرطه على أهالي مكناس ليرتفع عدد المنتمين للعيساوية بسرعة. بقي سيدي عيسى بمنطقة " حميرة" وبنى بها مسجداتوفي بها ودفن بالمسجد الذي بناه1.

3.2.كراماته

من كرامات سيدي عيسى معرفة الناس، ومما يضمرونه وهذا ما جات به قصة سيدي عيسى والرجل الذي عرف بجرائم النهب والقتل يدعى "بن راويل"، وفي يوم ما احس بالذنب مما إقترفته يداه، فأراد الذهاب ن الى أحد الصلحاء ليرشدوه الى طريق التوبة؛ فأخذ فأسه والذي عادة ماكان يقترف به الجرائم، فلم يجرأ بن راويل على الاعتراف بذنبه.

فإختار أن يضرب مثلا ومن يفهمه يقف عنده، فذهب الى المرابط الأول وقال له" هل تستطيع أن تشحذ فأسي" فأجابه المرابط بان هناك حدادا قريبا منه يستطيع القيام بالمهمة، ومن هنا إنتقل بن راويل من صالح الى آخر حتى وصل الى سيدي عيسى؛ وما إن وقف أمامه وقبل أن يقول بن راويل شيئا قال له سيدي عيسى"أعرف من أنت...أنت رجل سيء.

لكن الله رحيم لكل من أراد توبة صادقة، أن تموت عندي وتطهر نفسك فإرمي فأسك، وسلح نفسك بالنوايا الحسنة والصلاح والفضيلة؛ حيث عاش هذا الرجل خادما لدى سيدي عيسى بعد أن تاب على يدهورجع الى الطريق المستقيم[2].

4.2.وفاته:

توفي سيدي محمد بن عيسى الجد في 27 من ذي الحجة سنة 1333هبين سنتي 1523م[3]، أو1524 م[4].

[1]-Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux, op.cit, Pp 82-83-84.
[2]-Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux, Op.Cit, P99.
[3]- P.J André , Confereries Religeuses Musulmanes, Op.Cit, P216.
[4]- Emil Dermenghem Et Léo Barbes, Essai Sur La Hadhra Des Aïssaoua D'Alger, Op.Cit, P290

إن سيدي محمد بن عيسى المدفون بمكناس يمثل مرجعية روحية كبرى تجاوزت حدود المغرب لتصل إلى الجزائر وبلدان المغرب العربي عموما، من خلال الطريقة العيساوية التي تعود إليه بالنسب الروحي فمكانته لا تنحصر في كونه وليا صالحا، بل مؤسسا لسلسلة من الممارسات الصوفية والطقوسية التي صارت عنصرا مميزا في الهوية الدينية والثقافية للمنطقة؛ ومن خلال الكتابات الفرنسية، يظهر أن الاهتمام بالعيساوة لم يكن محصورا في بعدها الروحي فحسب.

بل أيضا في بعدها الاجتماعي والفني، لما حملته من تأثير على المخيال الشعبي وعلى الروابط الجماعية، مما يجعل سيدي محمد بن عيسى رمزا جامعا بين البعد الصوفي والبعد الثقافي في آن واحد.

5.2.ممارسات العيساوة:

من المعروف ان للعيساوة ممارسات متعددة يبتفردون بها عن غيرهم، ولهذا لا يمكن تخطيها.

أ-القطاية:

أحد الطقوس الشائعة عند العيساوة هي ارتداء القطاية، والقطاية هو الشعر الذي ينمو أعلى الراس، حيث يقوم حجام الزاوية بحلق شعر المبتدئ؛ وترك مافي أعلى الرأس لينمو وحده دون باقي الشعر حتى تصبح ضفيرة طويلة.والتي تشبه الى حد كبير الضفائر عند الهندوس أو الصينيين، فالقطاية عند العيساوة كمثل حمل المسبحة عند الدرقاوة والكتانيين، فقد تكون القطاية صغيرة فتسمى" القويطية"، أو طويلة فتسمى "ختم الشيخ"؛ أو "عربون الشيخ"لايتم قصها وإن وصلت للكاحل، كما لا تقتصر القطاية على البالغين فقط، بل حتى الأطفال الذين يوضعون تحت حماية الشيخ الكامل،وهذا كي لا يمرضوا ولا تصيبهم العين يقومون بحلق رؤوسهم في اليوم السابع من ولادتهم، ويسمون بعيسى تيمنا بوليهم سيدي محمد بن عيسى[1].

[1]- René Brunel, Essai Sur La Confrérie Religieuse Des Aîssâoûa Au Maroc, Op.Cit, P -P 123-124.

جاء في أحد الأساطير التي ترتبط بالولي الصالح سيدي عيسى، أنه كل طفل يولد من نسله وعلى كتفه خصلة شعر شائبة لا يعيش طويلا، وهذا من شدة الألم الذي تحمله سيدي عيسى بعد أن وعد أحد تابعيه؛ المرابط سي محمد أحد سكان مكناس بعد ان مرت عليهم ثلاث سنوات عجاف والجوع والجفاف. كان قد وعده بأن يطلب من سيدي عيسى أن يدعو الله أن تهطل عليهم المطر، وفالمقابل أن يعطيه القليل من الطعام، ولكن ما إن وصل الخبر لسيدي عيسى غضب من المرابط سيدي محمد أحد تابعيه؛ وأغلق على نفسه ليوم كاملفي المسجد.وما إن خرج وجد إخوانه التابعين، فاظهر كتفه لسي محمد وقد كسر وشفي، ومكان الكسر نمت به خصلة من الشعر الشائب؛ أنظر ماذا فعلت لأجلك حتى لا تظهر امام الناس كذابا ومخادع. فسأله اتباعه عن الذي حدث له أثناء خلوته بالمسجد، فأجابهم بأنه صعد للسماء الرابعة، الى الملاك الذي يحمل بين يديه المطر والأرض؛ وطلبت منه أن يخفف من صرامته وقبضه للماء.فتجادلت معه ودخلت معه في صراع فكسر ذراعي، لكنني صليت الى اللهونلت خلاصي وما أردت، فاذهب إلى المدينة وأخبرهم؛ أنه بعد أيام ستسقط أمطارغزيرة فليصلح الناس منازلهم القديمة والشرفات لأن الأمطار ستهطل لمدة سبعة أيام[1].

تحققت نبوءة سيدي عيسى بعد أيام لتتهدم بيوت من كذبوه، وتصمد تلك التي كانت بحالة جيدة أو قام أهلها بإصلاحها قبل المطر، ومن هنا فكل من يولد بالخصلة الشائبة على الكتف فإنه يموت بعد أيام لشدة الألم الذي تحمله سيدي عيسى؛ ليهطل المطر عليهم ولأنه يستحيل إنبات شعر على الأكتاف فإن إنبات القطاية هي نيابة عن ذلك لدرء الشر عنهم[2].

ب.الحضرة:

يتم الاحتفال بمهرجان عيساوة كل سنة مع نهاية فصل الربيع، في مدينة مكناس ووزرة بالمدية، أين يوجد ضريح سيدي محمد بن عيسى ابن مؤسس الطريقة الأصلي، ومناطق عديدة بالجزائر منها مدينة تملسان؛ووهران في الغرب الجزائري، كما نجد حضورهم الدائم في العديد

[1]-Edoird De Neveu, Les Khouan Ordres Religieux, Op.Cit, PP98-97-96.
[2]-Edoird De Neveu, Les Khouan Ordres Religieux, Op.Cit ,Pp98-97-96.

من المواسم الاخرى" الطعم"، وقيامهم بحركات بهلوانية والرقص مع الثعابين والأفاعيوأكل العقارب، وغرز بطونهم بالخناجر التي تحدث جروحا بليغة، لكنها تختفي بمجرد الإنتهاء من العرض المقدم وهذا كله راجع الى أساطير؛ وكرامات ارتبطت بالولي الصالح سيدي عيسى بن محمد الجد[1].

إن طقوس الحضرة العيساوية المتبعة في الجزائر، غير معروفة عامة وأسيئ فهمها وهذا من خلال العروض، والطقوس التي تظهر كأنها نوع من أنواع الهستيريا؛ أو التعصب أو الوحشية أو الكرامات أو الخداع، إنما الواقع مختلف تماما، ولفهم ختلف هذه العروض التي تشكل صدمة للجميع يجب الذهاب بعيدا، الى أساس هذه الممارسات التي تبدو عجيبة وخطيرة والتي هي بنسبة لعيساوةهي تنفيس عن ذات[2]، والتي تنقسم الى قسمين: القسم الأول الحضرة و يتم فيها ختم القرآن كاملا وبعدها تتخلله فترة راحة؛ يقدم فيها الطعام وبعدها تقام الحضرة بتشكيل نصف دائر من مريدي الطريقة الذين يحملون "البندير"* .

وآخرون يحملون"القصبة"* حيث يشكلون فرقة تقوم بالعزف، وترديد القصائد التي تتغنى بالنبي صلى الله عليه وسلم أو أسماء الله الحسنى، وبعض الأدعية وقصص الأنبياء والرسل[5].

ومن الممارسات المعتادة في الحضرة، والموسم عدم لبس اللون الأسود لأنه حسب اعتقادهم يمثل لون جهنم، وأن مجرد لبس لون الأسود يعتبر ذنبا؛ ويجب التكفير عنه وان مجرد حضور شخص غريب يلبس الأسود، فإنهم يهجمون عليه لتمزيق ملابسه إربا إربا. وحتى قرب الماء المصنوعة من جلد الماعز الأسود كانت تمزق، فكان مقدم الطريقة غالبا ما يقوم بالمراقبة أثناء الموسم ليقوم بإبعاد من يحملون القرب السوداء، أو من يرتدونه هاتفا بقوله "الله الله يا سيدي بعد"؛ وفي معظم الحالات فإن العيساوة لم يهاجموا الأغنياء.أمثال أولاد سيد

[1]- Edoird De Neveu, Les Khouan Ordres Religieux,Op.Cit,Pp 82-83-84.
[2]- Emil Dermenghem Et Léo Barbes, Op.Cit, P189.

*– البندير: آلة موسيقية تشبه الدف.

*–القصبة: آلة مسيقية تشبه المزمار.

[5]- Emil Dermenghem Et Léo Barbes ,Op.Cit, P191.

الشيخ واولاد الناصر بوحركات، بل كانت هجماتهم تقتصر على البؤساء أصحاب الملابس البالية[1].

ج..طبق الكسكس:

تيمنا بما أعدته بزوجة الولي الصالح سيدي عيسى لأبنائها بعد جوع دام لأيام، فانه يتم تقديم طبق اللحم بالكسكسى والمرق للعيساوة، المقيمين للمهرجان أو الحضرة؛ بدون أن يطلبوا منهم ذلك وهذا كله عائدا للأسطورة التالية:

ان سيدي عيسى عاش فقيرا لا يملك بالكاد قوت يومه، ليعيش عائلته ذات الأفراد الكثيرة[2]، ولأنه كان مؤمنا بالله وقنوعا بأن الله سيكافئه بسد احتياجاته كلها، فكان كل يوم يذهب للصلاة بالمسجد ويدعو اللهويتضرع له أن يسد احتياجه؛ بعد أن ترك أطفاله يبكون من شدة الجوع. فكان يرفع يديه للسماء ويدعو الله ويقول:"ربي من لي سواك يعرف احتياجي، ربي لا تتركني أمد يدي لغيرك"، وعند فراغ سيدي محمد بن عيسى من صلاته ودعواته أبى أن يعود لبيته لأن صوت أنين أطفاله يمزق قلبه حزنا عليهم، وفي هذه الأثناءهناك رجل يطرق باب منزله سيحمل قطعة من لحم والسمن والخضار والدقيق ويقوال لزوجته:" أمسكي، زوجك أرسلها، فأخذت زوجته ما أتى به الجل وانصرفت تعد وجبة الكسكسى باللحم والمرق لأطفالها[3].

عندما حل الليل غادر سيدي عيسى المسجد متجها بخطوات مثقلة إلى منزله، بقلب يعتصر حزنا على أولاده الجوعى وما أن اقترب قليلا حتى سمع أطفاله يخاطبونه أمهم " نريد المزيد من اللحم الذي أرسله والدي" هنا هرع سيدي محمد ليفتح باب منزله ويرتمي في أحضان أبناءه الذين ضلوا قرابة أربعة أيام من دون أكل، كما أنه لم يسأل زوجته من أين جاءت بالأكل بل رفع عينيه للسماء يشكر الله سبحانه وتعالى على عطاياه وأنه استجاب لدعواهبان أعاد السعادة والأمل لعائلته بعد أن عاشوا فترة عصيبة من البؤس والفقر والجوع[4].

[1]- René Brunel, Essai Sur La Confrérie Religieuse, Op.Cit, 1926, P P 123,124.
[2]-Edmond Douté, Les Aïssâoua De Tlemcen, Imprimerie Matin Frères, France, 1900, P131
[3]-ibid, P21
[4]-Edoird De Neveu,Les Khouan Orderes Religieux,Op.Cit,Pp 68-73.

استمر سيدي عيسى في الذهاب يوميا للصلاة والدعاء من صلاة الفجر الى غاية صلاة العشاء و استمر الرجل الذي جاء الأكل لزوجته وأبنائه بالمجيء يوميا بأضعاف مضاعفة من اللحم والدقيق والسمن والخضار لمدة أربعة أيام[1].

د. تحضير الجن والبحث عن الكنوز:

يدعي بعض العيساوة انهم ممسوسين من طرف جن مسلم، فيقولون عن أنفسهم انهم "مملوكين" ويشاركون في ممارسات طرد الأرواح–الرقية– التي عادة ما يمارسها "القناوة" و"الجيلالة" فنجد الكثير من هؤلاء طاردي الأرواح الشريرة، ينتشرون في كل من فاس وتلمسان ويتواجدون بكثرة في مكناس، وتكون الممارسة عن طريق استدعاء الجن المسلم أو مجموعة منهم من خلال الحضرة التي تكون عادة بالطبل والمزمار، وذبح ديك ورسم طلاسم بدمه على صحن مفلطح أبيض أمام المريض المسكون أو الممسوس من شيطان أو جن كافر؛ ليدعو العيساوة أسيادهم بغناء "سيقا""Çigha"المخصصة لمولاي عبد القادر الجيلاني.

وهي ألحان وكلمات معينة لأجل الجن الذي يخاف من "مولا بغداد"، مع رقصات وبخور الجاوي والذي عادة ما تستمر هذه الممارسة لساعات، وتعاد عدة مرات إن استدعت الحاجة حتى يتم تخليص المريض من المس[2].

أما طقوس الممارسة لإيجاد الكنوز، والبحث عنها فهي الاخرى متعلقة بالبركة والحضرة التي يتم فيها تحضير الجن الذي يتحدث بالتخاطر مع العيساوي المملوك، ويخبره عن المكان الذي يوجد به الكنز؛ وهذه الكنوز عادة ما تكون مدفونة في مقابر منسية، تعود الى حضارات قديمة، أو بركة مزعومة تحول الحديد أو الرماد أو الماء الى ذهب، تكون عن طريق ترديد كلمات معينة على شيء معين المراد تحويله الى ذهب،؛ وعادة ما يمارس هذا الفعل على السذج لسرقة أموالهم وممتلكاتهم وهذا كله عائد الى أسطورة عائدة الى سيدي محمد بن عيسى الجد[3].

---

[1]- Edoird De Neveu,Les Khouan Orderes Religieux,Op.Cit, Pp 68-73.

[2]- René Brunel, Essai Sur La Confrérie Religieuse Des Aîssâoûa Au Maroc, Op.Cit, 1926, P P .168-155

[3]- René Brunel, Essai Sur La Confrérie Religieuse, Op.Cit, 1926, P169 .

وتقول الاسطورة في هذا الصدد، أنه عندما عاد سيدي عيسى لمنزله في اليوم الرابع سألته زوجة:"يا عيسى!لماذا تستمر في شراء وإرسال الأكل يوميا، وعندنا ما يكفينا دعنا نستهلك شيئا فشيئا ما لدينا؛ أنها الطريقة الأمثل للعيش براحة لفترة أطول، فلا تنسى اننا كنا بالأمس فقط نعاني نوبات الجوع الرهيبة، دعنا نحاول من خلال اقتصادنامنع عودتهأو تأخيره على الأقل،فأجابها سيدي عيسى: إن الله وحده يعرف المستقبل فلنستسلم لرغباتهولنستقبل منه المعاناة أو الفرح، فلن نكون مؤمنين إن شكونالغير الله بؤسنا، أو رفضنا جزءا منه، فكل ما أغدقنا به الله سبحانه وتعالى هو جزاء صلاتي وأعمالي؛ فسالته زوجته عن ماهية هذه الاعمال التي يقوم بها حتى تفعل مثلها! فاجابها سيدي عيسى: بماأنك تريدين العمل فلنبدأ بالصلاة شكرا الله عز وجل أبدي الوجودلنبدا بالوضوء الذي ينقينا اذهبي واسحبي الماء من الصهريج[1].

ذهبت زوجة سيدي عيسى وأنزلت الدلو الى الصهريج وصرخت: لكن. ماهذا؟ صرخت بتعجب دلو مليئ بقطع نقدية ذهبية، فقامت بإفراغه وملئه عدة مرات وفي كل مرة ترفع الدلو مليئا بالذهب، فصرخ الولي الصالح سيدي عيسى لله عز وجل: شكرا لك ربي فقد أمطرتنا للتو بالثرواتواسمح لنا ان نشكرك؛ ونسجد لك فأرسل لنا الماء الذي يغسلنا من كل نجاسة ودنس ولتتقبل منا صلواتنا يا الله، فأنزلت زوجة الولي لصالح سيدي عيسى الدلو للصهريج، وهذه المرة جبت المياه النقية الشفافة اللازمة للوضوء ،فقاما يتوضآن ويصليان الى الله عز، وجل ثم جمعوا كنزهم ووضعوه على حصيرة جديدة في غرفة صغيرة نظيفة ومدوا ستارة بيضاء امام لمدخل دون مخافة من اللصوص قائلا هذا خير الله سبحانه وتعالى. فهو لكل من يخافه ويخدمه،وانا هي اليد التي يريد الله ان يوزع بها على عبيده سبحانه وتعالى[2].

د.التمثلات الحيوانية عند العيساوة:

التماثلات الحيوانية من طائفة الى أخرى، فعند العيساوة فمثلا نجد طائفة تقوم بلف طفلها منذيوم ميلاده بجلد أفعى أو حنش وهذا حتى يكون إبنهم مهابا قليل الكلام، أو لفه ي جلد

[1]-Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux, Op.Cit,Pp 68-73
[2]-Edoird De Neveu,Les Khouan Orderes Religieux, Op.Cit,Pp 68-73

إبنآوى، أو ذئب أو حتى أسد حتى يخافه أقرانه؛ وان كانت أحد العائلات تقيم في الغابة فإنهاتعلق على إبنها أو تنسج له ثيابا من مختلف جلود الحيوانات، وحتى الخنزير وهذا حتى لا يهاجمهم وتمتد هذه التماثلات الى الرقص في مختلف المواسم والحضرة، حيث يتنكر فيها المريدون في أشكال حيوانات، ويرقصون بها في الإحتفالات التي تخص العيساوة؛ وحتى مسرحيات تحاك فيها قصة الصراع بين الخير والشر العديدة[1].

أما الطقس عائد الى اكل العقارب، والثعابينفالأسطورة تقول أن سيدي عيسى كان متجها برفقة أتباعه الى أحد الارياف البعيدة لنشر طريقته، ولكن الطريق كانت طويلة؛ وشعر أتباعه بالجوع، وكثرت شكاواهم لقائدهم سيدي عيسى، فصرخ عليهم قائلا " أن لم تصبروا لحين نصل فكلوا سم"[2]، وبسبب الثقة التي كان أتباعه يولونه لها، فإن كلماته جعلتهم يأخذون نصيحته على محمل الجد وقالوا فيما بينهم:" لقد سمح لنا شيخنا بتناول السم؛ فليس لدينا ما نخشاه" فأخذوا يلتقطون أفاعي العشب والعقارب ويأكلوها على طول الطريق[3].

د.الممارسات العلاجية:

يمارس العيساوة طقوس عديدة خلال المواسم، أو غير المواسم منها علاج اللدغات وهذا لأسطورة أكلهم الأفاعي، والعقارب وهم في طريقهم لأحد القبائل المتحالفة مع سيدي محمد بن عيسى، فحين وصولهم الى المكان الذين كانوا يرجون وصوله قدمت لهم أنواع الطعام المختلفة لكنهم لم يرغبوا في لمسه؛ فسألهم سيدي عيسى:" ماذا أكلتم؟ فأجابوه بأنهم التقطوا الثعابين والعقارب وكل شيء اعتقدوا أنه يرضي جوعهم.فقال لهم سيدي عيسى في هذه الاثناء:" أنتم وذريتكم وكل منيسلك طريقي، لن يخاف سم ويمكنهم حتى إيقاف آثاره[4].

نجد العيساوة في جميع أنحاء الجزائر، وفي المغرب يتمتعون بسمعة علاج لدغات الحيوانات السامة، والتي غالبا ماكانت تعالج عن طريق جرح المكان المصاب؛ وسحب الدم

[1]- René Brunel, Essai Sur La Confrérie Religieuse, Op.Cit, 1926, P P.220-168
[2]-Edmond Douté, Les Aïssâoua De Tlemcen,Op.Cit , P22
[3]-Edoird De Neveu,Les Khouan Orderes Religieux Chez Les Musulment De L'algerie,Op.Cit ,Pp 82-83-84
[4]-Edoird De Neveu,Les Khouan Orderes Religieux,Op.Cit ,Pp 82-83-84.

منه عن طريق المص والذي كان في أغلب الأحيان يؤدي إلى وفاة المصاب إلا نادرا ما يتم شفاؤه، خاصة في واحة سيدي الشيخ، والتي غالبا ما تحتوي على الأفاعي السامة ذات القرون والتي لم ينجح العيساوة في علاج لدغاتها، ففي مثل هذه الأماكن لا يستعرض العيساوة قوتهم في شفاء مثل هذه اللدغات حيث يشير "دوتي"،؛ان عيساوة لم يستعملوا في عروضهم إلا الأفاعي التي تم نزع سمهاوأسنانها بحيث لا تشكل عليهم خطرا وأن كل إدعاءاتهم ما هي إلا كذب و تدليس[1].

لم يتوقف "العيساوة" عند علاج لدغات العقارب، بل امتدت الى ممارسة أشكال الطب الشعبي لتقديم مختلف العلاجات، كعلاج الشلل وتورمات الأرجل وآلام الرأسإضافة الى كتابة الطلاسم وتتم هذه الطقوس عادة في المواسم؛ أين يمارسونها كنوع من انواع التجارة[2].

من خلال قراءة الكتابات الفرنسية، يتضح أن ممارسات العيساوة لم تنظر إليها فقط كبعد ديني وصوفي، بل قدمت غالبا كظاهرة اجتماعية وثقافية مثيرة للانتباه؛ لما تحمله من طقوس استعراضية تتداخل فيها الموسيقى والإنشاد والحركات الجماعية.

هذا التصوير الفرنسي يكشف عن نظرة مزدوجة: فمن جهة اعتبرت هذه الممارسات تعبيرا عن قوة الإيمان الجماعي والارتباط بالولي المؤسس، ومن جهة أخرى وظفت كمدخل لفهم البنية الاجتماعية، والنفسية للمجتمع المغاربي، وبذلك يمكن القول إن الكتابات الفرنسية لم تدرس العيساوة لذاتها فحسب؛ بل اتخذتها نافذة لفهم المجتمع المحلي عبر رموزه الطقوسية والديني.

[1]-Edoird De Neveu,Les Khouan Orderes Religieux,Op.Cit, PP93-94-95.
[2]- René Brunel, Essai Sur La Confrérie Religieuse, Op.Cit, P183.

5-الشيخ الميسوم:

1.5-.نسبه:

وهو محمد بن أحمد بن رقية الميسوم يعرف بصاحب القصر البخاري[1].

2.5-.حياته ورحلاته:.

ولد الشيخ الميسوم سنة 1820م في قصر البخاري ، تلقى تعليما دينيا صوفيا، أصبح فيما بعد شيخ للزاوية الشاذلية بقصر البخاري، والتي لطالما أظهر فيها ولاءه للإدارة الفرنسية؛ ولكنه كان يضمر عكس ما يبدي.

لأنه لطالما كان ساخطا على الإحتلال الفرنسي للجزئر، وهذا ما تجلى خلال انتفاضة سنة 1871م حيث قام بتهدئة النفوس، لكن ما إن قامت ثورة ولاد سيد الشيخ حتى قام بدعاية نشطة بين قبائل التليين بولاية الجزائر، خفية عن الادارة الفرنسية؛ هذا التخفي أو الكتمان الذي طالما مارسه الصوفية وهو أشبه بما يقوم به الفرس والإباضيون على حد تعبير(A.Le chateleir)[2]، الفريدلو شاتولييه* .

3.5-وفاته:

توفي الشيخ الميسوم بالقصر البخاري في الثالث منفيفري سنة 1883م، حضر حشد كبير في جنازته، وحضر أفراد ممثلو الطريقة من مقرها بحلوان –مصر– حيث أرادو نقل جثته

---

[1]-Louis Rinn, Marabouts et Khouan, op.cit, p 236.

[2]-A.Le Chatelier, Les confréris musulmanes du hidjaz, Editeur Ernest Louroux, Paris, 1887, p p 111- 112.

*- **ألفريد لو شاتلييه**، (1855–1929) (Alfred Le Chatelier)، كان ضابطا في الجيش الفرنسي، ثم تحوّل إلى باحث وأكاديمي متخصص في **الإسلاميات**.تولّى أول كرسي لعلم الاجتماع الإسلامي في Collège de France.اهتم بدراسة البنى الاجتماعية والدينية في العالم الإسلامي، وخاصة **الطرق الصوفية** ودورها السياسي والاجتماعي،وبهذا يعدّ **لو شاتلييه** من بين أوائل المستشرقين الفرنسيين الذين درسوا التصوف بشكل علمي، جامعا بين تجربة عسكرية ميدانية في المغرب العربي والشرق، وبين مسار أكاديمي صارم في باريس. للمزيد ينظر:

– المستشرقين، بيروت، دار العلم للملايين، 1993، ص 257.

ودفنها بمصر، إلا أن أبناءه وأبناء أخيه وسكان القصر رفضوا الأمر بشدة، بحججة ان الشيخ أوصى بأن يبنى له ضريح بالمقبرة ويدفن بها؛ وهذا ما إنصاعت له السلطات الفرنسية حيث طلبت من رئيس البلدية أن يفر كامل التمويل للجنازة وبناء الضريح خاصة و أنهم أرادوا ان تقام للشيخ الميسوم وعدة سنوية وهذا ماكان سيدر عليهم الأموال الوفيرة ولكن هذا الأمر لم يتم فلم يكن هناك زيارة سنوية للشيخ الميسوم وهذا بأمر من الزاوية الأم بحلوان[1].

4.5-أبناءه:

ترك الشيخ الميسوم العديد من الأبناء وهم:

-سي أحمد مختار ولد سنة 1865م ووالدته لعالية بنت بلقاسم.

- سي عبد الرحمان الثعالبي ولد سنة 1870م ووالدته فاطمة الزهرة بنت مصطفى.

-سي عبد العزيز وسيدي عبد القادر وسيدي علي ووالدتهم هي عائشة بنت الرايس إضافة الى ثلاث أخوات وهم: رقية وشريفة وليلى.

كما فقد إبنه سي محمد الأخ الأكبر ل سي عبد الرحمان عن عمر 30سنة[2]..

5.5-.مؤلفاته:

عندما فقد الشيخ الميسوم إبنه محمد عبر عن حزنه من هلال كتابه"النور الوقاد" وهو كتاب محتواه رثاء لإبنه محمد والذي عرف بطيبة قلبه ومساعدته للفقراء والمحتاجين، كما انه حفظ القرآن وهو في سن الثامنة؛ وكان لربما ورث مكانة ابيه في مشيخة الزاوية لو بقي حيا[3].

7.علاقة الشادليين بالسلطات الفرنسية:

من خلال رسالة نشرتها مجلة"La revue du monde musulment"والتي أرسلها سيد"عبد الرحمان" ابن شيخ الميسوم شيخ الطريقة الشادلية بالقصر البخاري، والتي نجدها عبارة عن وصية تركها الشيخ لإبنه أتباع الطريقةوالتي جاء فيها :قال الله تعالى:"أطيعوا الله وأطيعوا رسول وأولي الأمر منكم" الآية:59 من سورة النساء. واولو أمرنا هم الحكام الفرنسيون، فيجب

[1]-Alexandre Joly, Étude Sur Les Chadouliya, La Revue Africaine, N 266-267, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1907, P 223.
[2]-Alexandre Joly, Étude Sur Les Chadouliya, Op. Cit, P 223.
[3]- Alexandre Joly, Étude Sur Les Chadouliya, Op. Cit, P 224.

عليينا طاعتهم والإخلاص إليهم. وعليه فإننا كلنا لدولتنا الفرنسوية بالقلب والقالب .... الى آخر الرسالة[1].

من الملاحظ على هذه الرسالة[2] انها لا تحمل لا ختما ولا إمضاءا، بل ولا تبدأ حتى ببسم الله الرحمان الرحيم، كما الملاحظ على هذا العدد التي نشرت فيه هذه الرسالة أنها نشرت بها العديد من الرسائل المبعوثة الى العديد من الزوايا والتي كتبت بنفس الخط وتحمل نفس المعنى ألا وهو طاعة فرنسا والخضوع لها.

كما من الملاحظ هوالشح الواضح، في الدراسات التي تناولت شخصية الشيخ الميسوم، شيخ الطريقة الشاذلية بالمدية، ويبدو أن هذا الغياب لا يرتبط بقلة أهمية الرجل أو مكانته الروحية، بقدر ما يرتبط بخيارات الباحثين الفرنسيين أنفسهم، إذ ركزوا جهودهم على أعلام صوفية أخرى كان لهم حضور سياسي أو عسكري مباشر في مواجهة الاحتلال، مثل بومدين شعيب أو سيدي بوزيان، أو عبد القادر الجيلاني.

أما الشيخ الميسوم، فرغم مكانته الروحية وقيادته للطريقة الشاذلية في المنطقة، فقد بقي في الظل داخل الكتابات الفرنسية؛ وهو ما يعكس ميل هذه الدراسات إلى التعامل مع التصوف في بعده الأمني والسياسي أكثر من اهتمامها ببعده الروحي أو الاجتماعي.

ومن ثم يمكن القول إن شح هذه الدراسات يعكس انتقائية المنظور الاستعماري، الذي لم يكن يدرس الصلحاء إلا بقدر ما يمس مصالحه الاستراتيجية المباشرة.

ثالثا.الإمتدادالجغرافي لمنطقة الشمال الشرقي الجزائري.

وهي المنطقة الممتدة من الحدود التونسية للجزائر شرقا، الى حدود ولاية تيزي وزو غربا والمدية شرقا، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا الى سفوح الأوراس الشمالية والسهوب العليا[3].

[1]- Recommandation Du Seyyid Aed Er-Rahman Ben Echi-Chikh El-Missoum, Chikh De La Tarika Chadeliya, Dans La Zaouïa De Ksar El-Boukhari, Rvue Du Monde Musulment, Tome 29, Editeure Ernest Loroux, Paris, 1914, P P214-215.

[2]-أنظر الملحق رقم: 10

[3] ينظر الملحق رقم:11

رابعا: صلحاء منطقةالشرق الجزائري

يتضح أن ندرة الكتابات الفرنسية حول الصلحاء في الشرق الجزائري لم تكن اعتباطية، بل جسدت سياسة هدفت إلى تهميش الرموز الروحية التي مثلت سندا لهوية المجتمع ومصدرا لمقاومته المعنوية.

ويبرز ذلك خاصة في منطقة قسنطينة، حيث تفاوتت المعطيات من ولي إلى آخر، تبعا لانتقائية التوثيق الاستعماري أو التجاهل المتعمد، دون أن يعني ذلك التقليل من شأن بعض الأولياء، التقطت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هذا الفراغ لتبسط رؤيتها الإصلاحية، فواجهت المظاهر المنحرفة المرتبطة بالأضرحة وما حملته من طقوس مغالية؛ مع الحفاظ على مكانة الأولياء الصالحين باعتبارهم قدوة روحية وتاريخية.

وهكذا التقى صمت الاستعمار مع صوت الإصلاح في رسم صورتين متباينتين، لكنهما تكشفان معا عن عمق البعد الروحي في تشكيل هوية الشرق الجزائري عامة، وقسنطينة خاصة.

إن الزائر لمنطقة الشمال الشرقي الجزائري يلاحظ أن مظاهر القبب، والمزارات التي تنتشر عبر القطر الجزائري قليلة بالمقارنة بالمناطق الأخرى، ولا يعود هذا الى إنعدام الزوايا والاخويات بل بالعكس نجد العديد من الزوايا منتشرة بالمنطقة؛ إلا أنه بعد الإستقلال قامت جمعية العلماء المسلمين والتي كانت تنشط بالشرق بصفة خاصة بهدم أغلبها وهذا لإرتباطها بمظاهر الشرك التي كانت منتشرة إبان الإستعمار.

1: سيدي عيسى دفين ولايةالمسيلة(وادااللحم)

يعتبر سيدي عيسى بن محمد دفين مدينة سيد عيسى، التي سميت بإسمه بولاية المسيلة جد ولاد عيسى المتفرقين على المناطق الوسطى والجنوبية للجزائر، تتشابه ممارسات ولاد سيدي عيسى مع العيساوة لكن لا علاقة لهم ببعض.

1.1-نسبه:

اما نسب سيدي عيسى، فهو يعود إلى سيدي عبد القادر الجيلاني، والذي ينحدر إلى السيدة فاطمة رضي الله عنها، ابنةِ رسول الله صلى الله عليهوسلم، وهو: عيسى بن امحمد، بن

الناصر، بن عبد الرحمان، بن عمر، بن عبد الجبار، بن وزر الدين (أو عز الدين)، بن عبد الكمال، بن ناصر، بن عبد القادر الجيلاني، بن موسى، بن عبد الله، بن يحيى الزاهد، بن محمد، بن داود، بن موسى، بن عبد الله، بن موسى الجوني، بن عبد الله المحضر، بن الحسن المثنى، بن الحسن السبط، بن علي رضي الله عنه، من السيدة فاطمة بنت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم* .

2.1-حياته ورحلاته:

ولد سيدي عيسى بن محمد بمنطقة قويرين بواد اللحم، إذ لا تتوفر الكثير من المعلومات عن طفولته وشبابه، إلا أن والده قد أرسله الى الولي الصالح، "سيدي عبد العزيز الحاج" ليتلقى تعليمه الأولي عنده؛ إلا ان سيدي محمد بن عيسى، أطال مدة تعليمه لعدة سنوات وهو ينهل منه علوم القرآن والحديث، ليقرر بعدها الولي الصالح سيدي عبد العزيز أن يذهب في زيارة الى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وينتظر موسم الحج وطلب من عيسى بن محمد الرجوع الى أهله. لكنه رفض وأخذ يترجاه أن ياخذه معه لكن سيدي عبد العزيز تردد في أخذه لطول الطريق، لذلك وافق واخذ معه محمد بن عيسى ومشى معه لساعات قليلة وشعر بالندم فطلب منه التوقف، والإنتظار لأنه نسي شيئا في البيت وهو عائد لإحضاره لكن سيدي عبد العزيز سلك طريقا أخرى وواصل طريقه؛ ظنا منه أن عيسى بن محمد سيعود لما يطول انتظاره[2].

عند عودة سيدي عبد العزيز الحاج الى أهله من رحلة الحج، سألته زوجته عن عيسى بن محمد ، وانها لم تره منذ أن غادرا معه، فأجابها أنه تركه في منطقة قريبة من هنا، ظنا منه أنه سيعود بعد طول انتظار، لتيقن سيدي عبد العزيز الحاج؛ أن عيسى بن محمد لا يزال في نفس المكان الذي تركه فيه، فأرسل صبيانه في طلبه، فوجدوه في المكان المذكور، عليل الجسم نحيفا، وقد تلون بالأخضر؛ لأنه إعتمد على العشب في غذائه، ولما وصلوا به الى سيدي عبد العزيز سأله لما لم ترجع الى أهلك فقال له: طلبت مني الانتظار فانتظرتك، وبهذا أصبح عيسى بن محمد من التلاميذ المقربين لسيدي عبد العزيز الحاج[3].

---

*- مخطوط من خزانة مولاي سليمان مقدم زاوية سيدي عيسى بأدرار.

[2]-Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, L'algérie Traditionnelle, Op.Cit, P111.

[3]- Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, L'algérie Traditionnelle, Op.Cit, P111.

بعد مدة زمنية ولدت زوجة الولي سيدي عبد العزيز الحاج ولدا، فطلب هذا الأخير من تلميذه عيسى بن محمد، أن يذهب بخرق الطفل التي ولد فيها ويغسلها في الوادي؛ فأخذ محمد بن عيسى الخرق ووضعها في إناء من خشب، وجعل عليها الماء حتى أصبح أحمرا بدماء وشربه، وهذا كله يحدث تحت نظر الولي عبد العزيز الحاج، فذهب مسرعا الى زوجته وقال لها: لقد أخذ عيسى كل هبات إبننا التي ورثته إياها، ما علينا إلا أن نقلب العمل عليه ونستردها قومي بخبز رغيفين من الخبز واحدة من القمح؛ والاخرى من شعير رغيف القمح ضعيه فوق بطنك حتى يبرد وقرص لشعير إخفيه بمديل وجعليه تحت قرص القمح وإن يهم عيسى بالرحيل اعطيه إياه[1].

ما إن هم عيسى بن محمد بالرحيل حتى نادته زوجة الولي بأنيأخذ قرص القمح زادا له، وبدل أن يأخذ عيسى قرص القمح أخذ قرص الشعير الذي كان أسفل رغيف القمح وهم بالرحيل، فأخذت زوجة الولي تتوسله وتبكي بأن يقسم الرغيف الشعير مع ابنها؛ وان لا يأخذ كل الهبات الخير الممنوحة لإبنها فأجابها عيسى: أنت أعطيتني إياه كاملا وأنا أخذته وسكت قليلا وقال:"الهدية لا ترد...وداعا أنا راحل عائد الى أهلي أطلبي من أبنائك أن يغفروا لي" وبهذا أخذ عيسى بن محمد الكرامة، عن طريق الدم من سيدي عبد العزيز الحاج[2].

3.1-وفاته:

انتقل عيسى بن محمد الى منطقة قريبة من تلك التي أقام بها برفقة الولي الصالح سيدي عبد العزيز الحاج، والتي سميت بإسمه لاحقا "سيدي عيسى"حيث تزوج وأنجب وتوفي في النصف الاول من القرن 16م، سمي أولاده " أولاد عيسى[3]".

4.1-كراماته:

من كرامته أن عيسى بن محمد يخرج من ضريحه ليلا، برفقة الملائكة الى ضريحه بالشرق الجزائري، إذ يقال أن له ضريحا آخر بضواحي بمدينة باتنة، حيث ينتقل الى هناك ليلا ويرعى تابعيه[4].

وعلى اثر هذا لقب بسيدي عيسى بوقبرين، كما ان لسيدي عيسى العديد من الكرامات، واسمه مدرج في أغلبها، وأن كل المؤامرات التي كانت تحاك له، من طرف المرابطين الذين كانوا

[1]-Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, L'algérie Traditionnelle, Op.Cit, P 111.
[2]- Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, L'algérie Traditionnelle, Op.Cit, P111.
[3]- Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, L'algérie Traditionnelle, Op.Cit, P111.
[4]- Alphonse Certeux Et Henry Carnoy, L'algérie Traditionnelle, Op.Cit, P111.

يغارون منه كان ينجوا منها بفضل لله؛ وكان ينجوا من كل الفخاخ التي كان ينصبها له الشيطان[1].

ومن بين التي عرف بها سيدي عيسى تلك المرتبطة بأولاد ذيل السلوقي[2]، حيث تقول الأسطورة أنه يوجد شيخ إسمه "محاد" لم ينجب، وأصبحت وجته عجوزا؛ وكان هاذا الشيخ يملك الأغنام والجمال والخدم الخيم المليئة بالخدم إلا الأولاد، فبكى طيلة اليوم وعندما نام ليلا حلم بسيدي عيسى يناديه ويطلب منه أن يرسل زوجته، فعدما إستيقض طلب من زوجته أن تأخذ عددا من الجمال والغنم والهدايا وتدهب لزيارة سيدي عيسى؛ لعله يدعي الله لهم فيرزقهم بطفل فإتجهت العجوز الى سيدي عيى الولي الصالح، وطلب منه ما أمره زوجها، فكان بجوار سيدي عيسى كلب سلوقي، فطلب منها الإقتراب من الكلب، وضرب بطنها بذيل السلوقي وقال لها إذهبي وإن تصلي ستلدين طفلا ذكر، رجعت حتى قالت لزوجها إني احس أن شيئا ما يتحرك في أحشائي، فقال لها كيف يمكن ذلك، وأنت عجوز بالكاد تمشين، سأتزوج مرأة أخرى لعلها تلد؛ وما إن خرج الشيخ ليرى أموره حتى لحقه خادمه وبشره بإن زوجته قد ولدت صبيا[3].

عندما عاد الشيخ للخيمة لم يصدق ما رآه وقال لزوجته ماذا سنسميه، فقالت: سنسميه "ذيل السلوقي" يقال إن الشيخ والعجوز، عمرا طويلا ليريا إبنهم "ذيل سلوقي" تزوج وأنجب أولادا كثر، وأن ألاد "ذيل السلوقي" إنشرو عبر منطقة المسيلة؛ وبرج بوعريريج وسطيف ويعتبرون من خدام سيدي عيسى، حيث يذهبون إلى ضريحه كل سنة في فصلي الخريف والربيع بالهدايا والأغنام والجمال مخافة أن ينقطع نسلهم[4].

يعد سيدي عيسى دفين مدينة سيدي عيسى من أعلام التصوف بالجزائر، إذ ارتبط اسمه بالزاوية سيدي عيسى، وكان على صلة وثيقة بالشيخ سيدي عبد العزيز الحاج الذي عرف بدوره في نشر الطريقة الشاذلية وترسيخ قيمها في المجتمع. وقد نسبت إلى سيدي عيسى كرامات عديدة، تناقلها المريدون والزوار، فصارت جزءا من الذاكرة الشعبية والروحية مثل شفاء المرضى، وإغاثة المحتاجين، وكشف الكروب. وتبرز هذه الكرامات، وإن غلب عليها الطابع الأسطوري في الرواية، المكانة الروحية التي حازها في قلوب الناس، كما تفسر استمرار حضوره الرمزي في المخيال الجمعي لسكان المنطقة، وارتباطهم به جيلا بعد جيل.

[1]-Mercier, Sidi Aïssa, Op.Cit, P 289.
[2]- Mercier, Sidi Aïssa, Op.Cit, P 289.
[3]- Mercier, Sidi Aïssa, Op.Cit, P 292.
[4]- Mercier, Sidi Aïssa, Op.Cit, P 292.

2: سيدي عبيد:

1.2-. نسبه:

وهو من نسل ادريس الكبير عبد الله الكامل بن حسين الدريسي، مؤسس أسرة الادارسة من المغرب الأقصى، ابن قويدر لخضر –والد سيدي عابد–إبن عبد الكريم بن عيسى بن موسى بن عبد السلم بن محمد بن عبد الجبار بن محمد بن عبد الله بن ادريس بن عبد الله بن حسين بن علي بن طالب وعلى طالب هو عم الرسول صلى الله عليه وسلم وهنا يتضح الخطأ في النسب حيث أن عم الرسول صلى الله عليه وسلم هو أبو طالب بن عبد المطلب والمقصود هنا وعلي بن أبي طالب إبن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وهو من نسل إدريس الكبير عبد الله الكامل بن الحسن الدريسي، مؤسس أسرة الأدارسة بالمغرب الأقصى، ابن قويدر لخضر – والد سيدي عابد – ابن عبد الكريم، بن عيسى، بن موسى، بن عبد السلم، بن محمد، بن عبد الجبار، بن محمد، بن عبد الله، بن إدريس، بن عبد الله، بن الحسن، بن علي بن طالب. وعلي طالب هو عم الرسول صلى الله عليه وسلم[1].

وهنا يتضح الخطأ في النسب، حيث ورد ذكر "علي بن طالب" على أنه عم الرسول صلى الله عليه وسلم، والصحيح أن عمه هو أبو طالب بن عبد المطلب، بينما المقصود في هذا السياق هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه

2.2-حياته ورحلاته:

ولد سيدي عبيد في النصف الثاني من القرن سابع ميلادي، والده المرابط الشريف قويدر لخضر، رجل معروف بتعليمه وأعماله الصالحة، عاش وتمدرس بالساقية الحمراء؛ إرتحل الى مكة ومن ثم لتونس ليتولى مهمة تعليم القرآن لسكان توزر ليكثر تابعوه بشكل ملحوظ تزوج من سيدة من قبيلة حمامة من ضواحي نفطة لتلد له احمد وعبيد[2].

تقدم شيخ قويدر لخضر في السن وأراد أن يحج للمرة الثانية، فإرتحل الى مكة المكرمة للتوفاه المنية هناك ويدفن بها[3]، لتنتقل أرملته الى سفح جبل "فوه" –بتبسة–وتقيم بالقرب من قبيلتها قبيلة حمامة، ليتزوج أخوه من فتاة تونسيةمن قبيلة دريد ويستقر بالمنطقة، ليحضى كل

[1]- P.Muraty, Le Maraboutisme Au La Naissance D'une Famille Ethnique Dans La Région De Tébessa, La Revue Africaine,N 80, Annee 1937,P263.
[2]- P.Muraty, Op.Cit, P270.
[3]- P.Muraty, Op.Cit, P270.

من الاخوين بالإحترام؛ وتقدير كون والدهم كان وليا صالحا لكن سيدي عبيد لم يعجبه سفح جبل "فوة"، فعاد الى المغرب الأقصى بالساقية الحمراء[1].

تلقى سيدي عبيد البركة من والده الشيخ قويدر لخضر، وتلقى العلم على يد علماء الساقية الحمراء، ليشد الرحال مرة أخرى ليسافر عائدا، ليلبس الخرقويأخذ عصا بيدهه ومن دون زاد، إنتقل سيدي عبيد عبر واد درعة بجبال الأطلس الكبير بالمغرب؛ ثم الى تونس حيث أنتقل بعدها الى الجزائر، حيث دامت رحلته سنوات، وشهور نشر خلالها تعاليم الدين الإسلامي بين الناس الذين جهلوه، أو لم يعرفوه جيدا كما علمهم إقامة الصلاة الصحيحة[2] ويبشر الناس بالإسلام حيث ليتتوجه بعدها الى منطقة سوف، ومنها الى واد ريغ صحراء افريقيا حيث إلتقى باناس وبشرهم بالاسلام وأدخلهم فيه[3]؛ ولكن سيدي عابد سئم شساعة الصحراء وقرر العودة الشمال الشرقي. ويستقر في الأخير بخلوته بجبال "بئر العاتر"، بإحدى المغارات العالية ليبتعد كليا عن الناس، ويعبد الله في عزلة تامة[4].

إختلفت الروايات بين أن سيدي ععبيد بنى كوخا وأخرى جاء أنه سكن مغارة[5] أراد سيدي عبيد أن يمضي بقية حياته بالمغارة الصخرية بأعالي الجبل العنق، لكن أمره لم يبقى سرا لوقت طويل، ليكتشف أمره رعاة صغار السن كانوا يبحثون في حينها عن الكلأ لأغنامهم، فوجدوا رجلا عجوزا يقطف الثمار ويلجأ الى خلوته فقاموا بمراقبته؛ ليجدوا انه يصوم نهاره ويفطر على القليل من الثمار التي يجمعها ويمضي أغلب ليله في الصلاة ليعودوا الى ديارهموتتناقل إخباره، وعاد بعض الفضوليون لمراقبته من جديد ليروا رجلا لا ينام؛ ولا يأكل أو يشرب إلا نادرا و يصلي ليلا نهارا، فهذا العجوز الهرم كانت عباداته غير متوافقة مع متطلبات البشر العاديين، إنه لا يتعب! فبعد كل هذه الملاحظات تأكد كل من سمعنه أو رآه، أن هذا الرجل لا يكون سوى ولي صالح، قد أرسله الله لنا كي نأخذ منه بركاته، ويعود علينا وعلى أهلنا بالخير، يقول أهل القرية[6].

دخل أهل القرية في اتصال مباشر مع سيدي عابد، ليروا في جوهره الصلاح والتقيا، وجدوا في كلماته النصيحة، والغرابة والتنبؤ ببعض الظواهر الفيزيائية التي تحققت بالفعل

[1]-P.Muraty، Op.Cit , P270.
[2]- P.Muraty, Op.Cit, P265.
[3]- P.Muraty, Op.Cit, P275.
[4]- P.Muraty, Op.Cit, P265.
[5]-John Roney, Les Sain De L'islam, Ancienne Revue Des Revues, Paris, N°70, 1907, P39.
[6]-Ibid, P266.

وبفضل بركاته تضاعفت محاصيلهم وتكاثرت قطعانهم؛ كل هذا جعل هؤلاء المزارعين في يد هذا الرجل الصالح. فلم يعد معتكفا وأصبح وجوده وسط الناس أمرا دائما، وأصبحت تصله الهدايا دائما، وهو الذي عاهد الله على الفقرح فلم يقبل هته الهبات، فكان يوزعها على الفقراء وهذا ما زاد الناس تمسكا به، فزادت الزيارات الى خلوته، يسمعوا دروسه ونصائحه التي أعادتهم الى عبادة الله بشكل صحيح، حيث كلن يؤمهم الى الصلاة[1].

نتيجة حرمانه وصيامه الطويل، وصل سيد عبيد الى حالة من النحافة لم تترك له سوى الجلد والعظام، فأصبح جسده شفافا لدرجة أنه يمكن للمرء ان يرى بوضوح ضوءا يوضع خلفه كان يبقى عاريا حتى الخصر؛ والخرق تغطي باقي جسمه يجلس على ركبتيه في مغارته على سجاد قديم يضيء مغارته مصباح بفتيل وزيت[2].

ذاع صيت سيدي عبيبد بين الناس ليتوافد إليه الناس من المناطق المجاورة، وتبنى الخيام بجوار خلوته ليزدادوا عددا يوما بعد يوم، ليعرض عليه لاحقا بناء زاوية تجمع أتباعه الذين هم في الخيام معرضين للحر والبرد؛ فقبل سيدي عابد الفكرة وتم بناء زاوية ضمت تابعيه و الزوار، للتوسع زاوية سيدي عبيد لاحقا ويلحقوا بها مسجدا، ومدرسة قرآنية درس فيها سيدي عبيد وأسس العقيدة والقانون الإسلامي وتوافد عليها الطلاب والعلماء، من كل حدب وصوب إلا أن سيدي عبيد أراد الرحيل لكن سكان المنطقة توسلوا إليه ألا يفعل وعرضوا عليه أن يتزوج من بناتهم وينجب؛ ليتم لهم ذلك بعدما رأى سيدي عبيد من كرم واحترام من سكان القرية[3].

قبل سيدي عبيد ان يصاهر سكان قرية جبل العنق، فزوجوه أجمل بناتهم، لكنه لم ينجب إلا البنات، وأنجب ولدا واحدا إسمه "ذويب" من جاريته الزنجية؛ والتي تنتمي الى نفس قبيلة "حمامة" نفس القبيلة التي تنتمي اليها والدته[4].

وأسس بذلك هذا المرابط الفذ أسرة كبيرة تزوج من خلالها بناتهم، وتزوجت بناته من أبنائهم، وبذلك شكل هذا التداخل قبيلة سيدي عبيد، التي تتوزع الآن على كامل الشرق الجزائري[5].

[1]- P.Muraty, Op.Cit, P266.
[2]- P.Muraty, Op.Cit, P272.
[3]- P.Muraty, Op.Cit, P267.
[4]- P.Muraty, Op.Cit, P280.
[5]- P.Muraty, Op.Cit, P268.

3.2-وفاته:

قام سيدي عبيد بعدة رحلات برفقة إبن أخيه المدعو " عبد المالك" وعندما أحسن بدنو أجله رجع عائدا الى دياره حتى بلغ واد "مسكيانة" حيث أوصى إبن أخيه ان لا يدفنه بالمكان الذي سيتوفى به، بل يربطه على ناقته البيضاء ويتركها لإرادة الله، ففعل ابن أخيه ما طلب ما إن وافته المنية، لتتوجه الناقة الى وادي "قنطس"؛ وتتوقف به ميتتة من العطش، وتتدفق من مكان الذي بركت فيه عين من الماء والتي تعرف حاليا ببئر" النجا" أو عين " البعير". ليدفن بالمنطقة المسمات "سطح قنطس" والتي تبعد بستين كلومترا جنوب شرق مدينة تبسة[1].

4.2-كراماته:

من كراماته أنه عالج الرجال والنساء من العقم، وأرجع البصر لمن به العمى، ومنع الأوبئة عن الحيوانات، والجراد عن المزروعات[2] كما كان يلمس الشجيرات اليابسة للتحول الى توت ومختلف الفواكه والزهور[3].

كما تذكر الأسطورة أن سيدي عبيد وضع عصاه منهكا أمام مغارته، بعد أن صام لأسابيع ليظهر على الفور ماء نبع صاف، والذي لا يزال موجودا حتى الآن والذي قام الجغرافيون بتسميته بعين سيدي عبيد[4]

ومن كراماته العجيبة إجابات أسئلة الزائرين التي كانت تظهر خلفه مكتوبة على جدار المغارة بأحرف مضيئة[5]، و في روايات أخرى أنه كان هزيلا لدرجة ان جسمه كان شفاف فكان يخترق الضوء جسده و كل ما يجول في خاره كان يكتب على الجدار بحروف مضيئة[6] كما أنه كلما سجد الالله شاكرا فإن الأشجار تسجد معه فتعجب سكان المنطقة للأشجار والحشائش الصغيرة التي كانت تبقى منحنية في اتجاه مكة المكرمة ومن هنا انتشرت قدسية عدم التعدي على هته الأشجار المنحنية وقطعها حتى أصغر حشرة فإن من يدوسها عليه أن يدفع الدية

[1]- P.Muraty, Op.Cit,P275.
[2]- P.Muraty, Op.Cit, P267.
[3]- P.Muraty, Op.Cit, P271.
[4]- P.Muraty, Le Maraboutisme Au La Naissance D'une Famille Ethnique Dans La Région De Tébessa, Op.Cit, P271.
[5]- Ibid P 274.
[6]-John Roney, Les Sain De L'islam,Op.Cit, P39.

لأهل المنطقة، ولقدسية المكان فإن حتى الفرنسيين فرض عليهم احترامها مخافة أن تثور عليهم قبائل سيدي عابد [1].

ويحكى ان سيدي عبيد أراد تزويج أخيه احمد من امرأة أخرى، غير زوجته التونسية لأنها لم تلد له أبناء، فذهب لخطبة أحد بنات أثرياء دوار "واشكون" لكن والدي البنت ما إن رأوه يرتدي خرقا بالية، حتى استصغروه وقللوا من شانه و طردوه؛ فغضب سيدي عبيد لهذا التصرف ووقف عند مخرج القريةولوح بعصاه قائلا" إلي يا واشكون" فأصاب القرية زلزال عظيم ليخلف صدعا كبيرا بين الصخرة التي بنيت عليها القرية وجبل العنق فاستولى الرعب على سكان "واشكون" وطلبوا الصفح من سيدي عابد، وقدموا له كل بناتهم العذارى زوجات له ولأخيه، ولهذا نرى دوار "واشكون" على صخرة منفصلة عن الجبل كأنه سيغرق في واد "واشكون"[2].

ارتبط بناء ضريحه هو الآخر بأحد الأساطير والتي تقول أن بناءا ماهرا من فاس قد زاره سيدي عابد فالمنام، لينتقل الى واد قنطس و يبني له ضريحه، فأفاق البناء مستغربا من المنام، فذهب الى أحد مشايخ قريته ليفسر له رؤيته، فأشار له ان يضع عدته تحت رأسه في الليلة التالية، ففعل وما ان أفاق حتى وجد نفسه واقفا على قبر سيدي عابد فبدأ في البناء وبدأت الحجارة تنتقل الى يد البناء من تلقاء نفسها ليجد نفسه قد أنهى البناء مع بزوغ الفجر ويعود للنوم ويستفيق في منزله؛ ليصبح المكان مزارا لأبناء سيدي عابد والنمامشة[3].

لتستمر سلسلة كراماته حتى بعد موته ومن بينها نذكر ما حدث لأحدى باشوات الجزائر في العهد العثماني خلال صراعهم مع متمردين على الحدود التونسية، حيث أنهم ولدى عودتهم نفذ للباشا وجيشه مخزون المؤونة، وكان قريبا من ضريح سيدي عابد فناشده الباشا (ياسدي عابد سلكني) فظهر سيدي عابد يطير في الأجواء يحمل مسبحته والتي لمس بها إحدى الصخور والتي تحولت الى قمح وشعير وتبن؛ لكن قبل ان يقربها الباشا وجنوده وقف أمامهم سيدي عابد وقال له:

خذ هذه المؤونة لكولجيشك لكن مقابلها ستعفي أبنائي وأحفادي من دفع الضريبة للأبد، وستكتب هذا على ظهير، وتعلقه على مدخل "باب عزون" فوافق الباشا وأخذ المؤونة له ولجيشه

[1]- P.Muraty, Le Maraboutisme Au La Naissance D'une Famille Ethnique Dans La Région De Tébessa,Op.Cit, P 274.
[2]-P.Muraty, Le Maraboutisme Au La Naissance D'une Famille Ethnique Dans La Région De Tébessa,Op.Cit, P 275.
[3]-Ibid, P 276.

وأحصنتهم وهم عائدا لدياره، لكن ما ان اقترب حتى نسي أن يعلق الظهير الذي وعد به سيدي عابد، فتعثر حصانه عند مدخل " باب عزون" فتذكر وعلق الظهير على المدخل، وهذا تفسير وأولاد سيدي عابد عن أعفائهم من دفع الضريبة طوال فترة التواجد العثماني بالجزائر[1].

5.2-وعدة سيدي عبيد:

تقم وعدة سيدي عبيد سنويا في أواخر فصل الربيع او أوائل فصل الخريف من كل سنة، كما ان الزيارات أحفاده ورواد المنطقة لا تنقطع أبدا، كما تقام في الساحة عادة عمليات التجارة و الصلح بين القبائل المتخاصمة[2].

يضرب الدف وتتعالى أوات المزامير، مع رقصات الأحفاد والزوار المتوافدة على مدار ثلاثة أو أربعة أيام، إضافة إلى توزيع الأكل على الزوار؛ ووضع لأبخرة على أبواب الضريح الداخلية و الخارجية[3]

6.2-علاقة ولاد سيدي عبيد بفرنسا:

شكلت قبيلة سيدي عبيد بما سمته فرنسا"إتحاد المرابطين"مقيمة حول ضريح الولي الصالح "سيدي عبيد" والتي أظهرت النموذج الحقيقي لعائلة عرقية بقيت متحدة، في شكل قرى و دواوير، حتى الإحتلال الفرنسي للجزائر؛ وهذا ما اثار حفيضة فرنسا ومخاوفها، مما وجب على الخدمات الإدارية و العسكرية الفرنسية ترسيم حدودها.

تنفيذا لقرار "سناتوس كونسلت" الصادر بتاريخ 22 أفريل 1863م، بناءا على مقترحات الجنرال "لوبوف"Le BŒUF "وزير الدولة ووزير الحرب، في رسالة وجهها الى الإمبراطور نابليون الثالث بتاريخ 15 دسيمبر 1869م مفادها: سرد كامل لقصة حياة سيدي عبيد بما فيها الأساطير التي يؤمن بها سكان القبيلة، ونسله من إبنه وأخوه أحمد ووتوزيعم الجغرافي عبر الشرق الجزائري الى الحدود التونسية كالتالي: (1دوار "قنطيس")(2دوار "أولاد سيدي عبيد")(3دوار "الماء الابيض") ودراسة كاملة للجنس البشري والعرق الذي يكون هذه القبيلة اللهجات والعادات والتقاليد[4].

[1]- P.Muraty, Op.Cit,P 277.
[2]- P.Muraty, Op.Cit, P283.
[3]- P.Muraty, Op.Cit, P315.
[4]- P.Muraty, Op.Cit, PP314- 283.

دخلت قبيلة ولاد سيدي عبيد بكل فروعها في اشتباكات مع القوات الفرنسية سنة1883م أدت الى خسائر مست المسجد المجاور لضريح سيدي عابد وإنسحبت القبيلة نتيجة نقص لسلاح والذخيرة، وإنعدام الخبرة العسكرية كون طبيعة القبيلة البدوية الرعوية[1].

3-سيدي يوسف الحنصالي:

1.3-نسبه:

وهو ابو ايمن سعيد بن يوسف الحنصالي[2].

2.3-حياته ورحلاته:

ولد سيدي بن يوسف الحنصالي في ال قرن17م في عائلة بربرية مرابطية في قبيلة بني مطير الحنصاليين، والتي تقطن المنطقة الممتدة من فاس الى تافلالت درس في المدينة المنورة ثم القاهرة[3].

قدم سيدي يوسف الحنصاليالى الجزائر من غرب سطيف، ليستقر بجبل شطابة، والذي سمي لاحقا بإسم خاص"جبل زواوة"؛ والذي سكنه كل خلفاء الطريقة من بعد وفاة سسيدي يوسف الحنصالي وهم: سيدي سعدون وسيدي معمر المدفون في اراضي قبيلة تلاغمة، وسيدي حامد الزواوي المرابط المشهور في ولاية قسنطينة والذي عاش زمن صالح باي، سيدي حمو الزواوي سيدي بلقاسم بوحجار خلف سيدي يوسف الحنصالي وراءه مدرسة قرآنية لاتزال الى يومنا هذا بجبل زواوة[4].

لا يعترف سيدي يوسف الحنصالي في طريقته إلا بالتابعين الأوائل الذين تعرضوا للتعذيب والصيام والتي يربطها المؤرخون الفرنسيون بطقوس عبادة الشمس، فظلا عن المبادئ الصارمة والاقل تسامحا في هذه الطريقة[5]،يتبع هذه الطريقة حوالي3000مريد حيث نجد منهم حولي 600مريد في قسنطينة و210في منطقة سكيكدة، تقع الزاوية الام للطريقة الحنصالية في منطقة الشرق الجزائري على بعد عشرون كلمتر عن مدينة قسنطينة بقرية "روفاش"(ابن زياد

---

[1]- P.Muraty,Op.Cit,P313.

[2]- Bulletin De La Société De Géographie D'alger Et De L'afrique Du Nord, Onzième Année 1906, Tome 11, Imprimeries Typographiques Et Lithographique S León 15 Rue De Tanger, 1906 ,P 166.

[3]-Ibid ,P 166.

[4]-Edoird De Neveu,Les Khouan Orderes Religieux Chez Les Musulment De L'algerie, Imprimerie De A.Guyot,Imprimeur Du Roi,Geuxiéme Edition, Paris,1846,P127-126

[5]- P.J André, Op.Cit, P227.

حاليا) بقيادة مقدم الزاوية الشيخ الزواوي والذي كان يتولى حينها مهام قاضي مدينة "روفاش"، تضم الزاوية العديد من الاتباع بالإضافة الى مدرسة قرآنية، تقدم الإعانات للفقراء والمحتاجين الذين يمرون بها، كما توجد زاوية بمدينة قسنطينة تابعة لها تضم هي الاخرى العديد من المريدين ومدرسة قرآنية، وفروع عديدة لها كيكدة،والحروش[1].

.3-3وفاته:

توفي سيدي يوسف الحنصالي سنة 1702م بجبل شطابة بقسنطينة[2].

3-4علاقة الحنصاليين بفرنسا:

لم يسبب الحنصاليين أية مشاكل أو صعوبات لفرنسا، بل على العكس وهذا ما يتضح في إنتخابات سنة 1948م، منح مقدم الزاوية بمنطقة الحروش الأولوية للترشح ضد مترشح حزب الشعب؛ ولكن الاصول الأمازيغية للطريقة الحنصالية الآتية أصولها من المغرب جعلتها في مركز حساس أمام الحركة البررية القبائلية، تجت علامة البربريزم الخاص[3].

4-سيدي مسعود دفين فرجيوة:

لم تتوفر معلومات عن سيدي مسعود سوى الاسطورة التي تكلم عنها" E.Vllet" في مؤلفه الذي يحمل عنوان اسطورة سيدي مسعود.

-4.1كراماته:

ارتبطت اسطورة سيدي مسعود، بعين مائية ببلدية "فج مزالة" بفرجيوة، ويروي السكان المحليون أن العين التي تدعى حاليا عين سيدي مسعود كانت قديما عين بالكاد تكفي سكان المنطقة؛ وذات يوم مر رجل قادم من الغرب بالقرب من العين المذكورة ووجد فتاتين تملآن جرارهما بالكاد من الماء فسألهم أن يعطوه شربة ماء، فأجابته إحداهن:"إذهب غلى حال سبيلك أيها الغريب. فلا يوجد ما يكفينا من الماء"، وهنا تدخلت رفيقتها: "دعيه يااختاه فهذا المسكين قد قطع شوطا كبيرا من السفر"، وسقته من جرتها المتآكلة؛ فتقدم بعصاه إلى العين ولمس بها الصخرة التي يتدفق من خلالها الماء القليل. لينفجر بعدها بغزارة شديدة، مما شكلا وادا صغيرا لم يجف منذ ذلك الحين لا في الشتاء ولا في الصيف، وشمن عمل العديد من المطاحن المهمة، ليتوقف سيدي مسعود عن السفر ويستقر بهذه المنطقة؛ ويبني مسجد الذي سمي لاحقا

[1]-P.J André, Op.Cit, P232.
[2]- Bulletin De La Société De Géographie D'alger Et De L'afrique Du Nord, Op.Cit ,P 166.
[3]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes, Edition La Maison Des Livres, Alger ,P234

باسمه ومدرسة قرآنية. إذ لازال السكان المحليون يأتون بهباتهم الى زاويته اقتداء بالكرم المرأة التي سقته بالماء، وجعلته يحل عليهم ببركاته[1].

إضافة إلى أسطورة عين سيدي مسعود، نجد أسطورة أخرى تتكلم عن العناية الإلهية التي مني بها سيدي مسعود المنطقة حتى بعد وفاته، إذ حاول مرة لصوص سرقة قطعان من الغنم كانت قد جلبت إلى الزاوية؛ إذ قاموا في ظلام الليل باختراق جدران الزاوية. وسرقة قطعان الماشية وسير بها لساعات، وما إن بزغ نور الفجر وجدوا أنهم لم يغادروا أسوار الزاوية أبدا، وتحت ضحكات وسخرية السكان الزاوية فر اللصوص هاربين[2].

مع الوقت إختفت الزاوية واختفتأحجارها ولم يبقى، منها إلا أطلال، أما المسجد الذي لا يزال قائما الى يومنا هذا رغم جدرانه المدمرة وسقفه لقرميدي وضريح سيدي مسعود وزوجته تلك المرأة التي غمرته بكرمها والتي لم يتم حفظ اسمها، هو مزار لسكان المنطقة الى يومنا هذا[3].

إن حضور شخصيات روحية مثل سيدي عبيد **و**يوسف الحنصالي وسائر صلحاء الشرق الجزائري يعكس عمق الجذور الصوفية في المجتمع المحلي، حيث شكلت أضرحتهم فضاءات جامعة للذاكرة الجماعية وممارسات التدين الشعبي. غير أن هذه المظاهر لم تبق بمنأى عن التحولات الفكرية والاجتماعية التي شهدتها الجزائر في مطلع القرن العشرين.

إذ جاءت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لتعيد النظر في هذه التقاليد من منظور إصلاحي، معتبرة أن الأضرحة رمز لانحراف العقيدة وركود الفكر. ومن هنا اندفع خطابها – وأحيانا ممارساتها العملية – إلى مواجهة هذا الموروث، حتى وصل الأمر إلى هدم بعض الأضرحة بالشرق، في محاولة لإرساء نموذج جديد للتدين.

وهكذا يمكن القول إن قضية الأضرحة لم تكن مجرد جدل ديني، بل كانت ساحة صراع رمزي بين مشروعين: مشروع الذاكرة الشعبية الصوفية، ومشروع الإصلاح الديني الحداثي، بما يحمله ذلك من دلالات على طبيعة التوترات الفكرية والاجتماعية في الجزائر الحديثة.

[1]-E.Vallet, La Légende De Sidi Massaoud, Imprimrie D.Braham, Constantine,1918, Pp 1-2.
[2]-Ibid,P03.
[3]-E.Vallet, La Légende De Sidi Massaoud, Imprimrie D.Braham, Constantine,1918,P03.

تظهر دراسة أضرحة الشرق الجزائري أن أغلب المعطيات المتوفرة عنها لا تتجاوز نطاق الروايات الشعبية والأساطير التي تناقلتها الذاكرة الجماعية، في غياب نصوص تاريخية محققة أو وثائق محلية مكتوبة.

إن هذا الفراغ المعرفي فرصة للعديد من الرحالة والإداريين الفرنسيين خلال القرن التاسع عشر لملئه بكتاباتهم، التي قدمت الأضرحة والصلحاء في صورة تتأرجح بين الغرائبي والفولكلوري، لتخدم أحيانا أغراضا سياسية استعمارية أكثر منها معرفية، فإن مقاربة هذه الأضرحة اليوم تتطلب قراءة نقدية مزدوجة: من جهة مساءلة المرويات الفرنسية التي كثيرا ما اعتمدت على الخيال أو النظرة الاستشراقية، ومن جهة أخرى تفكيك الأساطير المحلية التي حجبت الخلفيات التاريخية والاجتماعية الحقيقية للظاهرة.

غياب التوثيق المحلي المكتوب جعل الأضرحة في الشرق الجزائري فضاء مفتوحا لتأويلات متعددة؛ فبينما تعاملت معها الذاكرة الشعبية باعتبارها مراكز للبركة والهوية الجماعية، صاغتها الكتابات الفرنسية كرموز غامضة تبرر التدخل الاستعماري بذريعة "كشف الأسرار" و"تفسير المعتقدات" وهكذا تحولت الأضرحة إلى نقطة تماس بين الأسطورة والسلطة، وبين المعرفة الشعبية والتصورات الكولونيالية.

أظهر الفصل أن الوسط الجزائري شكل قلباً روحياً للبلاد بفضل احتوائه على شخصيات صوفية كبرى كالثعالبي الذي جمع بين العلم والكرامات، وبوقبرين الذي أسس الطريقة الرحمانية التي قادت مقاومة شرسة ضد الاحتلال، وأحمد الكبير الذي أسس البليدة ببركته المائية. كما تطرق الفصل إلى الطريقة العيساوية وممارساتها الطقسية كالحضرة والقطاية وأكل العقارب، التي أثارت اهتمام الكتابات الفرنسية بين الإعجاب والازدراء. وفي الشرق الجزائري، برز سيدي عبيد الذي شكل حول ضريحه قبيلة بأكملها أعفيت من الضرائب في العهد العثماني، وسيدي عيسى دفين المسيلة صاحب كرامة الذيل السلوقي، والحنصالي الذي لم يشكل تهديداً لفرنسا. وقد كشفت الدراسة أن الكتابات الفرنسية اهتمت بالصلحاء بقدر ما يخدم مصالحها الاستعمارية، فبالغت في تصوير الكرامات أحياناً لتبرير نظرة "التخلف"، وتجاهلت شخصيات أخرى ليس لها حضور سياسي، كما أظهر الفصل أن جمعية العلماء المسلمين تصدت لظاهرة الأضرحة في الشرق بهدم بعضها، في صراع رمزي بين المشروع الصوفي الشعبي والمشروع الإصلاحي الحداثي، مما جعل الأضرحة فضاء مفتوحاً لتأويلات متباينة بين الأسطورة المحلية والخطاب الاستعماري والإصلاح الديني.

الفصل الرابع: صلحاء منطقة الجنوب الجزائري

أولا: الإمتداد الجغرافي لمنطقة الجنوب.

ثانيا: صلحاء جبال عمور الأغواط وغرداية.

ثالثا: صلحاء الجلفة وبوسعادة.

رابعا: صلحاء الجنوب الغربي.

يمتد الجنوب الجزائري على مساحة شاسعة تغطي أكثر من 80% من البلاد، من الحدود المغربية غرباً إلى التونسية والليبية شرقاً، ومن غرداية وبسكرة شمالاً إلى مالي والنيجر جنوباً في منطقة تجمع بين العرق الرملي الكبير وجبال الهقار وهضبة تاسيلي، إضافة إلى واحات تعتمد على الزراعة التقليدية، وتزخر بثروات طبيعية هائلة كالبترول والغاز، ورغم قساوة المناخ فقد أنجبت هذه المنطقة صلحاء كباراً تركوا بصماتهم الروحية والاجتماعية، ففي جبل عمور برزت لالة أم قرين وسيدي بولفعة وسيدي بلقاسم كرموز محلية للبركة والحماية، وفي الأغواط وورقلة، نجد سيدي الناصر بوحركات الذي شتت قصر بن فتاح بدعوته، وسيدي الحاج عيسى مؤسس مدينة الأغواط، وسيدي بنور صاحب أسطورة حجر الزيت، كما برز سيدي أحمد التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية التي تحالفت مع فرنسا، وسيدي نايل جد قبائل أولاد نايل وسيدي بلقاسم الهاملي صاحب زاوية الهامل، وفي الجنوب الغربي نجد سيدي سليمان بن بوسماحة وسيدي الشيخ صاحب الكرامات والأساطير، ومولاي الطيب الذي تنبأ بالغزو الفرنسي.

أولا: الإمتدادالجغرافي لمنطقة الجنوب الجزائري:

يمتد الجنوب الجزائري على مساحة شاسعة جدًا، وهو يُعتبر أكبر جزء من البلاد من حيث المساحة، إذ يغطي معظم أراضي الجزائر. يمتد هذا الجنوب من الحدود مع المغرب غربًا إلى الحدود مع تونس وليبيا شرقًا، ومن ولايات غرداية وبسكرة شمالًا إلى حدود مالي والنيجر جنوبًا. يضم هذا الإقليم الصحراوي ولايات كبيرة مثل تمنراست، أدرار، إليزي تندوف، بشار، ورقلة، غرداية وغيرها. وتتنوع تضاريسه بين العرق الرملي الكبير، **و**جبال الهقار، **و**هضبة تاسيلي ناجر، إضافة إلى واحات تعتمد على الزراعة التقليدية. رغم قساوة المناخ، فإن الجنوب الجزائري غني بالموارد الطبيعية مثل الغاز والبترول، ويشكل عمقًا استراتيجيًا للبلاد من حيث الأمن والاقتصاد[1].

تميّز الصحراء، وخاصة في الجزائر، بعدة خصائص طبيعية وبشرية تجعلها فريدة من نوعها. أولى هذه المميزات هي اتساع المساحة، حيث تشكل الصحراء أكثر من 80% من مساحة البلاد، ما يجعلها من أكبر الصحاري في العالم. كما تتصف بالمناخ الجاف والحار جدًا صيفًا، والبارد شتاءً، مع قلة تساقط الأمطار وندرة الغطاء النباتي. أما من حيث التضاريس، فتتنوع **بين** العرق الرملي الكبير، والهضاب الصخرية، والجبال البركانية مثل جبال الهقار. وتحتضن الصحراء واحات كثيرة تُستخدم في الزراعة التقليدية بفضل المياه الجوفية، بالإضافة إلى أنها تحتوي على ثروات طبيعية هامة كالبترول والغاز والحديد والذهب. ورغم قساوتها، فهي موطن لثقافات عريقة كـ "الطوارق"، وتتميز بطابع عمراني تقليدي يعكس أسلوب التكيّف مع الطبيعة القاسية[2]

[1]–بوعزة، عبد الرحمن، الجغرافيا الإقليمية للجزائر .دار الهومة، الجزائر، 2012، ص. 87.

[2]–بن عبيد، يوس، الجغرافيا الطبيعية للجزائر .دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص. 1

ثانيا: صلحاء جبل لعمور ولغواط وغرداية:

1-صلحاء جبل عمور:

يجسد صلحاء جبل عمور حضور الصلحاء المحليين، في حياة المجتع الأفلاوي حيث يعتبر هؤلاء الصلحاء من المقدسات مدينة آفلو، التي لا يجب المساس بها حتى بعد التخلي عن مظاهر الكفر والبدع التي كانت منتشرة.

1.1-لالة أم قرين:

لم يأتي لنا " Emile Dermenghem " بمعلومات كثيرة سوى أن هذه المرأة هي ولية صالحة يعرفها السكان المحليون لمنطقة آفلو، ليس لدينا عليها معلومات سوى أنها كانت تزور المرضى والحزينين فالمنام، تبدو كخيال لإمرأة بيضاء تعلو جبهتها قرن صغير أصفر، مقامها عبارة عن نصف دائرة من الحجارة بعلو(1.5م)؛ وتدعى "الحويطة" او "المقام" فوق هضبة صخرية في الجهة شمالية الغربية لمدينة آفلو[1].

وقبل أن يصبح مزارها عبارة عن مقام بني بالحجارة، كان يوجد مكانه بئر، بنته هذه المراة التي جاءت من الساقية الحمراء المكان الذي يأتي منه الصلحاء، هذه المرأة كانت مارة بالمنطقة فوجدت سكانها عطشى والبلاد تمر بموجة من الجفاف فسخرت أموالها لحفر البئر وسقيا الناس لكن البئر إختفى أو جف وتم ردمه مع مر الزمن؛ ولم يبقى منه إلا حوافه التي أصبحت مقاما للسيدة ذو القرن، أو أم قرين كما يدعوها سكان المنطقة[2].

2.1-سيدي بولفعة:

ومن أولياء الصالحين لمنطقة جبل لعمور يسرد لنا "Emile Dermenghem " عن سيدي بولفعة الذي يقع ضريحه على بعد القيلل من الكلومترات على جبل سيدي عقبة، الذي يزوره الناس على ضربات البندير، والأغاني ليدعو الله وينزل عليهم الغيث من السماء؛ اسمه الحقيقي محمد بن بلقاسم، أطلق عليه إسم بولفعة لأن أفعى كانت تأتي لتنام في مهده عندما كان طفلا دون أن تأذيه[3].

[1]-Emile Dermenghem, Le Djbel-Amour, Sinthése De L'activité Algerienne,1janvier 1955-31، Décembre 1955, P199
[2]- Ibid, P199
[3]-Ibid, P199

3.1-سيدي بلقاسم:

لم ينسى "Emile Dermenghem " سيدي بلقاسم وهو جد سيدي بولفعة، الذي يقام له إحتفال سنوي بفصل الخريف، حيث تقام العلفة بالبارود تحت إشراف الباش أغا الشيخ محمد بن معاذ بن فطيمة، يقع ضريحه فوق الجبال البعيدة عن منطقة قلتة سيدي سعد ببعض الكلومترات[1]. قد شكل هؤلاء الأولياء رموزا روحية واجتماعية، إذ مثلوا في نظر الأهالي ملاذا للحماية ومصدرا للبركة كما تحولت أضرحتهم إلى فضاءات للتلاقي والتضامن، حيث يلتقي البعد الديني بالبعد الاجتماعي في إطار من الاستمرارية الثقافية.

إن حضور هؤلاء الصلحاء في جبل عمور يعكس مكانة الولاية في صياغة هوية المنطقة والمحافظة على توازنها الرمزي، بما يجعلهم جزءا لا يتجزأ من التراث الروحي والذاكرة الجمعية لسكان الهضاب العليا.

2-سيد الناصر بوحركات بن عبد الرحمان:

1.2-نسبه:

وهو الناصر بن عبد الرحمان بن محمد بن علي بن عمر بن أبي القاسم بن عبد الله بن حمزة بن عيسى بن موسى بن أحمد بن منصور بن محمد العساكري بن عيسى الراضي بن موسى المرتضى بن عبد الله بن أبي جعفر الصادق بن محمد الناطق بن علي زين العابدين بن الحسين، بن علي بن أبي طالب زوج السيدة فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو من الشرفاء الحسينيين وتسمى سلالته بأولاد الناصر[2]؛ وهذا ما يؤكده كتاب الأنساب: الأنوار الدررية الباهرة في ذرية سيدتنا فاطمة الزهراء الطاهرة[3].

---

[1]- Emile Dermenghem, Le Djbel-Amour, Op.Cit, P199.

[2]-عدة جميلة، مرجع سابق، ص 492.

[3]-عدة جميلة، مرجع سابق، ص492.

لم تتطرق الكتابات الفرنسية لنسب سيدي الناصر بن عبد الرحمان، وهذا راجع لإهتمامهم بأساطيره، والتي أثرت بشكل كبير على المجتمع عامة واتباعه خاصة أكثر من نسبه الشريف.

2.2-حياته ورحلاته:

ولد سيدي الناصر بن عبد الرحمان بالساقية الحمراء، ولقب بسلطان مازونة لأنه حكمها قبل الهجومات الهلالية[1]، وذلك في عهد بني عبد الواد في فترة حكم الأمير عبد الملك الذي حكم تلمسان؛ في القرن الثالث عشر[2].

وعند بحثنا عن هذا الأخير في جدول أمراء وملوك بن عبد الواد لم نجده، إلا إن كان أبو مالك عبد الواحد بن موسى، الذي حكم تلمسان من 1412م الى غاية 1424م[3]و التي لا تتزامن مع الفترة التي عاش فيها الولي الصالح؛ حسبما جاءت به ماتيا قودري في كتابها "المجتمع النسوي".

أما في كتاب " A'algérie légendair" لصاحبه" C.Trumlet" أن الفترة التي عاش فيها الولي الصالح بصحراء وتحديدا بالأغواط كانت الفترة التي تم فيها بناء قصر تاجموت سنة 1666م[4]، والتي أكدها "ايميل دورمنغام في أحد تقاريره من خلال مخطوط تحدث عنه في مجلة "Documents Algériens"[5].

أما فيما يخص رحلات هذا الولي الصالح فإن التضارب صارخ وجد حيث أنه جاء في كتاب E.Mongin * ملاحظة حول تاريخ الأغواط "note sur l'histoirede laghouat" حيث يقزل:" في قصر بن بوتة كان هنالك رجل صالح معروف كثيرا في المنطقة يدعى سيد الناصر،

---

[1]-احمد بن محمد العشماوي، السلسلة الوافية الياقوتة الصافية في أنساب اهل البيت المطهر أهله بنص الكتاب، ص47. مخطوط منشور عبر الانترنت.

[2]-عدة جميلة، مرجع سابق، ص492.

[3]- عدة جميلة، مرجع سابق، ص492.

[4]-Cornailtrumlet, L'algérie Légendaire. Op.Cit, P177.

[5]-Emile Dermenghem, Le Pays De Laghouat Et Des Larbaâ, Documents Algériens, Sinthése De L'ativité Algerienne, 1janvier 1957-31 Décembre 1957, P162.

*-E. Mongin: **ايريك مونجان: هو** مؤرّخ أو باحث فرنسي نشط خلال أواخر القرن التاسع عشر، وقد نشر مجموعة من المقالات عن مدينة الأغواط في مجلة RV-AFبين عامي 1893 و1895، جمعها لاحقا في كتاب عنوانه Notes sur l'histoire de Laghouat (1895) للمزيد ينظر:

-E.Mongin، Note Sur L'histoireDe Laghouat، Adolphe JourdanLibrairie-Editeur.1895 .P P 25 24

هذا الرجل الصالح كان لديه في البلاد سمعة جيدة، وأي كان من لديه مراد من الله فليتأكد أنه سيحصل عليه لما كان لديه من فضائل فإن الله لا يرفض دعواته وكان العديد من الناس يتقربون إليه ليحصلواعلى بركاته"[1].

هذه الرواية والتي تكررت في العديد من الكتابات الفرنسية، تشير أن الولي الصالح سيد الناصر عاش فترة زمنية بمنطقة الأغواط، إلا أن الشائع بين سكان المنطقة أنه لم يعش أبدا في الأغواط، وانه انتقل مباشر من مازونة الى واد القصب بعد وفات عائلته على إثر هجمات بني هلال.

لم تأت الكتابات الفرنسية، عن كيفية انتقال الولي الصالح سيد الناصر بن عبد الرحمان الى منطقة الأغواط بعد سقوط مدينة مازونة، على إثر الهجومات الهلالية حيث عاش أصحاب قصور بومندالة وبدلة وقصر بن فتاح وقصر بن بوتة، إذ فضل العيش في قصر بن بوتة والدعاء لهم؛ والذي كانت من كراماته تقبل الله عز وجل جميع دعواته فكان يدعو للكبير والصغير عدا شخص واحد وهو "علي بن بلاج" ابن شيخ من قصر قصبة بن فتاح رغم توسلاته المتكررة، لكن الولي الصالح لم يستمع إليه ولم يلتفت له حتى، لأمر لا يعلمه إلا الله وحده[2].

كان للولي الصالح سيد الناصر ابنة فائقة الجميلة اسمها "جوهرة"، كان اعتزازا وفخر أبيها حافظة للقرآن مقتدية بسنة رسول الله، عشقها كل من رآها وكان "علي بن بلاج" واحدا منهم فخطبها من والدها والذي أعرض عنه في خطبتها، كما أعرض عنه سابقا في الدعاء له وأجابه أنها مخطوبة للشاب "سعيد بن بوزهار" من قصر بن بوتة؛ الذي كان يقيم فيه الولي الصالح فأقسم في نفسه على انتقام وأخذها بالقوة.فقام باختطافها ليلة زفافها حيث انتظر نهاية مراسيم الزفاف وداهم العروسين في غرفتهم بعد أن حاصرها رفقاؤه، وأخذ الجميلة "جوهرة" وقتل العريس "السعيد بن بوزهار" عندما حاول منعه من أخذه زوجته ولاذ بالفرار، وعندما لاحقه أتباع الولي ولم يجد له مخرجا؛ اغتصبها ثم قتلها وانتحر. وما إن وصل الخبر إلى الولي الصالح سيد الناصر حتى امتلأ قلبه حزنا وغضبا ودعا الله باكيا"، ياربي شتت ناس قصبة

[1]–عدة جميلة، مرجع سابق، ص492.

[2]–المرجع السابق، ص493.

بن فتاح كما شتت الرمل"[1]، وفي رواية أخرى: أنه أخذ حفنة من الرمل ونفخ فيها حتى تناثرت وقال" ألهم اجعل سكان قصبة بن فتوح يتناثرون كما تناثر هذا الرمل"، فاستجاب له الله سبحانه وتعالى لدعائه، وما إن بزغت الشمس حتى وجد سكان قصبة بن فتوح أنفسهم على بعد مئتي وثمانون مكانا–آلاف الكلومترات–وقصبة بن فتوح أصبحت صحراء[2].

وجدوا أنفسهم في المكان المسمى حاليا "غدامس" أين وجدوا قبلهم عائلات نازحة مطرودة من فزان بعد ارتكابهم لجرائم قتل في حق أحد إخوة الولي الصالح سيد الناصر فسألوهم من أين جئتم وكيف جئتم فأجابوهم سكان قصبة بن فتوح: نحن سكان قصبة بن فتوح من واد مزي وكنا نتناول غداءنا أمس، غير أن العائلات النازحة من فزان لم تكثر الأسئلة مخافة إن يسألوهم بدورهم عن سبب تواجدهم في هذا المكان؛ ومن هنا جاءت تسمية المدينة"غدامس" غداءنا أمس" والتي أسست في القرن 13م[3].

لم ياتي في ذكر تأسيس مدينة غدامس أن قوما نفيوا بها على إثر إرتكاب شخص منهم لجرم ما، ولا أنهم وجدو أشخاصا قالو لهم كنا نتناول غداءنا أمس، بل كل الأمور التي ذكرت أمس تكونت بفعل المخيال الشعبي على مر الزمن.

بعد الحادثة الأليمة التي حلت بالولي الصالح سيد الناصر بن عبد الرحمان، وما حل بقصر بن فتاح، لم يرد البقاء بقصر بن بوتة لأن المكان يذكره بابنته الوحيدة، تاركا وراءه باقي سكان القصور يتقاتولن فيما بينهم، وسار غربا لمدة عشرة أيام بدون أن يتوقف أو يحدد مكانا، ليخر واقعا من التعب في مكان بالقرب من قصر ستيتن والشطيط الشرقي أسفل ضاحية العمرة ليعيش عيشة الزهد ويطلق الدنيا، في خلوته يعبد الله فيها بعيدا عن الناس على ضفاف واد القصب و الذي سمي لاحقا ياسمه" واد سيد الناصر"؛ لتكتشف هذه لخلوة لاحقا من قبل قبائل الأحرار الذين استوطنوا حوله بعد ما علموا انه ولي صالح، ففرحوا بذلك و احتفوا به و أكرموه وقدموا له الإخلاص والولاء، لتلقي البركة منه، لتصبح خلوته لاحقا مزارا له بهذه المنطقة[4].

---

[1]–عدة جميلة، المرجع السابق، ص493.

[2]– عدة جميلة، المرجع السابق، ص493.

[3]– عدة جميلة، المرجع السابق، ص493.

[4]-Cornailtrumlet, L'algérie Légendaire, Op.Cit, P180.

3.2-أبناءه:

وإذا ما قارنا المعلومات التي جاء بها ترومليي أو ماتيا قودري، أو حتى مونجان فإن لسيدي الناصر ابنة واحدة قتلت، أما في مخطوط الياقوتة الوافية والدرة الصافية للعشماوي فإن لهذا الولي الصالح اثنان وعشرون ولدا؛ منذ أن حاكما على سجلماسة إنتقاله الى مازونة ثم الصحراء[1].

أما في الكتابات الفرنسية إننا لا نجد سوى إبنته جوهرة وأبناءه المولودون من نساء قبائل الأحرار اذ تزوج أربعة نساء منهم ووهبه الله اربعة بنات، وعلى أمل ان يهبه الله ولدا طلق زوجاته الأربعة؛ وتزوج أربعة نساء اخريات من قبيلة الاحرار ووهبه الله ثلاث بنات وولد في آخر حياته، ليقوم أحفاده لاحقا بالسكن حول الضريحيكونوا قبيلة سيدي الناصر، أو بما يسمى حاليا ولاد سيدي الناصر[2].

4.2-وفاته:

توفي سيدي الناصر بوحركات بن عبد الرحمان، عن عمر ناهز السبعين سنة وبنى له الأحرار ضريحا بقبة كبيرة في مكان خلوته ليبقى الضريح ملاذ الفقراء والمسافرين[3].

5.2-كرامات الولي الصالح سيد الناصر:

من كرامات هذا الولي، دعاءه المستجاب فالمرأة العاقر فتصبح ولودا، والرجل المريض ترد له عافيته، والغائب يعود الى أهله؛ وعلى الجميع الثناء على الولي الصالح لما له من فضائل عليهم والدعوات المستجابة له[4].

أما من كرامات الولي الصالح بعد مماته أن ضريحه أصبح ملاذا للجوعى من فقراء ومساكين وعرف ب" بات تتعشى" إذ بمجرد نوم الجائع في الضريح فإنه يحلم بالولي الصالح سيدي الناصر يسقيه من أشهى الأصناف، ويستيقظ شبعانا مليء البطن[5].

---

[1]-.احمد بن محمد العشماوي، السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب اهل البيت المطهر أهله بنص الكتاب، ص75. مخطوط منشور عبر الانترنت.

[2]-عدة جميلة، مرجع سابق، ص494.

[3]-المرجع السابق، ص494.

[4]-المرجع السابق، ص495.

[5]-C.Trumelet, Les Français Dans Le Desrt, Bibliothek Emil Gratzel, Pari, 1963, P207.

وأن كل من يقوم بإبرام عقد أمام ضريحه، وكانت له نية سيئة فإنه يفقد بصره بمجرد الإخلال بشروط العقد[1].

6.2-العلاقات الفرنسية بأولاد سيد الناصر:

شكلت قبيلة الأحرار أحد أهم الارستقراطية الحربية والإدارية والسياسية والدينية في المجتمع الديني بالغرب الجزائري، إذ تقلد سي قدور بن الحاج الصحراوي أحذ أتباع الأمير عبد القادر الزعامة الدينية لقبيلة الأحرار بسبب مناصرتها للأمير عبد القادر، لم يذكر لها موالات لفرنسا الى أفراد قلائل انشقوا عنها[2].

إن حضور سيدي النصر بوحركات وأبنائه في الكتابات الفرنسية لا يرد بوصفه مجرد إشارات عابرة، بل باعتبارهم جزءا من شبكة رمزية وروحية أثرت في المجال الاجتماعي للجنوب الجزائري.

فالسلطات الاستعمارية كانت تنظر إليهم كأقطاب محليين يمتلكون نفوذا معنويا يضمن لهم احترام القبائل والتأثير في مواقفها، الأمر الذي جعل الاهتمام منصبا على دورهم السياسي والاجتماعي أكثر من جوانبهم الدينية، وهكذا تكشف هذه الكتابات أن الاستعمار تعامل مع أولاد بوحركات باعتبارهم عنصرا استراتيجيا ضمن سياسة مراقبة الزوايا ومتابعة رجال الصلاح، لما لهم من مكانة في تشكيل الولاءات وضبط التوازنات القبلية.

3-سيدي أحمد التيجاني:

1.3-نسبه

هو أبو العباس أحمد بن ابي عبد الله محمد فتحا[3]، بن محمد بن المختار بن سالم التيجاني[4]، فكل أجداد سيدي أحمد التيجاني من عين ماضي؛ وبالتأكيد من النسب الشريف[5].

[1]-عدة جميلة، مرجع سابق، ص495

[2]- المرجع السابق، ص495.

[3]-Sidi Ali Hachlaf , Op Cit,P128.

[4]-Marcel Simian, Les Confréries Islamique En Algerie (Rahmania-Tidjanya), Op Cit, P69.

[5]- A.N.O.M, Serie 16H/51, arbre gènèalogique des tidania, 1787-1815.

إذ يرفع نسبه الى مولانا محمد الملقب بالنفس الزكية ابن مولى الحسن المثنى ابن الحسن السبط[1]، بن علي رضي الله عنه، وإبن السيدة فاطمة ابنة الرسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

2.3-حياته ورحلاته:

الشيخ الواصل القدوة الكامل الطود الشامخ العارف الراسخ سيدي ابو العباس[3] أحمدبن محمد بن سالم التجاني[4]، أو تجيني بكسر الجيم كما هو متداول[5]، مؤسس الطريقة التيجانية[6] وهي طريقة خلواتية[7]، ولد سنة 1150هـ الموافق لـ 1737م[8]أو1738م[9] بمدينة عين ماضي[10].

والتي تقرب الأغواط بنحو عشرون ميلا[11]، والده سيدي محمد بلمختار، والذي كان رجلا ذكيا ومتعلما، والذي استفاد من علمه الكثير من تلامذته والذي توفي بالطاعون سنة 1166هـ-1753م؛ والدته عائشة بنت سيدي محمد بن سنوسي التجاني والتي توفيت في نفس اليوم والسنة التي توفي فيها زوجها ليدفنا في عين ماضي[12].

يعود أصل تسمية التيجانية بهذا الاسم حسب "L.Arnou 0"، الى سكان قصور عين ماضي "التجاجنة"[13]، وهم السكان الأصليون لعين ماضي وهم أخوال أحمد التيجاني، وغلبت عليهم الكنية، والشهرة لأجل مصاهرته لهم؛ وهم من عائلة أولاد شيخ سيدي محمد[14]؛ وهم

---

[1]-على حرازم، مصدر سابق، ص26.

[2]- L.Arnou, Histoire de L'ouali Sidi –Ahmed ET-edJani, LA REV- AF, journal des trvaux de la societehistorique, N 5, 1861, P468,

[3]- على حرازم برادة، مصدر سابق، ص 23.

[4]- عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات الى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمية، ط1، 1427هـ، ص97

[5]-L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, Op Cit, P468.

[6]- عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص97.

[7]- رياض بودلاعة، موقف الطرق الصوفية وزوايا المرابطين من الثورة التحريرية الجزائرية، دكتوراه في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2، 2017-2018، ص32

[8]-Mathea Goudry, La Société Féminine, Op.Cit, P 314.

[9]-Marcel Simian, Les Confréries Islamique, Op.Cit, P69.

[10]-L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, Op Cit, P468.

[11]-الجيلاني بن عبد الحكم اليحياوي العطافي، المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحيى بن صفية وفي تعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية، 2006م، ط2، ص319.

[12]-L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, Op Cit, P468.

[13]- L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, P468.

[14]-L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, Op Cit, P468.

العشيرة الأقرب اليهالمكنى بابن عمر[1]؛ أمضى سيدي أحمد التيرجاني، شبابه في مدينة عين ماضي[2]، وهو أوسط الأبناء في إخوته[3]؛ في هدوء الدراسة الباكرة برفقة والده. والذي رسخ فيه من صغره حب الله والخوف من المعاصي، لكن وفات والديه في قبل أن يبلغ رشد جعل أخته الكبرى تحل محل والدته والتي وجد بها كل العزاء ولم تترك لليتم سبيلا على التأثير على شخصية الشيخ التيجاني[4].

درس سيدي أحمد التيجاني القرآن لمدة سبع سنوات، ورسخت آياته في ذاكرته[5] وحفظه عن ظهر قلب[6]، لينتقل لدراسة علوم أخرى، تحت إشراف سيدي المبروك بن بوعافية التجاني أحد أعلام المنطقة؛ليتعمق بعدها في علم الصوفية والتوحيد، كما كان سيدي أحمد التيجاني يصوم معظم أوقات السنة، ويصلي لحد الإرهاق ومن أقواله:"إن الجنة ليست بالسهلة للوصول إليها، إذا لم يساعدنا الله الرحمان الرحيم بلطفه.–إن السماء مثل امرأة جميلة من النعمة والوعد، فلا يمكن لثروات العالم ان تجعلك تكتسبها– اذا كنتتريد الجنة، واصلفعل الأعمال الصالحة فلن تحصد قبل ان تحرث "[7].

إن اعتداله، جعله يحظى بتقدير كبير من قبل الرجال؛ كان مشغولا بالصلاة فقط، وقضى معظم الليالي في العبادة، وجلب الجميع الى الفضيلة بنصيحته الجيدة ومثاله التقي، لتبدأ سمعته بالانتشار[8].

وما إن بلغ سيدي أحمد التجاني، حتى زوجه والده ليحفظه وبعده عن الفساد، حيث كان الشباب وقتها لا يأخذون احتياطاتهم، وكان حينها صغير السن[9].حيث أهداه والده عبدتين تزوجهما بعد ان حررهما، ليلدا له ولدين محمد الكبير، ومحمد الحبيب والذي لقب لاحقا بمحمد الصغير[10].

---

[1]– علي حرازم برادة، مصدر سابق، ص 26.

[2]- L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Tedjani, Op. Cit, P P468.-467

[3]– علي حرازم برادة، مصدرسابق، ص26.

[4]-Jacques Berque, L'intérieur Du Maghreb 15e-19e Siècle, Èdition Gallimard, France, P240.

[5]- L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Tedjani, Op. Cit, P P468.-467

[6]-Jacques Berque, L'intérieur Du Maghreb 15e-19e Siècle, Op. Cit, P243.

[7]- L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Tedjani, Op. Cit, P P468.-467

[8]- L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Tedjani, Op. Cit, P468.

[9]- L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Tedjani, Op. Cit, P469.

[10]-Jacques Berque, L'intérieur Du Maghreb 15e-19e Siècle, Op. Cit, P243.

توفي والده وهو في سادسة عشر من عمره، وبسبب علمه وتواضعه[1]، عمل مكان في التدريس لمدة خمس سنوات تقريبا لينتقل بعدها إلى فاس سنة 1171هـ-1758م، ليلتقي بعلمائها؛ وأخذ منهم بعض الأمور العقائدية التي كانت غامضة بالنسبة له، ليرجع بعدها الى عين ماضي[2].

وحسب"Marcel Simian " بعد أن لقي رجلا من أهل الكشف*، بفاس والذي أشار له بالرجوع الى بلده، وأن له ما يريد بإذن الله، أي انه سينال مقاما عظيما، فلم يلبث حتى رجع لبلده سريعا محملا بشهادات "الإجازات"* ، التي تسمح له بتعليم جميع العلوم التي عرفها العالم الإسلامي آن ذاك[4].

لم يرد سيدي أحمد البقاء بعين ماضي خرج قاصدا البلد الأبيض في ناحية الصحراء البيوض-[5]ويتجه لزيارة سيدي شيخ بن الدين، جد أولاد سيد الشيخ بالبيوض، ليبقى هناك لمدة خمس سنوات ليعلم من يبحث عن العلم، ويعود مرة أخرى لعين ماضي؛ ويتجه إلى تلمسان(1181هـ-1768م) ليمضي بها خمس سنوات أخربوالتي قام فيها العديد من الحلقات التي استقدمت الناس والطلاب الذين نهلوا من مختلف العلوم و أمور الدين، وفي طريقه للجمر ببلد أزواوي، بالقرب من مدينة الجزائر، سمع بالشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري والذي أخذ عنه الطريقة الخلواتية؛ لينتقل بعدها الى تونس سنة 1185هولقي بعض الأولياء منهم سيدي عبد الرحمان الرحوي. ومكث بتونس سنة كاملةيدرس كتاب الحكم وينتقل بعدها الى مصر، يلتقي بالعالم الجليل محمد الكردي العراقي الأصل[6]، ليقرر بعدها القيام برحلته إلى الحج لبيت الله بمكة المكرمة بين سنتي 1717م[7] (1186هـ-1773م) لتزداد عليه نعمه الإلهية؛ وجعل عقله أكثر قدرة على فهم الحقائق المقدسة. وفي مكةأجاب على تساؤلات الناس فاندهشوا لسماعهم، كلمات أقوال مليئة بالحكمة تخرج من فم شاب، فسئل من هو شيخه فأجاب "بأن كل ما يعرفه لم يأخذه من رجل واحد، بل من كل العلماء الذين التقيت بهم"[8].

---

[1]-Marcel Simian, Les Confréries Islamique En Algerie (Rahmania-Tidjanya), Op.Cit, P69.
[2]-L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, Op.Cit, P469.
*-الإجازات: يقصد بها شهادات نهاية التعليم أو الدراسة في وقت سابق.
[4]-Marcel Simian, Les Confréries Islamique En Algerie (Rahmania-Tidjanya), Op.Cit, P54.
[5]- على حرازم براد، مصدر سابق، ص28.
[6]- على حرازم برادة، مصدر سابق، ص36.
[7]-Marcel Simian, Les Confréries Islamique, Op.Cit, P54
[8]-L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, Op.Cit, P469.

ويروي لنا "L.Arnou " أن سيدي أحمد التيجاني قد غير شيوخهفي العديدي من المرات والذين نذكر منهم: سيدي عبد القادر الجيلاني في شخص سيدي أحمد بن حسن مقدم الزاوية القادرية، وبعدها سيدي أحمد بن عبد الله مقدم الزاوية الناصرية، وسيدي احمد القماري وسيدي احمد التواشي او الطواشي بتازة، وسيدي احمد الكردي، وسيدي احمد بن عبد الله الهندي بمكة، والذي نصحه بالذهاب الى المدينة المنورة لإيجاد سيدي أحمد بن عبد الكريم[1]، والمعروف بالشيخ السمان[2]، فتوجه أولا الى قضاء فريضة الحج بكل شعائرهاثم توجه الى المدينة المنورة لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم[3]؛وما إن التقى الشيخ سيدي أحمد التيجاني بالشيخ السمان حتى أمره بالصلاة لمدة ثلاث أيام وحيدا منعزلا عن الناس[4].

وعن رحلته الى مكة والمدينة جاء كل من "L.Arnou "و"Marcel Simian " بنفس الرواية تقريبا، أنه لدى وصوله استجوبه العلماء، في عدة علوم مختلفة ليخرج من هذا الاستجواب منتصرا ويستعد لعودته لبلده عبر مصر، ليأذن له الشيخ الكردي لتأسيس طريقته[5]؛ قائلا له: لقن الناس والضمان علي، وكتب له الاجازة وسند الطريق[6]، لينتقل بعدها الى تونس، وتلمسان ليتوقف في فاس ليزور الولي الصالح" مولاي إدريس"–جد معظم القبائل الشريفة الموجودة في الغربلينتقل سنة 1196هـ–1782م الى المدن الصحراوية أولا الى بوسمغون وبعدها إلى توات ويعود الى بوسمغون مرة أخرى[7] وفيهاوقع له الفتح ورأى الرسول الله صلى الله عليه وسلم بكل بهائه[8]، يقظة لا مناما وأذن له بتربية الخلق ولقنه الورد وطلب منه ترك جميع الطرق والأولياء وإتباع طريقة التي علمه إياها من غير خلوة ولا اعتزال عن الناس[9]؛ وأعلنه وسيطه الوحيد. ونائبه على الأرض وأخبره الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه سيكون شفيعه عند الله ومرشده للمؤمنين الذين يستلهمون مشورته ويتبعون الطريق التي سينيرها لهم[10].

---

[1]-L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, Op.Cit, P469.
[2]- L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, Op., P469.
[3]– على حرازم برادة، مصدر سابق، ص38.
[4]-L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, Op.Cit, P470.
[5]-L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, Op.Cit, P470.
[6]-للاطلاع على السند الاجازة عد الى: على حرازم برادة، مصدر سابق، ص39.
[7]-L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, Op.Cit, P470.
[8]-Marcel Simian, Les Confréries Islamique En Algerie (Rahmania-Tidjanya), Op.Cit, P70.
[9]– للاطلاع على ورد شيخ التيجاني، أنظر على حرازم برادة، مصدر سابق، ص40.
[10]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes, Op.Cit, P290.

سافر سيدي أحمد التيجاني بعد أن جاءه الفتح المحمدي، عبر شمال إفريقيا وتوات والصحراء وقدم نفسه كخليفة حقيقي لرسول صلى الله عليه وسلم[1]، ليجد جموع الناس من كل مكان، منجذبين له من خلال سمعته، وراغبين في جعله شيخا عليهم؛ حيث كان قد جمع أفضل ما وجده في تعاليم وتوصيات الطرق الأخرى. ليعلن رسميا عن طريقته الجديدة، وقدمها لأتباعه، وعلمها لهم لكي يجعلوا أنفسهم أكثر قبولا عند الله، ليبقى في بو سمغون الى غاية 1200هـ-1786م، ليضمن أن أتباعه يتبعون قواعد الطريقة بشكل صحيح؛ وفي سنة 1213هـ ترك نهائيا منطقة الصحراء لينتقل الى فاس في 17 من سبتمبر 1798م برفقة أصغر ابنائه[2].

قام على الحرازيمي الفاسي، بكتابة مذكرات سيدي أحمد التيجاني بأمر منه وكتابة قواعد طريقته، الكتاب سمي "بالكناش"، جمع فيه كل ما استطاع أخذه من سيدي أحمد التيجاني وتم الانتهاء منه في النصف الثاني من ذو القعدة من سنة 1214هـ الموافق لـ 10 افريل 1799م[3]والذي يحمل في الأخير ختم سيدي أحمد التيجاني. وخوفا من أن تنسى طريقته، ولا يتبعها العلماء والعارفين أمر مريديه، كل من سيد الحاج بالذهاب الى مكة، ويقوم بنشرها هناك ليتفى سيد الحاج بمكة وهو يلقي تعاليم الطريقة التيجانية؛ وأمر سي محمد بن المشري بالتوجه الى الأغواط وتبليغ تعاليم الطريقة وشرح ما جاء في الكناش. لينتقل بعدها الى عين ماضي حيث توفي بها[4]، ليستقر هو بفاسفي 17 من ديسمبر1798م[5]، بمنطقة تدعى "حومة البليدة العروية" وبالزاوية، كان يلقي كل يوم الدروس لأتباعه ومريديه من علوم القرآن وتعاليم طريقته، ولأنه تمتع بحسن سيرة، أهداه السلطان مولاي سليمان قصرا يدعى "حوش المرايات"(سمي بهذا الاسم بسبب المرآة الكبيرة التي تزين المدخل)؛ وقبل التيجاني بهذا العرض واستقر هناك مع عائلته وخدامه من الزنوج والزنجيات[6].

ليعلن بعدها ان نبي صلى الله عليه وسلم ظهر له في المنام، وأعطاه الإذن لشرح المقاطع غير مفهومة في السنة، والتعليق على بعض الدروس التي تركها المشايخ وإعطاء حل

[1]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes, Op.Cit, P291.
[2]-L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, Op.Cit, P470.
[3]-L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, Op.Cit, P470.
[4]-L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, Op.Cit, P471.
[5]-Jacques Berque, L'intérieur Du Maghreb 15e-19e Siècle, Èdition Gallimard, France, P240.
[6]- L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, Op.Cit, P472.

لبعض النقاط المشكوك فيها في الأمور القضائية[1]،وفي سنة 1216هـ ولد ثاني أبنائه، محمد الصغير والذي تكفل بنفسه تعليمه القرآن ليزوجه سنة 1283هـ؛ ويتجه الى مدينة الأغواط ليتأكد بنفسه من مدى انتشار تعليم طريقته لكن زيارته.كانت قصيرة، ويعود الى فاس، مرورابجبل عمور لزيارة الولي الصالح سيدي بوزيد، ومنطقة وهران، ليتقاعد عن التعليم ويكمل ايامه الاخيرة في عبادة الله عز وجل[2].

ويذكر "L.Arnou " أنه من وصايا سيدي احمد التيجاني " أن يشتروا من الكفارما يحتاجونه فقط، وهذا في حال لم تتوفر عند المسلمين"، وقال كذلك:" إن المسيحيين هم مثلنا مخلوقات الله، لكن علينا أن نحاربهم بكل ما اوتينا من قوة بسبب هرطقتهم"، كما أمر مردييه، كل من شيخ سيدي الحاج علي الحرازيم وسي محمد بن مشري الصديق، بحرق كتبهم التي ألفوها والحذر من الأمور المشبوه؛ بعد طرحهم لبعض الأسئلة فيما يتعلق بالصوفية وقوانين اللاهوت[3].

3.3-مؤلفاته:

من أشهر كتبه: جواهر المعاني، الإفادة الأحمدية، بغية المستفيد[4].

4.3-وفاته:

توفي سيدي أحمد التيجاني في يوم الخميس[5] 14 من شوال 1230هـ الموافق لـ 19سبتمبر1814م[6]أو1815م[7]، وحضر جنازته عددا لا يحصى من علماء فاس صلحائها وفضلائها وأمرائها، وصلى عليه إماما: الفقيه العلامة أبو عبد الله سيدي محمد بن ابراهيم الدكالي، وازدحم الناس على حمل نعشه وكسروا أعواده تبركا[8]؛ حيث يذكر "L.Arnou " بأنه دفن

---

[1]- L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, Op.Cit, P472.
[2]- L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, Op.Cit, P471
[3]-L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, Op.Cit, P472.
[4]- عبد المنعم القاسمي الحسني، أعلام التصوف، المرجع السابق، ص98.
[5]– محمد بن جعفر بن دريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، حققه محمد حمزة بن علي الكتاني، (1274هـ-1345هـ)، ج4، دت ط، دار الايمان، الرباط، ص196.
[6]-L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, Op.Cit, P472.
[7]-Marcel Simian, Les Confréries Islamique En Algerie (Rahmania-Tidjanya), Op.Cit,P77.
[8]– الكتاني، سلوة الأنفاس، مصدر سابق، ص196.

في الزاوية بمدينة فاس بالمغرب وقبل وفاته ترك ولديه في كنف الحكيم، سيدي محمود بن احمد تونسي[1].

وصل سيد الحاج علي بن الحاج عيس ببعد فترة وجيزة من وفاته للمغرب، صديق مقدم زاوية سيدي أحمد التيجاني بالمغرب، والذي جاء من تماسين الى فاس، لكي يعيد أبناء فضيلة الشيخ الى عين ماضي، بعد استيلاء البخيل مولاي يزيد بن ابراهيم على املاك سيدي احمد التيجاني انتقاما منه؛ لأنه كان يخطب كل جمعة في الجامع الكبير بفاس.باسم السلطان مولاي سليمان، فالخطبة باسم السلطان في نظره لم تكن ضرورية حتى يؤتيه الله من نعمه ويدخله الجنة،ليغادر سيديالحاج علي بن الحاج عيسى؛ يترك بين يدي السلطان مولاي يزيد بن إبراهيم الجشع قصر المرايا، والعديد من الأشياء الثمينة، ويعود لعين ماضي ويدير ممتلكات سيد أحمد التيجاني المتبقية لمدة من الزمن، ويتجه بعدها الى تماسين[2].

تحرر أبناء سيد أحمد التيجاني من أي إشراف، ويتجهوا نحو العلم لينهلوا منه ما أرادو فأرسلوا إلى الغرب وجاؤوا بأساتذة وأطباء، وكل ما تعلموه منهم بقي محفورا في ذاكرتهم الشابة، ليقوم بعدها أبناء سيدي أحمد التيجاني بتعليم الأساتذة والأطباء مالم يستطيعوا تعليمهم إياه[3].

لقد أولت الكتابات الفرنسية عناية خاصة بمكانة سيدي أحمد التيجاني، إذ صور باعتباره وليا ذا نفوذ روحي واسع الامتداد، تتجاوز إشعاعاته المغرب الأوسط إلى فضاءات أوسع في المغرب العربي وإفريقيا، هذا التقدير لم يقتصر على شخصه فحسب، بل شمل أيضا أبناءه وذريته الذين وصفوا كحملة لبركته وضامنين لاستمرارية طريقته. ومن خلال هذا الخطاب، يتضح أن الفرنسيين لم ينظروا إلى التيجانية كظاهرة دينية روحية فقط، بل كقوة اجتماعية لها أثر مباشر على الولاءات الشعبية ومسار التوازنات السياسية في المنطقة.

5.3-كرامات الولي الصالح سيدي أحمد التيجاني:

شكل تأثير سيدي أحمد التيجاني خوفا لدى السلطات العثماني، أن ينقلب عليهم يوما ما ويتولى مقاليد الحكم، خاصة بعد الشهرة والصيت الذي لقيه سيدي أحمد التيجاني آن ذاك لذلك جهزت السلطات العثمانية جيشا لدك عين ماضي؛ وقلب سافلها على عافلها، وما إن

[1]-L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, Op.Cit, P472.
[2]- L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, Op.Cit, P473.
[3]-L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, Op.Cit, P473.

يذكر "Edoird De Neveu " أن الجيوش العثمانية وصلت الى مشارف مدينة عين ماضي حتى أغلقت أسوار المدينة وجهزت المدافع لهدمها، لكن المدافع والبنادق لم تطلق إلا ضوءا خافتا وسيوفهم إعوجت فخرج عليهم سكان عين ماضي وقضوا على الجيش العثماني[1].

كما يضيف ذات الكاتب أنه لم ينجو من الجيش العثماني إلا القليل فسمع حاكم مدينة الجزائر الخبر، وأرسل إلى مقدم الزاوية التيجانية بالجزائر وقتله؛ ليخاف الإخوان التيجانيون وبقوا محبوسين بمنازلهم.وإمتنعوا عن ذهاب للمسجد، وفي نفس الليلة وبينما حاكم مدينة الجزائر نائم حتى جاءه الولي الصالح سيدي أحمد التيجاني في المنام وحوله الى امرأة فقال له لما حولتني لمرأة،فقال له أنا أحمد التيجاني؛ أنا الرجل الذي تكره، وأرسلت جيشا لقتلي وهدم مدينتيالم تقتل مقدم المسجد، وتمنع أتباعي من الصلاة أنت لا تستحق إلا ان تكون إمراة، فأخذ حاكم مدينة الجزائر يتوسل للولي سيدي أحمد التيجاني أن يرده رجلا وسيتوب ويتنازل عن فعلته، وفور إستيقاظه أرسل المبعوثين محملين بالهدايا؛ للولي الصالح يطلب السماح ويجعل نفسه خادما للتيجانية ففرح سدي أحمد التيجاني، وأعطاه لقب المقدم مكان المقدم الذي أغتيل[2].

ومن الكرامات التي عرف بها سيدي أحمد التيجاني هي قصة الزنجي الذي قتل رجلا من العامة بمدينة، عند إقامته بمدينة فاس، فجاءه الناس يشكوه بفعلته، فنظر اليه الولي الصالح وقال له:" من قتل يهلك" فخر العبد الى الأرض ميتا جزاء فعلته[3].

ومن الكرامات التي ذكرهاعلي حازم برادة عن الولي صالح سيدي أحمد التيجاني، هي المكاشفة، وفهم العلوم الغامضة، وتفسيره للقرآن والسنة وتعدد التأويلات، والمطالعة والذكر والإملاء في مجلس واحد وفي وقت واحد، بدون أن يلهيه أي أمر عن الآخر[4].

6.3-الصراع التيجاني مع الدولة العثمانية:

يصف"P.J André "عن سيدي أحمد التيجاني، أنه نال درجة من النفوذ والهيبة والهبة[5] وهذا ما أكده "René Pottier " أنه اقلق السلطات العثمانية[6]، لدرجة أن باي وهران أرسل له

[1]-Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux Chez Les Musulment De L'algerie, Imprimerie De A.Guyot, Imprimeur Du Roi, Geuxiéme Edition, Paris, 1846, P132

[2]- Ibid, P132.

[3]- Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux, Op.Cit, P136.

[4]–علي حرازم برادة، مصدر سابق، ص395.

[5]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes, Op.Cit, P291.

[6]-René Pottier, Histoire Du Sahara, Nouvelles Editions Latines, Paris, 1947, P221.

يطلب منه غرامة سنوية جد عالية سنة 1783م وهذا لفرض الرقابة على القصر التيجاني بعين ماضي بدفع ضريبة قاسية والتي قبل سيدي أحمد التيجاني بدفعها[1]؛ لكن بعد صراع مرير وأخذ رد بين السلطة العثمانية وسيدي أحمد التيجاني انتهى الأمر بشكل ودي[2].

وعن ظهور مجموعة منشقة من الطريقة التيجانية أطلقت على نفسها "التجاجنة" يقول Marcel Simian " بأنها دخلت في صراع لا متناهي مع أتباع سيدي أحمد التيجاني، زاد من حدته المضايقات المتكررة للسلطة العثمانية لسيدي أحمد التيجاني، بضرورة دفع الضرائب التي كانت ترتفع كل مرة مما أجبر سيدي أحمد التيجاني ان يغادر بلده عين ماضي؛ الى مدينة فاس بالمغرب والتي لاقى فيها ترحيبا من طرف السلطان مولاي أسماعيل وعلماء المنطقة والذي خصص له قصرا ليقيم به ومجوعة من الخدم تسهر على راحته[3].

وفي سنة 1823م دخل أبناء سيدي أحمد التيجاني في صراع جديد مع السلطات العثمانية، بسبب عدم دفع الضرائب[4]، خاصة بعد إزدهار تجارتهم من خلال قوافل تماسين عين ماضي وتمبكتو[5]، ليهاجم مصطفى باي، باي وهران التيجانيين وألحق بهم هزيمة نكراء ليقرر محمد الكبير الانتقام، فطلب المساعدة من القبائل المجاورة: كأولاد نايل وعرب هاشم وهاجم باي وهران والذي كان له بالمرصاد خاصة وأن قبيلة هاشم خانته، وتحالفت مع باي وهران ليهزم جيشه ويقتل محمد الكبير ويدفن بمعسكر، لتنقل رفته لاحقا الى عين ماضي ويعاد دفنه بها حسب ما جاءت به رواية " L.Arnou "[6].

7.3-علاقات التيجانيين بفرنسا:

سبب العلاقات السيئة بين التيجانيين والدولة العثمانية، وبعدها الأمير عبد القادرالذي حاصرعين ماضي وقصفها، حيث رأى أبناء التيجاني أن الأمير عبد القادر قد دنس قدسية المكانفأقاموا علاقات جيدة مع الفرنسيين وحاربوا الى جوارهم؛ معتقدين من ذلك أن فرنسا هي اليد التي يحارب بها التيجانيون ضد من دنس أرض التيجاني، وأن تراجع الأمير عبد القادر

[1]- René Pottier, Histoire Du Sahara, Op.Cit, P222.
[2]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes, Op.Cit, P291.
[3]-Marcel Simian, Les Confréries Islamique, Op.Cit, P77.
[4]-L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, Op.Cit, P473.
[5]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes, Op.Cit, P292.
[6]-L.Arnou, Histoire De L'oualiSidi–Ahmed Et-Edjani, Op.Cit, P473.

ما هو إلا نتيجة لما فعله بهم، ففي اعتقادهم أن الله انتقم لهم عن طريق فرنسا حسب قول " Edoird De Neveu "[1].

في سنة 1871م وبينما تصاعدت المقاومات الشعبية، بين الجزائريين وقوات الاحتلال الفرنسي قام المرابط سيدي احمد بن محمد الصغير بن سيدي أحمد التيجاني، بالزواج من الفرنسية" اوريلي بيكار"* وحسب "Charles-André Julien " انه كان قد اتهم في العديد من المرات بالتآمر ضد فرنسا بتهمة محاولة الإطاحة بفرنسا وطرد الفرنسسين من الجزائر؛ وقد اثار قلق الحاكم العام أن ذاك وحوكم وسجن بفرنسا سنة 1870م الى غاية 1881-1880م حيث خرج بإطلاق سراح مشروط[3].

تزوج محمد الصغير"اوريلي بيكار" بمساعدة رئيس أساقفة الجزائر الكاردينال لافيجري حسب ما جاء به"René Pottier " ليتخلص من مضايقات فرنسا، فلم يكن هذا الاتحاد سعيدا فقط للزوجين، بل سهل لفرنسا عملية مد نفوذها عبر الصحراء ليعيدوا إحياء واحة عين ماضي بعد أن دمرها غزو الأمير عبد القادر[4]، وأنشأوا قصر"كوردان" والذي يبعد بسبعة كيلومتر عن عين ماضي؛ إذ ارادت زوجة التيجاني الفرنسية إنشاء واحة حيث قامت بحفر الآبار وزراعة الخضر وتربية المواشي. وعندما يحين وقت الزيارة الكبرى(الوعدة) فإن المردين يذهبون زيارة ضريح، سيدي محمد الصغير بعين ماضي ثم يتوجهون الى "كوردان" لزيارة شيخ الطريقة المرابط سيدي أحمد بنمحمد الصغير، ويعطونه الهبات (الماشية والحبوب والتمور، والأموال)؛ هذه الهبات التي كان لفرنسا نصيب منها[5].

وحسب"P.J André "أنه حتى بعد وفاة سيدي أحمد الصغير التيجاني، تزوج شقيقه سي البشير التيجاني حفاظا على العلاقات الجيدة التي جمعتهم بفرنسا[6]، لتكمل" اوريلي بيكار"

---

[1]-Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux Chez Les Musulment De L'algerie, Op.Cit, P143.

*- اوريلي بيكار: فرنسية من منطقة اللورين من أسرة غير معروفة والدها شرطي، دخلت الاسلام وتزوجت بسيدي محمد الصغير التيجاني وبعد وفاته تزوجت أخوه سي البشير التيجاني، تميزت بالذكاء والفطنة للمزيد ينظر:

-René Pottier, Histoire Du Sahara, Op.Cit, P222.

[3]- Charles-André Julien, Histoire De L'algérie ContemporaineDe L'istruction De 1870 Au Décclenchement De La Guerre De Libération(1954), Tome02, P27.

[4]-René Pottier, Histoire Du Sahara, Op.Cit, P222

[5]-Mathea Goudry, La Société Féminine, Op.Cit, P 31.

[6]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulman ,P.292

مشروعها لإنشاء واحة صغير عند نهاية سفوح جبال عمور؛ والتي كانت تحوي ينابيع عديدة لكن"Mathea Goudry " ترى أنه مع مرور الوقت أصبح قصر "كوردان" منسيا غزته الكثبان الرملية، وحلت عليه اللعنة بعدما سكنته المرأة الفرنسية، اذ لم ترسل مياه الصحراء الى مكة المكرمة كما كان من المفترض ان تفعل مثل بنت الخص*، والتي عملت فقط على خدمة هيبة فرنسا والطريقة التيجانية[1].

يرى"Marcel Simian"ان التيجانية تعد أحد الأخويات التي خدمت فرنسا بتفان ضاربا بذلك مثل على الحملة الفرنسية التي قادها الدوق "دومال"، نحو بسكرة وجبال الزيبان حيث توجه جميع البدو والرحل الى شيخ الطريقة التيجانية، بتماسين يسألونه عن التصرف الذي يجب إتباعه نحوه الغزاة فكانت إجابة الحاج علي: "إن الله هو الذي وهب الجزائر للفرنسيين؛ كذلك نجد سائر الأوطان (الدول) الأخرى تابعة لها، إن الله هو الذي يريد إن تسيرها لذا أبقو في سلام ولاتدعوا البارود يتكلم ضدهم، فلد غير الله أولئك الذين كانوا ذات يوم أسيادكم– يقصد العثمانيين–الذين لم يكن لديهم قانون آخر غير الاضطهاد، ولا حكم آخر غير العنف الذي جلب الألم والفوضى؛ لذا دعوا الفرنسيين يفعلون ما يريدون،على الرغم من أنهم غير مخلصين إلا أنهم سلكوا طريقا عادلا وحكيما يمكن أن يثمر بالخير على الجميع[2].

يؤكد "Marcel Simian " أن التيجانية بفرع عين ماضي، موالية للقضية الفرنسية وسمحت لطريقتها بالتقارب مع فرنسا، ولولا الهجمات المتكررة للاتراك العثمانيين والأمير عبد القادر، لما كان التيجانيون اليوم في صفنا، وهاذ ما ساهم بشكل كبير في زيادة شعبيتهم وجذب أتباعهم من ناحية أخرى سلوك قادتهم تجاه فرنسا وتعلقهم بفرنسا قد أفقد مصداقية الطريقة في أعين المسلمين الجزائريين وتوقف تطورها أمام الانظمة المنافسة مثل الخلواتية وخاصة السنوسية المتعصبين المتحمسين الذين لا يمكن ممارسة سيطرة فعالة عليهم؛ و الذي نتج عنه التراجع الظاهر للتيجانية بشكل كبير بالجزائر جعل النظام ينهارو هذا سؤسفنا لأن دعم التيجانية لفرنسا كان دائما لا يقدر بثمن بنسبة لنا[3].

[1]-Mathea Goudry, La Société Féminine Au Djebel Amour Et Ksel, Op.Cit, P 317.
[2]-Marcel Simian, Les Confréries Islamique En Algerie (Rahmania-Tidjanya), Op.Cit, P84.
[3]-Marcel Simian, Les Confréries Islamique En Algerie (Rahmania-Tidjanya), Op.Cit, P84.

وجاء في الأرشيف الفرنسي أن السلطات الفرنسية كانت تعلن الحداد في كل مرة يتوفى فيها أحد شيوخ التيجانية، وهذا ما إستحسنه خلفاء الطريقة حينها، حيث كانو يرسلون رسائل الشكر في كل مرة تقوم بيها الادارة الفرنسية بهذا الفعل[1].

4.سيدي الحاج عيسى:

1.4-نسبه:

وهو عيسى بن براهيم بن محمد وينتهي نسبه الى سيدنا الحسين إبن السيدة فاطمة عليها السلام زوجة سيدنا علي كرم الله وجهه وإبنة الرسول صلى الله عليه وسلم[2]

2.4-حياته ورحلته:

ولد سيدي الحاج عيسى في تلمسان سنة 1668م[3]، وهو ينتمي سيدي الحاج عيسى لعائلة مرموقة ب تلمسان، والده يدعى عيسى بن براهيم؛ ووالدته تدعى محبوبة إبنة سي الحاج بوحفص.من الشخصيات المهمة في قبيلة ولاد سيد الشيخ، فقد تمت دعوته الى الحياة الدينة أثناء فترته تواجده بالقبيلة، ليترك بعدها تلمسان سنة 1694م و من ثم إلى وهران مرورا بقبيلة الأحرار ليستقر في الأخير بقصر بن بوتة، و بعد فترة من الزمن اكتسب من ,خلال معرفته وتقواه، نفوذا وهيمنة كبيرا على القصور المجاورة؛ والعرب الرحل.الذين تجمعوا من حوله ليشكلوا قوة يدحرون بها غزوات القبائل المجاورة[4]، يحيث وصل الى مدينة الأغواط سنة 1698م بصفته مقدما للطريقة الناصرية، حيث استقبله سكان قرية "الحويطة" وسكان "جبال العمور" وسكان الأغواط بحفاوة ليتزوج بنتا من قصر بن بوتة[5]، إمرأة زنجية والتي تدعى مبروكة؛ والتي كان يحلف برأسها عندما يتجنب الحلف بإسم الله سبحانه وتعالى لقب سيدي الحاج عيسى بمول السبسي وهذا نسبة للغليون الذي كان يدخنه[6].

يعتبر سيد الحاج عيسى المؤسس الفعلي لمدينة الأغواط فقبل مجيئه لم تكن هذه المدينة سوى منطقة صحراوية تتناثر فيها قالبائل هنا وهناك[7]فبلدة الأغواط الجديدة، تعاني العديد من

[1]-A.N.O.M, Serie 16H/51, une Letre de sidi mahmoud ben sidi el-bachir ben sidi ahmed Attidjani à Monsieur le chef commendent de Laghouat, 50 mai 1934
[2]-Emile Dermenghem, Le Pays De Laghouat Et Des Larbaâ, Op.Cit, P162.
[3]-E.Mongin, Note Sur L'histoireDe Laghouat, Op.Cit,P26.
[4]-E.Mongin, Note Sur L'histoireDe Laghouat, Op.Cit., P 26.
[5]-Emile Dermenghem, Le Pays De Laghouat Et Des Larbaâ, Op.Cit, P162.
[6]-Alexendre Joly, Saint Et Légende De L'islam, Rev..Af, N° 57, Edition Kraus Reprint, Alger, 1913,P 43.
[7]-Emile Dermenghem, Le Pays De Laghouat Et Des Larbaâ, Op.Cit, P162.

الصعوبات التي يجب التغلب عليها، قبل أن تكون على أسس متينة، والتي كانت تدخلات سيدي الحاج عيسى تمنع عنها الهجمات المتكررة من أعدائهم المقيمين بقصر العسافية؛ فلم يرفض هذا المرابط أي شيء لأتباعه. فدعى على سكان هذا القصر، فستجاب له الله وأرسل عليهم عاصفة هوجاء دمرت المنازل، لتزدهر مدينة الأعواط وتجد الأمن والأمان حسب " E.Mongin"[1].

3.4-وفاته:

توفي بمدينة الاغواط سنة 1737م[2] ودفن فوق الصخرة المركزية التي تعلو مدينة الأغواط حيث نجد ضريحه الموجود الى الآن[3].

4.4-كرامات سيدي الحاج عيسى:

وعن كرامات سيد الحاج عيسى يسرد "Cornail Trumlet " أنه في أحد الأيام كان سيدي الحاج عيسى في زيارة لكل من قصر جبال عمور الأحمر، وقصر البيوض الأبيض لتفقد حالهم لكن الليل داهمه،فلم يرد الرجوع لأهله ولا استعمال كراماته للعودة؛ بل أراد اختبار أهل القصور في مدى الكرم الذي أورثهم إياه.فتوجه لأهل قصر البيوض لكن لم يستقبله أحر لم يعروه أي اهتمام، و كذلك فعل أهل قصل العمور، لم يجد الولي الصالح سيد الحاج عيسى بدا من انتظار بزوغ الشمس تحت أوراق شجرة كان قد غرسها اهل المنطقة صدقة جارية وما ان حل الصباح حتى جاءت نساء قصور البيوض وقصور العمور للسقاية من "عين الطرفية" برفقة أطفالهم والتي كان بقربها الولي الصالح سيدي الحاج عيسى يقيم صلاته وما أن رآهم حتى وضع عصاه في منبع العين. ومن ثم رفعها ولوح بها الى السماء، لترتفع ماء العين معها وتدور فالسماء تحت أنظار نساء وأطفال القصور، ويدعوا الله عز وجل بصوت عال ان يسقط عليهم لعناته، وان انتهت تلك الزوبعة حتى جفت العين؛ وجفت وديانهم بعد أن كانت عامرة. وتنقطع عنها المياه الا ان جاد عليها المطر لكنها سرعان ما تجف، ولم يبقى من قصر العمور والبيوض الا الأطلال فقد تحطمت عن آخرها، فرحل عنها اهلها؛ بعد أن ندموا على سوء المعاملة.التي قابلوا بها الولي الصالح سيدي الحاج عيسى[4].

[1]-E.Mongin, Note Sur L'histoireDe Laghouat, Op.Cit, P26.
[2]-E.Mongin, Note Sur L'histoireDe Laghouat, Op.Cit, P 262.
[3]-Emile Dermenghem, Le Pays De Laghouat Et Des Larbaâ, Op.Cit, P162.
[4]-Cornail Trumlet, L'algérie Légendaire, Op.Cit, P114.

روت"ماتيا قودري" نفس الرواية التي جاء بها"trumlet Cornail " أن سيدي الحاج عيسى توجه الى الأغواط وأقام بين أولاد يعقوب الذين إشتكو من قبيلة لربعاء والذين كانوا معهم في نزاع لكن سيدي الحاج عيسى رافقهم في نزاعهم الأخير والذي كان فيه أولاد لربعاء أكثر قوة من ولاد يعقوب فدعى سيد الحاج عيسى الله سبحانه وتعالى بقول" يا ربي احفظ ولاد يعقوب من كل شر، وليكن اولاد لربعاء أحصنة وولاد يعقوب لجام لهم" ليتغلب ولاد يعقوب على ولاد لربعا رغم قوتهم وأضاف لهم سيد الحاج عيسى دعوة بقولهم" لن يأخذ إرثكم أحد ولو كان سلطانا، ولن يطرد أي مسكين؛ ولتكونوا كلكم أغنياء"وواصل قائلا" يا ربي إحفظ ولاد قاسم– وهم جزء من ولاد يعقوب–وأعطهم قطعانا من اغنم والجمال واجعله مطول الدهر أسيادا"لتتحقق النبوءة يصبح ولاد يعقوب"الصغارا" من أكبر أغنياء منطقة آفلو فامتلكوا اكبر قطعان الغنم والجمال في المنطقة[1].

وبخوص الأدعية الساخطة يذكر عنه"Alexendre Joly " على دوار "الرحامنة" والذين كانو يقطنون جنوب منطقة بوغار عندما إستاء من استقبالهم البارد له، لولا أن امرأة تدعى " عائشة الكحيلة" نبهتم، خرجوا وراءه يبغون رضاه محملين بالهدايا يرجون عفوه، فقال لهم" لكان ما منعكم العالي؛ نلوحكم للثلث الخال" وفي إشارة للسيدة التي جنبتهم سخطه قال لهم "تهلوا فيهم يا وليات الله" ومنذ هذه الحادثة فإن "الرحامنة" سكان بغار يخرجون سنويا ما يسمى "بماخضة البيت" وهي كمية من السمن المستخرج من لبن أغنامهم، يأخذ سنويا كدية لما فعله أسلافهم قديما[2].

5.4–علاقة أولاد سيد الحاج عيسى بفرنسا:

سنة 1837م عين الأمير عبد القادر الحاج العربي حفيد سيد الحاج عيسى خليفة على منطقة الأغواط حيث دخل في صراع مستميت ضد المدعو أحمد بن سالم أحد أعيان الأغواط وأحمد بن أحمد التيجاني(الإبن)، حيث قام هذا الأخير برفقة أحمد بن سالم بطرد الحاج العربي الى منطقة قصر الحيران، لتظهر هنا شخصية "عائشة بنت الميهوب" أو كما يناديها البعض "بمسعود" والتي لطالما تغنى بها شعراء مدينة الأغواط نظرا لبطولاتها الفتاة صاحبة الخامسة عشر من عمرها، حيث قامت هذه الأخيرة بالقفز من من على جدار القصر باستعمال حزامها ومجابهة العدو؛ والصراخ مستغيثة بشباب"قصر العسافية" بأن يقفو معها ضده، ولأنه كان من

[1]-Mathea Goudry, La Société Féminine Au Djebel Amour Et Ksel, Op.Cit, P322.
[2]-Alexendre Joly, Saint Et Légende De L'islam, Op.Cit, P21

الخزي أن تخرج مرأة من نساء القصر كاشفة لشعرها ووجها أثار حمية شباب"القصر" وتحت إمراة الحاج العربي هاجم مجموعة من الشباب مليشية الحاج بن سالم وسيدي احمد التيجاني الإبن التابع لفرنسا، ونزعو راية فرنسا ليدوسوها تحت أقدامهم حسب ما رواه" Emile Dermenghem "[1].

قامت فرنسا بتعيين الحاج العربي آغا على قبائل الأرباع، فقام أحمد بن سالم بتزويج إبنته من هذا الأخير، وتزوج الحاج بن سالم من أخته؛ ليتحالف "الناصر بن شهرة" مع الأمير عبد القادر ضد فرنسا، ليعين الجنرال"ماري مونج" بن سالم خليفة على منطقة الجنوب كلها.

ولكن الهدنة بين بن سالم وصهره لم تدم طويلا حيث دخلا في صراع حول الاراضي المخصصة لرعي سمي بصراع "العشابة" لتم إستدعاءه من طرف السسلطات الفرنسية الى بوغار، لكنه توفي في طريق العودة وخلفه إبنه "بن ناصر بن سالم" والذي كان في خلاف دائم مع سكان الأغواط الذين قامو بحبسه[2].

بعد صراع العشابة أحس "الناصر بن شهرة" بالتهديد من ليهاجم المراكز العسكرية الفرنسية بمنطقة الرويسات ومركز الخلافة بورقلة سنة 1845م، ويعود منتصرا الى الأغواط الذين إستقبلوه بحفاوة ورفضو إطلاق سراح "بن ناصر بن سالم" والذي أدخل "النصر بن شهرة" في صراع مع الحاكم العام "راندون" والذي قام بحملة عسكرية الى الأغواط أدت الى الإستلاء على بستان النخيل سنة 1852م ويستولي الجنرال باريل على المنطقة[3].

5.سيدي بنور:

1.5-حياته ورحلاته:

لم تأتي الكتابات الفرنسية على ذكر سيدي بنور إلا ما جا به"Emile Dermenghem " فلا يعرف عن سيدي بنور صباه، ولا حياته سوى أنه قدم من اليمن شرقا، ودخل الى الجزائرعبر الحدود التونسية، ومر على مدينة فرجيوة وترك بها ما يسم بحجر سيدي بنور وكان يتبع المذهب الإباضي وأسس مدينة بونورة بغرداية نسبة ال إسمه[4].

[1]-Emile Dermenghem, Le Pays De Laghouat Et Des Larbaâ, Op.Cit, P166.
[2]- Emile Dermenghem, Le Pays De Laghouat Et Des Larbaâ, Op.Cit, P166.
[3]- Emile Dermenghem, Le Pays De Laghouat Et Des Larbaâ, Op.Cit, P162.
[4]-Emile Dermenghem, Le Djbel-Amour, Sinthése De L'activité Algerienne,1 Janvier 1955-31، Décembre 1955, P199

2.5- تاسيس مدينة بونورة:

تأسست مدينة بونور سنة 1046م، على يد بني مظهر احد قبائل ورقلة وكانت تدعى قبل تسميتها ببونورة" مظهرانة" ،وفي سنة 1750م رحبت بقبائل مليكة النازحة من الصحراء وسمح له بني مظهر ببناء منازل ، إلا أن ظهرت الخلافات بينهم فطرد بني مظهر ولاد مليكة والذين لجأوا الة قصر العطف والذي تحالف بدوره مع قصر سكان غرداية وهاجمو "مظهرانة" وحطموه عن آخره[1] تأتي هنا أسطورة أخوة سيدي بنور "ولاد بنور" الذي يقال أنه بعد وفاة سيدي بنور توجهو رفقة جماعة من "بني ميزاب" المتوجهين الى غرداية وبني يزقن وهم من أعادوا بناء قصر "مظهرانة" وسمي ب "بونورة" نسبة الى ولاد بنور، لكن ولاد عبد الله ينسبون لأنفسهم إعادة بناء القصر بعد تحطمه[2].

3.5-أسطورة سيدي بنور:

ترتبط أسطورة سيدي بنور بحجر الزيت، وهو حجر يقع في سفح واد بوكريزة ببلدية فرجيوة، إذ تروي الأسطورة أنه مر من هذه المنطقة ولي صالح يدعى سيدي بنور وإبنه وكان اباضي المذهب، وتوقف ليرتاح فوق هذه الحجر ومن بركاته أن أصبح هذا الحجر يسيل بزيت الزيتون في الشتاء ودهن الغنم في فصل الصيف؛ والذي بفضله نمت أشجار الزيتون في حين سيدي بنور عبر منطقةليتركها جميلة بفضل بركاته[3].

4.5-الزيارة السنوية لسيدي بنور:

حسب "A.Berrugger " لا يوجد عن الإباضية ما يسمى بالوعدة، بل توجد زيارة سنوية مع بدايات فصل ربيع من كل سنة، حيث تقوم فئة قليلة من سكان "بونورة " الذين يقطنون بالعاصمة بالتوه لأعالي بوزريعة أين يقبع ضريح "سيدي بنور"[4]، ليقرأو عليه الفاتحة ومن ثم مغادرة المكان من دون أي ممارسات أو طقوس، وهذه الزيارة ما هي إلا تدبر وتفكر أن كل شخص مهما كانت درجته ومقامه عند الله عز وجل إلا، ومآله الموت.

---

[1]- Emile Dermenghem, Le Djbel-Amour, Op.Cit,P199.
[2]-E.Vallet, La Légende Du Ferdjioua Le Marabout De Sidi- Bennour, Imprimrie D.Braham, Constantine, 1918, P4.
[3]-Ibid ,PP02 -03-04.
[4]-A.Berrugger, les consuls D'alger, R.V-AF, N1, 1856, P28.

يعتبر سيدي بنور من الأولياء الصالحين، الذين احتفظت بهم الذاكرة الجماعية عند الإباضية، خصوصا في منطقة وادي ميزاب فقد عرف بورعه وتقواه، وأضحى رمزا للتدين الشعبي الذي يزاوج بين الالتزام بالمذهب الإباضي، ومكانة الولي في المجتمع.

ويبرز حضوره في المخيال الجماعي من خلال القصص والكرامات التي نسجت حوله وعلى رأسها أسطورة حجرة الزيت بفرجيوة التي عدت دليلا على بركته ومكانته الاستثنائية. إن استحضار شخصية سيدي بنور في الوسط الإباضي يعكس كيف حافظت الجماعات المحلية على رموزها الروحية باعتبارها جزءا من الهوية المذهبية والثقافية.

ثالثا.صلحاء الجلفة وبوسعادة

1.سيدي نايل:

1.1-نسبه:

وهو محمد بن عبد الله والملقب بسيدي نايل[1]، نسبة لسلالة ولاد نايل، والمنحدر من نسب مولاي إدريس الكبير، ابن عبد الله ابن ابوليث، ابن عبد الكريم ابن بن عامر، بن محمد، بن علي، بن عبد السلام، ابن ابو بكر، ابن حروز، ابن عيسى، ابن سالم، ابن مروان، ابن حيدر ابن عبد الله، ابن مولاي إدريس الثاني،ابن مولاي ادريس الأول،ابن عبد الله، ابن محمد، ابن الحسين، ابن علي زوج فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله، ابن هاشم ابن عبد المناف، ابن قصي، ابن كلب، ابن مرة، ابن كليب، ابن سنيت، ابن مدلب، ابنفهر ابن مالك، ابن نذير، ابن كنانة، ابن خزيمة، ابن مدقرة، ابن اللاس، ابن مضر، ابن نزر ابن معاذ، ابن عدنان[2].

1.2.حياته ورحلاته:

ولد سيدي نايل في فقيق[3] مع بداية القرن سادس عشر أي حواليسنة 1500م لعائلة من الشرفاء الأدارسة، ويعد سيدي نايل من أحد تلامذة سيدي بن يوسف الملياني وأحد ذبائحه*

[1]-Sidi Ali Hachlaf, Les Chorfa Les Noble Du Monde Musulment, Edition Original Arabe Et Traduction Française Publisud, France, 1995,P43.
[2]-Arnoud, Histoire Des Oulad Nail, La Revu Africaine,N16,1872, P330.
[3]-Arnoud, Histoire Des Oulad Nail,Op.Cit,P330.

استقر سيدي نايل في مدينة منداس، وبعدها الى الساقية الحمراء ويعين واليا عليها سنة 1517م[1]، وكان يتمتع بالقرب من حاكمه "حسن" بتقدير كبير بسبب صفاته الحسنة البارزة وولما اندلعت الحرب بين المغرب وتونس؛ فقام حاكم المغرب "حسن" بقيادة جيش كبير لغزو تونسي من جهة الجنوب، لكنه خسر في أول معركة بينه وبين الجيش التونسي وقتل، لينسحب بعدها سيدي نايل الى منداس، بدل العودة الى المغرب بجبل فليتا، يلتحق به بعد وقت قصير اهله من نساء وأطفال وشيوخ؛ لتخطف العيون سوداء لنسائه وبنات أخيه، قلوب سكان فليتا المتوحشين، عندما طلب منهم سيدي نايل بيعه القمح، قبلوا بشرط أن يعطيهم مقابله النساء والبنات فأنشد قائلا:[2]

عيش وذل معاه طول عيني ما تلمحه

بوبياضة والعز معاه خير من منداس وقمحه[3]

تابع سيدي نايل سيره بعد هذه الحادثة الى الجنوب، ليتوقف قليلا بالعتبة بالقرب من عين الريش (بالقرب من حدود الجلفة وبوصدة). القبائل التي كانت قبله في هذه المنطقة، لم تعارض توقفه والاستقرار بالقرب منهم؛ ليتابع بعدها سيدي نايل مسيرته يبحث عن أرض غنية بمواردها يتفحص هضبة "واد اللحام" حيث استقر بها[4].

يروي "Arnoud " أن سيدي نايل إستقرر بواد اللحم وقرر القيام برحلة الى الحج وترك مسؤولية عائلته بيد عبد المقرب منه إسمه مالك، ولأن سيدي نايل غاب لمدة طويلة دون أخبار أو جديد عنه، ظن أغلبهم أنه مات في رحلته؛ فقام عبده غير المخلص بإغواء أحد زوجاته ليعود سيدي نايل على غفلة ويجده معها[5]، فر صديقه ويترك وراءه زوجة سيدي نايل وأولادا منه، لماكان على سيدي نايل إلا الحكمة في التصرف، فبدل أن يعاقبها تقبلها وتقبل الأولاد على انهم أولاده؛ لأن الله رأى في ذلك ان هؤلاء الأولاد سوف يعمرون القبيلة ويخدمونها[6].

[1]-Emile Dermenghem, Le Pays Des Ouled-Nail, Documents Algériens, Sinthése De L'ativité Algerienne, 1janvier 1956-31 Décembre 1956, P271.

[2]–Arnoud, Histoire Des Oulad Nail,Op.Cit, P330

[3]-Arnoud, Histoire Des Oulad Nail,Op.Cit- , P330.

[4]–Arnoud, Histoire Des Oulad Nail, Op.Cit, P 331.

[5]– Arnoud, Histoire Des Oulad Nail, Op.Cit, P333

[6]– Arnoud, Histoire Des Oulad Nail, Op.Cit, P333

بينما يقول "Emile Dermenghem " في صدد هذه الرواية أن سيدي نايل لم يغب سوى سنة أو أكثر بقليل عكس الروايات التي تقول أنه تركهم لأزيد من خمس سنوات، وترك وراءه ثلاثة أبناء من زوجته شليحة، وعند مغادرته فإنه ترك معهم خادمه"ماليك"؛ لكن عند عودته وجد زوجته في حضنها إبنا لم يتجاوز شهر وهو الذي تركها منذ سنة ولم تكن حاملا، لكن عند سؤاله عن خادمه قيل له أنه هرب بعد مجيئه بقليل، ففهم سيدي نايل ما حدث ولم يعاقب زوجته، بل ضم هذا الطفل لأولاده وسماه ماليك بن نايل لعل ستره لمثل هذا الفعل يدخله الجنة[1].

لكن سيدي علي حشلاف نفى هذا الأمر وذكر في كتابه "les chorfa" أن سيد نايل أولاده من صلبه وعدا ذلك كذب وافتراء، وذكر أن ذريته من صلحاء عرفوا بتدينهم ومصاحبتهم للعلماء وعرفو بحبهم للعلم ولهم مزارات وأضرحة يتبرك بها سيدي محمد بن عبد لرحمان دفين الحضنة بواد الشعير والشيخ الشريف بن الأحرش حيث أنه كان عالما عارفا بالله والذي ينتهي نسبه الى سيدي نايل وليس إلى غيره، وسيدي عبد الرحمان بن سليمان المشهور بنعاس والذي تتواجد زاويته وضريحه بدار الشيوخ، وسيدي مجبر دفين البليدة[2].

فلا يعقل على ولي صالح مثل سيدي نايل والذي كان يصلي وسط الوحوش، ويرى الرسول في منامه، صاحب كتاب الطرائف السنية وكتاب الأحوال الربانية وهو شرح كامل للقرآن[3]؛ أن يكون قد نسب إليه أبناء زنا وإن كانوا فليس من صفات أبناء الزنا الولاية كما هو مخصص في شروطها.

أنجب سيدي نايل أربعة أولاد وهم: أحمد، زكري، ويحيى ومماليك لكن أحمد توفي ولم يترك اولاد ليتفرع من أولاده قبائل فمن ابنه زكري تفرع نها ولاد زكري واولاد حركات وولاد رابح وأولاد رحمان، وأولاد أحمد، والذين نجدهم الآن ببسكرة بقي منهم أولا خالد بالجلفة أما أولاد يحي فتفرع منها اولاد عيسى الشراقة ببوصدة، والغرابة بالجلفة وولاد الساسي ببسكرة وولاد فروج ببوصدة.أما ابنه مالك فقد أنجب ابنا واحدا وهو سالم والذي تفرع من نسله قبائل: أولاد يحي بن سالم وأولاد سعد بن سالم والذين نجدهم بالجلفة[4].

[1]-Emile Dermenghem, Le Pays Des Ouled-Nail, Op.Cit, P271.
[2]-Sidi Ali Hachlaf,Op.Cit, P44.
[3]-Sidi Ali Hachlaf, Op.Cit, P42.
[4]–Arnoud, Histoire Des Oulad Nail,Op.Cit, P334.

3.1.وفاته:

عندما حضرته الموت طلب من أهله دفنه على حافة "واد اللحم"، في المكان المسمى الآن حمادة سيدي نايل[1].

4.كراماته:

الولي الصالح سيدي نايل من "الشرفة" اي ان نسبه ينحدر، من السيدة فاطمة عليها السلام، بنت الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وهذا ما جعله من أولياء الله المقربين.وبعد وفاته فإن كل من يدفن بجوار الولي الصالح حسب "Emile Dermenghem "، فإن الأرض تلفظه من دون ترك اي أثر أن القبر نبش، ولم يقبل الولي الصالح الا الأطفال الصغار الذين لم يقوموا بالخطايا ليدفنوا بجواره[2].

كما نذكر من كراماته حسب نفس الكاتب، هو رؤيته آثام الناس من حوله، كما كان يرى الناس التائبين المستغفرين من خطاياهم خاصة من قامو باللواط والزنى وقتل النفس التي حرم الله، ومن إتهم زوجته زورا، فكان هؤلاء الآثمون يشعرون بثقل ما فعلوه بعد الندم وماكان عليه إلا التوجه لهم ونصحهم بالإكثار من الإستغفار ليغفر الله لهم[3].

5.الزيارة الكبرى لسيدي نايل:

بما أن سيدي نايل قد دفن بمنطقة واد اللحم الواقع بالولاية المختلطة سيدي عيسى (مسيلة حاليا) فإن ضريحه أصبح مهجورا وأهمل أحفاده جدهم الأكبر حيث أنه نادارا ما يزار قبره خاصة مع نهاية القرن التاسع عشر، وأصبحت الزيارة الكبرى تأدى الى أحد أحفاده الذي عرف بعده بالصلاح، وهو سيدي عبد الرحمان بن سالم بن ماليك، بن نايل؛ حيث يوجد ضريحه بولاد سيدي محمد الواقع بواد الشعاير طريق بوسعادة ولاد جلال[4].

6.علاقة أولاد نايل بفرنسا:

عند بداية الإحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، فإن البغا الذي كان يشرف على جمع الضرائب على هذه القبائل عاد الى بايلك التيطري، أما ولاد نايل فقد ظهر في وسطهم شخص أسمى نفسه "بسيدي موسى بن الحسن"، وهو من أصول مصرية ومن المتصوفة يتبع الطريقة

[1]-Arnoud , Histoire Des Oulad Nail,Op.Cit, P 331.
[2] – Arnoud, Histoire Des Oulad Nail, Op.Cit, P334.
[3]-Emile Dermenghem, Le Pays Des Ouled-Nail, Documents Algériens, Op.Cit, P271.
[4]- Emile Dermenghem, Le Pays Des Ouled-Nail, Documents Algériens, Op.Cit, P271.

الدرقاوية؛ جاء أولا الى مدينة الأغواط ومن ثم نصب نفسه نبيا مرسلا من عند الله وأنه أرسل الى ولاد نايل كي يحاربو الأمير عبد القادر الذي لم يرضى بالقضاء والقدر. وكان أمر هذا مدعي النبوة بإيعاز من السلطات الفرنسية حيث أن مقاومة ولاد نايل ضد الأمير عبد القادر حينها مولتها السلطات الفرنسية، إلا أن الأمر لم يدم طويلا وإستطاع الأمير عبد القادر أن يسيطر على كل من ولاد نايل الغرابة والشراقة ونصب عليه ستتة مشايخ تحت إمرة "سي عبد السلام بن قندوز" أما ولاد الغويني في الشرق فقد نصب عليهم"سي شيف بلحرش" إبن أخ "سي عبد السلام بن قندوز"، أما"موسى بن الحسن" فقد فر الى جبال مسعد سنة 1835م؛ وطارده الجنرال"ماري مونج" الى متليلي ثم إتجه الى واحة الزعاطشة سنة 1847 حيث غابت أخباره هناك وقيل أنه عاد الى مصر بعد أن إستولى على الأموال التي مولته بها السلطات الفرنسية[1].

بعد توقف مقاومة الأمير عبد القادر، لم يبقى للشيوخ الذي نصبهم الأمير سلطة عليهم، فتحالفو مع السلطات الفرنسية، فإستقبلو الجنرال "ماري مونج" أحسن إستقبال، ليقلد بعدها "أحمد بن سالم حاكم مدينة الأغواط خليفة على منطقة الجنوب كلها سنة 1850م[2].

2-سيدي بلقاسم الهاملي:

1.2-نسبه:

هو أبو عبد الله محمد بن ابي القاسم بن ربيح بن محمد بن عبد الرحيمبن سائب بن منصور بن عبد الرحيمبن أيوب بن عبد الرحيم بن علي بن رباح بن أحمد بن عبد الرحيم بن عبد الكريم بن موسى بن عبد الرحيم بن عبد الله بن أبو زيد بن علي بن مهدي بن صفوان بن موسى بن سليمان بن يسار بن سليمان بن موسى بن عيسى بن محمد بن عيسى بن ادريس الأصغر بن إدريس الاكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن السيدة فاطمة رضي الله عنها إبنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو من أحفاد سيدي بوزيد دفين سيدي بوزيد بآفلو والذي ينتهي نسبه لآل البيت[3].

[1]- Emile Dermenghem, Le Pays Des Ouled-Nail, Documents Algériens, Op.Cit, P274.
[2]-Emile Dermenghem, Le Pays Des Ouled-Nail, Documents Algériens, Op.Cit, P275.
[3]- عبد المنعم القاسم الحسني، زاوية الهامل، مسيرة قرن من العطاء والجهاد(1862-1962) دراسة سوسيو-ثقافية تاريخية، دارالخليل للنشر والتوزيع، المسيلة، 2010م، ص88.

2.2.حياته ورحلاته:

ولد سيدي بلقاسم الهاملي سنة 1823م بمدينة سيدي بحبح، ينتمي إلى قبائل ولاد نايل، عاش وسط بيئة دينية محافظة، شكلت الإطار الأول لتكوينه الروحي والعلمي[1]؛ تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه حيث حفظ القرآن الكريم ودرس مبادئ الفقه والتصوف.

لينطلق في رحلات علمية نحو عدد من الزوايا الكبرى في وسط الجزائر، كان من أبرزها زاوية سيدي احمد التيار وزاوية سيدي سعيد بن ابي ابي داود، اللتان اشتهرتا في تلك المرحلة ببعدهما التعليمي والروحي، وخلال هذه الرحلات، تلقى الاجازة في الطريقة الرحمانية، التي كانت آنذاك إحدى أهم الطرق الصوفية ذات الامتداد الشعبي والروحي الواسع[2].

بعد عودته الى مسقط رأسه، استقر سيدي بلقاسم في قرية الهامل، حيث شرع في تاسيس زاوية صغيرة تحولت خلال سنوات قليلة الى مدرسة دينية وصوفية كبرى تستقطب الطلبة من مختلف جهات الجزائر وحتى من مناطق المغرب الاوسط[3].

تميزت شخصية سيدي بلقاسم بمزج صارم بين الزهد الصوفي والتنظيم العلمي، ما جعل زاويته نموذجا في الجمع بين التربية الروحية والتعليم الديني، مع الحفاظ على الاستقلالية التامة عن الادارة الاستعمارية رغم الضغوط الإدارية المتزايدة بعد منتصف ال قرن19م[4]؛ وبفضل هذه الرحلات والتجارب استطاع أن يكون شبكة من العلاقات العلمية والروحية داخل المجال المغاربي وأن يرسخ نهجا صوفيا مالكيا قائما على الانضباط والمجالسة العلمية، لا على الخوارق والكرامات وحدها.

3.2.وفاته:

توفي في 30 من جوان 1897م، حسب مراسلة، أرسلها الشيخ "محمد بن الحاج بن محمد بن ابي القاسم" الى سيد الحاكم العام لدائرة بوسعادة[5].

---

[1]–عبد الرزاق بن سعيد، زاوية الهامل:تاريخ ورمزية، منشورات جامعة المسيلة، 2018م، ص21.

[2]-Octave Depontet Xavier Copolani, p173.

[3]–عبد الرزاق بن سعيد، مرجع سابق، ص25.

[4]-Nora Lafi, esprit civique et organisation sociale dans l'algerie colonial : le cas des des zaouïa, revu des monde musulment et de méditerranée, n113, 2006, pp 127-130.

[5]-A.N.O.M -2U22, Succession de Lalla Zineb, une letre de cheikh mohamed ben al-hadj ban mohamed ben belkasem au gouverneur général du district de ou saada, 03 join 1897.

4.2.كراماته:

ومن ما رواه الفرنسيين وما راته أعينهم يذكر" Alexendre Joly "، أن سيدي بلقاسم الهاملي أوقف القطار من أجل أداء صلاته، وأن من كان سائقا للقطار أرد أن يقلع من دونه؛ إلا أن القطار أبى أن يسير. ولا حتى أن يطلق صافرته حتى لا يزعج سيدي بلقاسم أثناء تأديته لصلاته، وان العديد من الفرنسيين كانوا يخافون من لعنته، والتي كان يطلقها لكل من لا يصغي له[1].

5.2-علاقة زاوية الهامل بالسلطات الفرنسية:

أولت الإدارة الاستعمارية اهتماما خاصا بمسألة خلافة الشيخ محمد بن بلقاسم عقب وفاته عام 1897م، لما لذلك من تأثير على التوازن الاجتماعي. فقد شهدت الزاوية تنافسا حادا بين أقارب متنافسين حول خلافته، بين إبنته "لالة زينب"* وإبن أخيه الشيخ محمد بن الحاج بن محمد بن بلقاسم، ولكن رغم المراسلات التي أرسلها الشيخ محمد بن الحاج الى فرنسا يشكو " لالة زينب" إلا أن السلطات الفرنسية لم ترد التدخل، وفظلت حل الأمور بشكل ودي موجهة له نصيحة إستعمال العقل والملاطفة لا شدة والقهر[3].

توالت مراسلات حول أحقية المشيخة بزاوية الهامل للسلطات الفرنسية، لإستلام "مقدمية" الزاوية بدل "لالة زينب"، وهذه االمرة راسل الشيخ براهيم بن الحاج بن محمد بن بلقاسم اخ اشيخ

---

[1]-Alexendre Joly, Saint Et Légende De L'islam, Op.Cit, 1913, P25.

*-لالة زينب بنت بلقاسم الهاملي (1850 – 1904م) هي شخصية صوفية جزائرية بارزة، وابنة الشيخ بلقاسم الهاملي مؤسس زاوية الهامل بالمسيلة. نشأت في بيئة دينية وروحية جعلتها تحظى بمكانة خاصة بين أتباع الطريقة الرحمانية؛ بعد وفاة والدها سنة 1897م، تولّت زينب قيادة الزاوية في فترة حساسة تميزت بضغط الاستعمار الفرنسي على المؤسسات الدينية، فأظهرت حكمة وحنكة سياسية مكنتها من الحفاظ على استقلالية الزاوية واستمرار دورها التعليمي والاجتماعي، عُرفت بفصاحتها وصلابتها في مواجهة محاولات الإدارة الاستعمارية التدخل في شؤونها، وظلّت مثالًا للزهد والعبادة وخدمة المجتمع، توفيت سنة 1904م ودُفنت في زاوية الهامل، ولا تزال سيرتها رمزًا لمكانة المرأة الجزائرية في التاريخ الروحي والوطني. ينظر:
-عبد الرحمان الجيلالي مرجع سابق، ص ص 408-410.

[3]-A.N.O.M -2U22, Succession de Lalla Zineb, une letre du gouverneur général du district de ou saada au cheikh mohamed ben al-hadj ban mohamed ben belkasem .09 mai 1903.

الهاملي بعد أن لجأ الى القضاء، لكن السلطات الفرنسية لم تتدخل وهذا مادامت "لالة زينب" لا تشكل خطرا عل سلطات الفرنسية بمدينة بوسعادة[1].

وحسب لأرشيف الفرنسي أنه بعد وفاة "لالة زينب"، نقلت المشيخة الى إبن عمها الشيخ محمد بن الحاج، إلا أن إرادات الزاوية قد نقصت، فالزاوية تأوي الطلبة وتقدم الدروس، وتستقبل المسافرين، فقام شيخ بزيارة للمناطق التابعة للزوايا قصد جمع الأموال، إلا أن سنة 1910م كانت سنة قحط، بسبب الجليد الذي تسبب في موت والمزروعات، إلا أن شيخ الزاوية لم يجمع ما يكفي فطلب الإعانة من السلطات الفرنسية والتي لم تستجب لطلبه[2]، ولهذا رشحت السلطات الفرنسية شيخ براهيم بن الحاج محمد، أخ شيخ بلقاسم الهاملي لرتبة "قايد" وهذا بطلب منه[3] لكن الوالي العام قد رفض هذا الطلب لأنه رأى أن السلطة الإدارية لا تجتمع مع السلطة الدينية[4].

رابعا: صلحاء الجنوب الغربي الجزائري.

1-سيدي سليمان بن بوسماحة.

1.1.نسبه:

هو سليمان ابن بلحيا ابن ابي ليلى عيسى بن معمر بن سليمان العاليا البوبكري الصديقي والذي يرجع نسبه االى سفيان بن محمد بن ابي بكر رضي الله عنه[5].

2.1.حياته ورحلاته:

ولد سيدي سليمان بوسماحة ببني ونيف(بشار)[6]، إلا ان أصوله الأولى تعود الى تونسحيث سكن أجداده الأوائل، وأن والده سي محمد بن سليمان العلي، والذي يتواجد ضريحه

[1]-A.N.O.M -2U22, Succession de Lalla Zineb, une letre de Brehim ben al-hadj ban mohamed ben belkasem à Monsieur le gouverneur général du district de ou saada, 07 decembre 1905.
[2]-A.N.O.M -2U22, Succession de Lalla Zineb, une letre de mohamed ben al-hadj ban mohamed ben belkasem à Monsieur gouverneur général du district de ou saada, 28 join 1910.
[3]-A.N.O.M -2U22, Succession de Lalla Zineb, une letre du gouverneur général du district de ou saada au cheikh mohamed ben al-hadj ban mohamed ben belkasem .01 janvier 1911.
[4]-A.N.O.M -2U22, Succession de Lalla Zineb, une letre de Monsieur gouverneur général du district de bou saada à monsieurle génral commandant la division, 04 fevrier 1911.
[5]– مولاي محمد، استمرارية مقاومة الشيخ بوعمامة، جمعية الجغرافيا وعلم الآثار لوهران، نشرة خاصة حول مؤوية بوعمامة، مطبعة إبن خلدون، 1982–1981م، تلمسان، ص102
[6]– المرجع السابق، ص101

بنواحي معسكر–واد العربوات– بعد أن فر من تونس سبب إضطرابات دينية من الممكن ان يكون المحرض عليها، حيث غادر تونس في القرن الرابع عشر بإتجاه بشار تحت إسم "البوبكرية" أين يستم تأسيس قبلة أولاد بوبكر والذين بقي منهم العديد في تونس والذين سيجبرون هم أيضا في ترك أراضيهم والإتجاه الى القطاع الوهراني؛ ويشكلوا قبائل العكرمة وقبائل طرافي وولاد زياد والخزاينة أو القزاينة أين نجد أن هذه القبائل تتمركز على كامل الشمال والجنوب الغربي الجزائري[1].

إلا ان خليفة بن عمارة يشير في كتابه" السيرة البوبكرية ج1»، إن الذي جاء أولا الى الجزائر هو "سي معمر بن عليا"* والد سي سليمان بن بوسماحة وليس "محمد بن سليمان العلي" وهذا على إثر خلاف عائلي بينه وبين أخيه"عقبة" زعيم قبيلة "البوبكرية" حينها، وفي روايات أخرى على إثر خلاف بينه وبين أخيه" سي محرز"؛ بسبب دعمه للمتمردين وبدل العقاب إختار المنفى إذن فهو الجد الاول لأولاد سيد شيخ الذي قدم من تونس[3].

لا تتوفر معلومات عن طفولة سيدي سليمان بن بوسماحة سوى أنه غادر الجزائر متجها الى الاندلس عندما أصبح شابا ليدرس بغرناطة، ولكن عندما إستولى عليها الإسبان سنة 1492م شد الرحال مرة أخرى الى الجزائر ليلتقي سيدي أحمد بن يوسف، ويتعلم على يده

[1]- Kamel Filali, L'algérie Mystique Des Marabouts Fondateurs Aux Khwân Insurgés 15-19 Siècle, Edition Publisud, France, 2002, P39.

*– إسمه الكامل معمر بن سيمان المعراج أبو العالية المولود حوالي1330مالموافق ل 731ه في نواحي تونس، هاجر من تونس سنة 1370م(772ه) واقام في ضواحي "ربا" منطقة فيي الجزء الشرقي من الجنوب الغربي الجزائري الحالي، حوالي 1382م(784ه) هذا الرجل الذي كان جد البوبكرية توفي سنة 1420(822ه) عرف بإقدامه وإصلاحه الديني وتأسيس المذهب المالكي وسط الخوارج. للمزيد عن هذه الشخصية أنظر:

–خليفة بن عمارة، سيرة البوبكرية (أجداد ولاد سيدي الشيخ) ق 14–15–16، تر: محمد قندوسي، مكتبة جودي مسعود، الجزائر، 2002، ص33

3– خليفة بن عمارة، سيرة البوبكرية (أجداد ولاد سيدي الشيخ) ق 14–15–16، تر محمد قندوسي، مكتبة جودي مسعود، الجزائر، 2002، ص ص 13–14.

علوم القرآن والحديث ويعود بعدها الى منطقة العين الصفرا[1]؛ ليمتهن سيدي سليمان بوسماحة مهنة الرعي في قصور العرباوة في حماية جده سيدي معمر بن سليمان بن عليا[2].

خلف سيدي سليمان بن بوسماحة ولدين وبنت وهم على التوالي:

-سيدي محمد وهو والد عبد القادر الملقب" بسيد الشيخ" والذي إستقر بمنطقة الشلالة الضهرانية بمنطقة البيوض، وتزوج لالة شريفة إبنة سيدي علي بوسعيد والتي كانت هي الأخرى من الشرفة والتي ينتهي نسبهم الى سيدة فاطمة إبنة الرسول صلى الله عليه وسلم

-احمد المجذوب والذي أستقر بالعين الصفراء.

-لالة صفية والتي كانت سيدة قصر صفيصيفة والتي لم تتزوج طوال حياتها ماتت بالمقربة من منطقة البيوض بمكان يدعى تيوت[3].

3.2.مؤلفاته:

شرح على مختصر الصغرى للنساء والعوام[4].

4.2.وفاته:

توفي سيدي سليمان بوسماحة سنة 1539م ودفن ببني ونيف ببشار[5].

5.2.كراماته:

إعتاد سيدي سليمان بن بوسماحة العودة الى قريته مساءا برفقة قطيعه، وبغرض النوم بعيدا عن الضجيج فإنه يلتجأ الى الريف و يحفر حفرة ليقضي فيها ليلته، لكن مجموعة من أطفال قصور عرباوة كانوا يقلقون نومه وتكرر الأمر لأيام تحت نظر أوليائهم الذين لم ينهروهم عن هذا الأمر ليغضب سيدي سليمان بوسماحةغضبا شديدا و يرمي عليهم لعنته(دعوة الشر) و التي تقضي بموت رجل وامرأة وكلب كل سنة بلدغة عقرب ولأن منطقة بوقطب التي يتواجد بها قصر "عرباوة" منطقة تكثر فيا العقارب فإن نبوءة تحققت فكل سنة كان يموت رجل و امرأة بلدغة عقرب، ليتجه سكان قصور عرباوة الى سيدي البشير المرابط التجاني، يشكونه

[1]- Kamel Filali, L'algérie Mystique Des Marabouts Fondateurs Aux Khwân Insurgés 15-19 Siècle, Edition Publisud, France, 2002, P38.

[2]-Mathea Goudry, La Société Féminine Au Djebel Amour Et Ksel, Op.Cit, P232.

[3]- Kamel Filali, L'algérie Mystique, Op.Cit, P39.

[4]– مولاي محمد، استمرارية مقاومة الشيخ بوعمامة، جمعية الجغرافيا وعلم الآثار لوهران، نشرة خاصة حول مؤوية بوعمامة، مطبعة إبن خلدون، 1982–1981م، تلمسان، ص101.

[5]- Kamel Filali, L'algérie Mystique Des Marabouts, Op.Cit, P38.

اللعنة التي دعا بهافي حقهم سيدي بوسماحة لكن سيدي البشير لم يكن ليقف في وجه هذا الولي الصالح؛ وليخفف لهم من حدة اللعنةدعا بأن يموت منهم إما امرأة أو رجل و ليس الاثنين معا[1].

تناولت الكتابات شخصية سيدي سليمان بن بوسماحة، باعتباره أحد الرموز الروحية المميزة في الجنوب الغربي الجزائري، حيث ركزت على دوره في ترسيخ التصوف الشعبي وتعزيز نفوذ الزوايا، غير أن هذه الدراسات تعاملت معه في إطار عام، إذ اكتفت غالبا بإبرازه كولي صالح تحيط به الكرامات، دون التعمق في أدواره السياسية أو الاجتماعية الحقيقية داخل منطقته. ويكشف هذا الطرح عن منهجية فرنسية اتسمت بانتقائية واضحة، إذ كانت تهتم بالزوايا والشخصيات التي تؤثر مباشرة على التوازنات العسكرية أو السياسية، فيما حصر سيدي سليمان بن بوسماحة في بعده الروحي فقط.

ومن خلال ذلك يمكن استنتاج أن حضور هذه الشخصية في النصوص الاستعمارية لم يكن انعكاسا لدوره الكامل في المجتمع، بل صورة منتقاة تساير أهداف الإدارة الفرنسية في دراسة الصلحاء وإدراجهم ضمن إطار ثقافي وديني محض، بعيدا عن الأبعاد المقاومة.

2-سيدالشيخ:

1.2-نسبه:

عبد القادر بن محمد بن سليمان بن ابي سماحة بن أبي ليلى، بن عيسى بن أبي لحيا بن معمر بن سليمان بن سعد بن عقيل بن حافظ بن عسكر بن زايد بن عيسى بن حميان بن عقبة بن عيسى بن ثدي بن شبل بن حسن بن زيد بن اليزي بن طفيل بن الزغازي بن صفوان بن عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق[2]، حيث نجد ان الكتابات لفرنسية إكتفت بما يخص نسب والده الذي ينتمي الى نسب أبو بكر الصديق؛ والد السيدة عائشة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم وصديق الرسول صلى الله عليه وسلم[3]، والذي يقال أن أحفاد سيدنا أبو بكر

[1]-Mathea Goudry, La Société Féminine, Op.Cit, P232.

[2]- مجدوب موساوي، سيد الشيخ عبد القادر بن محمد-حياته و آثره- ، مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة1، العددالأول، جوان2022م، ص86.

[3]-Mathea Goudry, La Société Féminine, Op.Cit, P 317.

قد فرو من مكة المكرمة بعد الفتنة الى مصر ومنها الى تونس خلال القرن16، حيث دفن الأجداد الأربعة لسيد الشيخ بتونس[1].

ومن ناحية والدته السيدة شريفة ينتهي نسبها الى السيدة فاطمة الزهراء، ابنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم والتي ولدت سنة 1544م المواقف ل 951هـ، وتوفيت سنة 1615م الموافق لـ 1023هـ بمدينة ستيتن[2].

يعتبر "Font " في كتابه "En Algérie Les Ouled Sid Chekh "ولاد سيد الشيخ من الدرجة الثانية في طبقة النبلاء، كونهم لا ينحدرون مباشرة من نسل النبي صلى الله عليه وسلم فلم يطلق عليهم تسمية الشرفة، بل ينتسبون الى الخليفة أبو بكر الصديق الذي صاهر الرسول الله صى الله عليه وسلم؛ وزوجه إبنته عائشة رضي الله عنها لذلك يطلق عليهم البوبكريون[3].

ظل النسب الشريف الممتد إلى آل البيت، وخاصة إلى الحسن والحسين، يمنح مكانة عليا، لكونه يرتبط مباشرة بالنبي ﷺ ومن ثم كان الانتساب إلى أبي بكر الصديق؛ رغم مكانته كأول الخلفاء الراشدين وصاحبه في الغار.

تنظر الكتابات الفرنسية إليهم بدرجة أقل من الشرف هذا التصنيف لم ينبع من تقليل من قدر أبي بكر، بل من طبيعة البنية الرمزية للمجتمع التي جعلت الانتماء النبوي معيارا للوجاهة الدينية والاجتماعية، وقد استثمرت كثير من الزوايا والطرق الصوفية هذا البعد لإضفاء الشرعية الروحية على مكانتها، مما جعل الأنساب غير النبوية – حتى وإن ارتبطت بخلفاء كبار – أقل حضورا في المخيال الشعبي.

2.2-تسميته بسيد الشيخ:

لم يسمى سيدي عبد القادر بن محمد بسيدي الشيخ إلا بعد مماته، فحتى ضريحه لم يكتب عليه "سيدي الشيخ" بل " سيدي عبد القادر بن محمد"، وسبب تسميته بسيد الشيخ حسب الأسطورة أنه وبعد وفاة سيدي عبد القادر دفين البيوض؛ قد حفر بالقرب من ضريحه بئر ماء في سبيل الله، وكان يأتيه ناس المنطقة للسقي.

[1]-René Pottier, Histoire Du Sahara, Op.Cit, P223.
[2]-Mathea Goudry, La Société Féminine, Op.Cit, P 317
[3]-Font, En Algérie Les Ouled Sid Chekh, Imprimerie Et Librairie Militaires, Paris, 1891, P 5. .

ويروي"Victor Martin Colonieu " وفي هذا الصدد أنه في يوم ما كانت امرأة برفقة طفلها تملأ جرتها بالماء وإذا بطفلها يسقط في البئر، فصرخت " يا سيدي عبد القادر"، فخرج سيدي عبد القادر بن محمد من ضريحه وأمسك الطفل من يده، وجاء سيدي عبد القادر الجيلاني مولى بغداد لإغاثة المرأة وأمسك الطفل من رجله؛ وقاما بإخراج الطفل من البئر وسلماه لامه أمام مرأى من الناس، وقال سيدي عبد القادر مولى بغداد لسيد عبد القادر بن محمد دفين البيوض: من اليوم أنت سيد الشيخ وانا سيدي عبد القادرن "لا تغلط الناس فيا" وعاد سيدي عبد القادر مولى بغداد من حيث أتى[1].

3.2-حياته رحلاته:

ولد سيدي عبد القادر بن محمد المعروف باسم "سيد الشيخ" سنة 1544م، الموافق لـ 951هـ[2] وفي دراسة"C.Trumelet " 1530م[3]، ويعتبر مؤسس الطريقة الشيخية وقصروزاوية سيد الشيخ "بالبيوض" أو ما يسمى حاليا بالأبيض سيد الشيخ[4]؛ وفي دراسة"John Roney " بأنه ولد بمنطقة الفجيج بتاريخ 1545م الموافق لـ 950 هـ[5].

أظهر سيدي الشيخ علامات الولاية من صغره، فلم يكن يلعب كأقرانه بل أظهر حبا للصمت[6] وحب التأمل[7]، وحفظ القرآن والتذكر منذ نعومة أضافره إذ تتلمذ على يد أعرق المرابطين في المنطقة الشيخ "الحاج بن العامر"والذي أعطى الطفل بما يسمى "القبلة الصوفية"[8] أو بعبارة أخرى أنه نفخ في فمه ليعطيه البركة[9]؛ ونصح والده ان أن يجعله ينال مباركة المرابط الشيخ "سيدي محمد بن عبد الرحمان السهلي"[10]،الملقب بمول السهول[11]، من قرية سهلي بمنطقة البيوض، ليتتلمذ بعدها على يد العديد من الشيوخ منهم الشيخ عبد الجبار بمنطقة الشلالة والذي فاجاه وخافه بعض الشيء بسبب الكرامات التي كانت تظهر عليه، لينتقل بعدها

[1]-Victor Martin Colonieu, Voyage Au Gourâra Et A L'aougueroût(1860) ,Butin De La Société De Géographie, Septième Série, Tome 13, Parie, 1892, P53.
[2]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes, Op.Cit, P227.
[3]-C.Trumelet, Les Français Dans Le Desrt, Op.Cit, P82.
[4]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes, Op.Cit, P227.
[5]-John Roney, Les Sain De L'islam, Ancienne Revue Des Revues, Paris, N°70, 1907, P40.
[6]- John Roney, Les Sain De L'islam, Op.Cit, P41.
[7]- Kamel Filali, L'algérie Mystique Des Marabouts, Op.Cit, P39.
[8]-John Roney, Les Sain De L'islam, Op.Cit, P41.
[9]- Kamel Filali, L'algérie Mystique Des Marabouts, Op.Cit, P39.
[10]-John Roney, Les Sain De L'islam, Op.Cit, P41.
[11]- Kamel Filali, L'algérie Mystique Des Marabouts, Op.Cit, P39.

ويكمل تمدرسه على يد الشيخ "موسى الحسن الكرزازي"؛ مؤسس فرع الشاذلية الكرزازية بمنطقة قورارة والذي كان المثال الحقيقي للأستاذ الحكيم، والذي سينيره بمعرفته الى الطريق الحقيقية إله الله سبحانه وتعالى، فلقد كان بنسبة اليه الأب الروحي، ليقضي عبد القادر–سيد الشيخ– العديد من السنوات الى جانب شيخه واستوعب تعليمه وبناءا على أوامره غادر لزيارة جنوب وغرب المغرب العربي، وهو لم يتجاوز سن الخامسة عشر من عمره[1].

بدأ سيد الشيخ" السفر في هذه السن المبكرة جدا، حيث سافر اللى جمع أنحاء المغرب الغربي ودرس في سن ثماني عشر فيما يسمى "لمسيد"* ، ثم سافر الى الصحراء ينهل العلم من الصلحاء وقته[3]؛ حيث درس سيد الشيخ في زاوية سيدي محمدبن عبد الرحمان الساهلي تلميذ سيدي أحمد الملياني الراشدي سافر عبر توات وتافيلالت وأنشا زاوية مغار ثم البيوض والذي إشتهر من خلالها[4]سنة 1612م[5].

لم عبد القادر"سيد الشيخ" منجذبا للتدريسن بل غادر زاويته بغرض زيارة الاولياء وأضرحتهم ليبدأ بضريح" سيدي بومدين الغوثن ويمكث بجواره مدة من الزمن وينتقل الى مدينة ملياناتن ويقوم بإعطاء الدروس والخطب ف العقيدة الإسلامية بجوار ضريح سيدي احمد بن يوسف الملياني، ويكمل رحلته الى غاية مدينة قسنطينة ويعود بعدها الى منطقة البيوض أين كان أتباعه في إنتضاره[6].

وإطاعة لشيخه موسى الكرزازي تزوج سيدي عبد القادر بن محمد–سيد الشيخ–والذي شيئا فشيئا أصبح قبلة للزوار والمريدين في جميع أنحاء الجنوب، ليحضى أخيرا برؤية النبي صلى الله عليه وسلم بزاوية أمغار، ففي إحدى الليالي عندما كان يصلي؛ رأى فجأة السماء تنفتح أمامه وبينما غمر ضوء ناعم أفاقا من ضباب ذهبي، وفضي مقسوما بنوع من النجوم تسطع ببياض ناصع، ظهرت له كائنات قادمة من جميع الجهات بمسار مستقيم ليظهر من بينهم النبي صلى الله عليه وسلم ويقول له:" إن هذه هي الطريقة التي تدل بيها الناس، وإن الرجل الواقف هناك؛ هو نفسك" قال سيد شيخ أنه أراه رجلا يمشي بها في طريق من نور ومن

---

[1]-John Roney, Les Sain De L'islam, Op.Cit, P41.

*– المقصود بالمسيد هنا هي المدارس العليا كجامع الزيتونة بالقيروان.

[3]-René Pottier, Histoire Du Sahara, Op.Cit, P223.

[4]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes, Op.Cit, P237.

[5]- Kamel Filali, L'algérie Mystique Des Marabouts, Op.Cit, P39.

[6]- Kamel Filali, L'algérie Mystique Des Marabouts, Op.Cit, P39., P39.

ذلك الحين عرف عبد القادر–سيد الشيخ–ان لديه قوة أظهر من خلالها كرامات لينجح في كسب القلوب من خلال إبعاد الجراد الشره، والمدمرة عن محاصيلهم[1].

أصبح عبد القادر بن محمد بسرعة عالما ووليا صالحا[2]، كما ساعدته بلاغته وعدله وكراماته في سيطرة على قبائل الصحراء حيث كانت قوة السلاح هي المسيطرة حينها، فساهم في حل الخلافات بين القبائل المتعادية؛ وسرعان ما استقطب العائلات الهاربة من المناطق التي عاث فيها التعسف والفساد، لتعيش بالقرب من سيدي عبد القادر بن محمد الذي استطاع بفضل الله نشر العدل والمساواة بين الناس، وهذا مزاد في العدد المريدين التابعين له[3]، ليستقر نهائيا بمنطقة البيوض وبناء أول قصر بها ألا وهو قصر لبيض سيد الشيخ؛ ومارس سلطة معنوية ودينية كبيرة في الصحراء[4].

دخل سيد الشيخ في صراع ضد المسمى "المنصوري"* حسب "John Roney " والذي حذره بأنه يبتعد عن دروب الإسلام االسني الصحيح، بدعوته الى دين أكثر حداثة ولهذا الغرض ألف المدعو "المنصوري" كتابان للرد الى ما يدعو أليه عبد القادر بن محمد بعنوان: "السيف الحاد الذي يقطع حلق العبقري القوي والشرير" وكتاب آخر بعنوان "المنجنيق الساحق للأبنية التي أقامها الشيخ صاحب الخطأ الأعمى"[6]؛ حيث إتهم فيها سيد الشيخ بالكذب والزندقة وإثارة البدع بين الناس[7].

---

[1]-John Roney, Les Sain De L'islam, Op.Cit, P40.
[2]-Victor Martin Colonieu, Voyage Au Gourâra, Op.Cit, P53.
[3]- Victor Martin Colonieu, Voyage Au Gourâra, Op.Cit, P54.
[4]-Edouard Montet, Les Confréries Religieuses De L'islam Marocain, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1902, P45.

*–لم نجد في سيرة سيد الشيخ أنه دخل في صراع مع شخصية تدعى بالمنصور إلا أن كان قصدهم أنه دخل في صراع مع المنصور الذهبي وهذا أمر غير صحيح لانه حارب في عهده بجوار إبنه ضد الإسبان في هجماتهم المتكررة على المغرب الأقصى ووهران، بل أنه دخل في صراع مع صهره المدعو أحمد بن أبي المحلى. للمزيد عن سيرة سيد الشيخ المختصرة ينظر:

–مجدوب موساوي، سيد الشيخ عبد القادر بن محمد–حياته وآثاره، مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة1، العدد الأول، جوان 2022م، ص 81.

[6]-John Roney, Les Sain De L'islam, Op.Cit, P42.
[7]- Kamel Filali, L'algérie Mystique Des Marabouts, Op.Cit, P40.

ليرد عليه عبد القادر بن محمد منتصرا بتأليفه للقصيدة الصوفية المطولة في كتاب "اللؤلؤة"، والذي يعتبر رائعة من الروائع اللغة العربية، فلم يجد "المنصوري" إلا السكوت والعودة على ما جاء به في كتاباته[1].

إن الكتابان سابقا الذكر المنسوبان للمدعو"المنصوري"، والذي لم يحدد"John Roney" هويته، فإننا لم نجد لهم أثرا لا عبر محركات البحث، ولا في قوائم المكتبات التي زرناها فإما اعتمد المؤلف على روايات شفوية والتي ليست مبنية على حقائق صحيحة؛ أو أنه خطأ في الترجمة ونقل من العربية الى اللغة الفرنسية وبالتالي نقلها بشكل خاطئ.

تعبد سيد الشيخ في مكان ما تحت الأرض بزاوية البيوض وجعل منه خلوة، وعرف بعمله الخيري، والعدل والعمل بالقانون والدفاع عن المظلوم؛ والحكم السيادي لجميع القضايا وقدم مباركاته للكبار والصغار والأجانب والحجاج الذين كانوا يمرون بزاوية البيوض[2].

تدفق عليه الوافدون من كل حدب وصوب، ولم يعد دخله ولاعبيده على مقدرة من تحمل التكاليف والأعباء الكبيرة التي أصبح قصر "البيوض"، غير قادر على تحمل تكاليفها فأغدق عليه شيوخ القبائل المجاورة بالهدايا؛ والتي تمثلت في خدم جدد من العبيد البيض والزنوج وخصصوا له نوعا من "العشور" من منتجاتهم، فأصبح لقصر "البيوض" قطعانا من الأغنام والجمال ناهيك عما كان يصلها من أحبان وزبدة، وحبوب وفواكهة مجففة على سبيل الهبات والعطايا وهذه الثروة التي أصبحت بين يدي سيدي عبد القادر بن محمد، جعلته يفكر في مصير أبنائه بعد موته، وأن كل ما تقدمه القبائل سوف يستغلون بشكل سيء وهذا بعيدا عن توظيفها فيا هو خصص لها؛ ولربما حتى التنازع عليها بالسلاح ولذلك فكر بتحرير العبيد الذين كانوا تحت إمرته ليكلفهم بإدارة أموال القصر كما كانوا يفعلون أثناء حياته[3].

لم تعرف طريقته وأوراده إلا بعد وفاته إذ ترك الحكمة، والزعامة بيد ابنه الثالث[4]، سيد الشيخ الحاج بوحفص[5]؛ واوصى أبناءه الثماني عشر بإتباع قواعد الطريقة الشاذلية مع إضافة بعض الأذكار الخاصة به لمريديه وأبنائه[6].

---

[1]-John Roney, Les Sain De L'islam, Op.Cit, P42.
[2]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes, Op.Cit, P237.
[3]-Victor Martin Colonieu, Voyage Au Gourâra, Op.Cit, P54.
[4]-René Pottier, Histoire Du Sahara, Op.Cit, P219.
[5]-Mathea Goudry, La Société Féminine, Op.Cit, P P 318-319.
[6]- P.J André ,Confereries ReligeusesMusulmane, Op.Cit, P238.

أما إدارة أعمال الزاوية وتركته افأسندت الى خدام الزاوية العبيد الزنوج[1]، الذي قام بتحريرهم قبل وفاته[2]، وهذا حتى لا يغتر أبناءه بالمال فينصرفوا عن العبادة الى أهواء الدنيا لكن أحفاده والذين ورثوا الزعامة الروحية[3]؛ قد انقسموا الى ولاد سيد الشيخ الشراقة وولاد سيد الشيخ الغرابة، لتدخل زوايا سيد الشيخ في صراع دامي مع زاوية سيدي الحاج عبد الحكيم وسيدي الحاج بوحفص سنة 1829م، حول تخصيص الأتوات والقيادة الشيخية العامة للقبائل[4] وهذا ما توقعه سيد الشيخ قبل وفاته، ليتم الإتفاق لاحقا على تقسيم إيرادات الزاوية على ثلاث أقسام متساوية، قسم للزاوية وآخر للولاد سيد الشيخ لغرابة وقسم للولاد سيد الشيخ شراقة[5].

وصف"John Roney " في كتابه "Les Sain De L'islam " سيد الشيخ أنه كان جميلا جمالا يشع بنور ينجذب إليه كل من يراه، جمال يخص الله بالرجال الذين رسمهم الله بخاتمه كان وجهه أبيضا بعيون سوداء تومض أحيانا مثل البرق، كان له صوت متناغم ونافذ ذو تأثير؛ بحديث يريح الروح ويجلب الهدوء والثقة لطف نظره كان يريح البصرتميز بمظهر خارجي يوحي بالنبل بذوق بسيط يلبس عباءة وعمامة باللون الأبيض، ويحمل مسبحة من المرجان[6].

4.2.مولفاته:

ألف سيد الشيخ قصيدته وهي قصيدة صوفية طويلة، حيث تشكل كتابا كاملا سمي ب "الياقوتة"[7]، ومن مضمونها التركيز على مبادئه الصوفية التي اتبعها[8].

إن الذين اهتموا بالكتابة عن سيرته، وما وجدناه تناقلوه عن الكتابات العربية فقط أو عن السكان المحليين للمنطقة.

---

[1]-Mathea Goudry, La Société Féminine, Op.Cit, P 318,319

[2]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmane, Op.Cit P238

[3]-Mathea Goudry, La Société Féminine, Op.Cit, PP 318-319.

[4]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes, Op.Cit, P238.

[5]-René Pottier, Histoire Du Sahara, Op.Cit, P223

[6]-John Roney, Les Sain De L'islam, Op.Cit, P42.

[7]– للإطلاع على قصيدالياقوتة باللغتين العربية والفرنسية ينظر:

-Millad Issa, Al Ykouta Poéme Mystique De Sid Chikh(1533-1616), Entreprise National Du Livre, Alger,1986.

[8]- Mathea Goudry, La Société Féminine, Op.Cit, P 318.

5.2.وفاته:

عندما أحس عبد القادر بن محمد–سيد الشيخ–بدنو أجله، كان قد تجاوز سنه الثانية وسبعين من عمره كان في طريقه عائدا من وهران، طلب من أتباعه أن لا يدفنوه بالمكان الذي يموت فيه بل يغسل ويوضع فوق ناقة بيضاء؛ ويتركوها تمشي بحرية الى أن تبرك في المكان الذي يهديها الله إليه وما إن لفظ أنفاسه حتى تم تغسيله وإتباع وصيته[1].

دفن بمدينة ستيتن جنوب غرب مدينة وهران، والتي أخطاء "P.J André "، "بتسميتها بزلتين سنة 1630م[2]، أو سنة 1615م الموافق لـ 1023هـ[3]، والأصح أنه مات عن عمر يناهز 72سنة[4]؛ ونقل الشيخ على ظهر ناقته التي أوصى ان تترك للمشيئة لله، ليدفن بمنطقة الابيض[5]، حيث يوجد ضريحه حاليا.

وصف"John Roney " ضريح سيدي عبد القادر بن محمد –سيد الشيخ–بأنه زين من الداخل بمرايات وآيات قرآنية وزخارف على السقف، ضريحه مسقف بتابوت خشبية منحوت محاط برداء أخضر تحده أشرطة صفراء عريضة[6].

يلاحظ أن المصادر التاريخية، سواء المحلية أو الفرنسية، لم تفصل في ظروف وفاة سيدي عبد القادر بن محمد (سيدي الشيخ)، مكتفية بالإشارة إلى مكان دفنه ومقامه الروحي. كما أن الروايات لم تبرز له دورا مباشرا في صد الغزو الإسباني، رغم أن المرحلة التاريخية التي عاشها تزامنت مع احتكاكات كبرى بين القوى الأوروبية والسواحل المغاربية.

هذا الصمت أو التجاهل يمكن فهمه من زاويتين: الأولى أن الذاكرة الشعبية ركزت على بعده الروحي والكرامات أكثر من الجانب التاريخي . العسكري، مما جعل صورته ترتبط بالولاية والصلاح لا بالجهاد السياسي.

والثانية أن الكتابات الفرنسية الاستعمارية، وهي المصدر الرئيس في توثيق أخبار الأولياء، لم تكن معنية بتسليط الضوء على مشاركاتهم في المقاومة أو الصدام مع القوى الأوروبية، بل فضلت إبرازهم كزوايا روحانية معزولة عن الصراع.

---

[1]-John Roney, Les Sain De L'islam, Op.Cit, P42.
[2]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes, Op.Cit, P237.
[3]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes, Op.Cit, P227.
[4]- Kamel Filali, L'algérie Mystique Des Marabouts, Op.Cit P39.
[5]-Victor Martin Colonieu, Voyage Au Gourâra, Op.Cit, P54.
[6]-John Roney, Les Sain De L'islam,Op.Cit, P42.

وهكذا تظل سيرة سيدي الشيخ شاهدا على انتقائية الرواية الاستعمارية، التي أسقطت أبعادا جوهرية من أدوار الأولياء في التاريخ الجزائري

6.2.كراماته:

من كرامات الولي الصالح سيد الشيخ هو قدرته على الاختفاء، عندما يحاصره أعداءه وهو ما تشهد عليه واقعة "ثنية الزيار" التي يرويها "M-H.Lelong "والتي لازالت تحتفظ بآثار أرجل حصانه إلى اليوم والتي تعتبر مزارا حاليا[1].

كما يذكر من كراماته الطيران، والانتقال من مكان الى آخر بسرعة، إذ استنجد حجاج أصابت سفينتهم عاصفة هوجاء، فأسرع إليهم وحملها في الهواء وأخذها الى برالأمان؛ كما يذكر عنه إخافة أعدائه بشق الأرض دون إيذائهم فكان يرد فقط إخافتهم لا إراقة الدماء[2].

كما يسرد "John Roney "ان عبد القادر بن محمد–سيد الشيخ – لطالما حمى أتباعه من قريب أو بعيد، في حياته وحتى بعد مماته بيده أو عن طريق الوسيط، كل مريديه كانوا يهتفون باسمه ما إن يتعرضوا للخطر[3].

ليلة وفاته رأى أتباعه ضوءا ينير قبره، ليجدوا في الصباح أن هنالك قبة بنيت فوق ضريحه بجانبه واد من الح الحجر أصبح له الماء بينما كان جافا، تنامت على جانبيه شجيرات وحشائش لم تكن موجودة من قبل، فتأكد مريدوه أن ما رأوه لم يكن سوى الملائكة؛ عمت بركتها المكان فخضرت وتدفقت المياهأما القبة فلا يمكن حتى لجماعة من الرجال أن يبنوا قبة بهذا الحجم في ليلة واحدة[4].

إن الكرامات المنسوبة إلى سيدي الشيخ لا تفهم فقط في بعدها العجائبي كما تناقلتها الرواية الشعبية، والتي أرختها الكتابات الفرنسية، بل تكشف عن وظيفة اجتماعية وروحية عميقة. فهي تجسد صورة الولي الحامي والوسيط بين الناس والمقدس، وتمنح الأهالي شعورا بالطمأنينة والانتماء.

كما أن تداول هذه الكرامات في الذاكرة الجماعية يعكس حاجة المجتمع إلى الرموز التي تعزز التماسك وتؤكد استمرارية القيم الدينية في مواجهة التحولات السياسية والاجتماعية. وبهذا يمكن

[1]-M-H.Lelong.O.P, Le Sahara Aux Cent Visages, Edition Alsatia, Paris, 1943, P235.
[2]-John Roney, Les Sain De L'islam, Op.Cit, P42.
[3]- John Roney, Les Sain De L'islam, Op.Cit, P42.
[4]-John Roney, Les Sain De L'islam, Op.Cit, P42.

القول إن كرامات سيدي الشيخ شكلت وسيلة لإضفاء الشرعية الروحية على مكانته، وجعلت منه قطبا مركزيا في المخيال الديني للمنطقة.

7.2.علاقة مرابطي الزاوية الشيخية بفرنسا:

امتد نفوذ أولاد سيد الشيخ على كل جنوب وهران وقورارة وتافيلالت وجنوب المغرب واستسلموا لفرنسا سنة 1847[1]، أعطت الإدارة الفرنسية لسي حمزة سنة 1850م لقب الباش آغا إضافة الى ألقاب أخرى مثل الأغا، والقايد للبقية أعضاء الزاوية الشيخية[2]؛ ساعدهم سي حمزة في التغلغل الفرنسي في الجنوب،تودربوا القومية الذين جاؤوا لمساعدة القوات الفرنسية سنة 1871م اثناء التمرد في جنوب قسنطينة والاوراس (مقاومة المقراني) نجحوا في محاربة السنوسيين الذين جاؤوا لدعم المقراني[3].

ومع ذلك إذا ما عدنا الى سنة 1867م فإننا نجد الشيخ بوعمامة، والذي يعتبر سليل سيد الشيخ عبد القادر بن محمد، والذي كان مقدم زاوية مغار إذ استغل خلافات شيوخ الشيخية الداخلية لتوحيد ولاد سيد الشيخ المنشقين سنة 1881م؛ ويوطد فيهم كره المسيحية لتقوم المقاومة في الجنوب الوهراني ضد الفرنسيين، لتستمر إثنان وعشرون سنة ضد المحتل الفرنسي الى غاية 1904م[4]، وفي سنة 1933م ترك زعيم الزاوية الروحي سيدي العربي الزاوية، واستقر بالبيض للعمل كمستشار بلدي، وهذا لأنه كان رجلا مرحبا به ليترك زعامة الزاوية أولاد سيد الشيخ الشراقة الى سي الدين بن العربي مقدم الكبير لقلعة البيوض؛ وأولاد سيد الشيخ الغرابة لسي طيب العلجة من المغرب، لتتضاعف شرارة البركة وتحتل قلعة البيوض مكانة مهمة في عهد الباش آغا سي عبد القادر بن الدين[5].

الى جانب ذلك، تجد الدراسات الفرنسية تركز على "على ولاد سيدي الشيخ" وهي اتحاد قبلي واسع الانتشار في غرب وجنوب الجزائر، ينسب إلى نسبه الشريف، حيث جمع بين السلطة الروحية والنفوذ السياسي.

[1]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes, Op.Cit ,P238.
[2]-Mathea Goudry, La Société Féminine, Op.Cit, Pp318-319.
[3]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes, Op.Cit, P238.
[4]- P.J André ,Confereries Religeuses Musulmanes, Op.Cit, P238.
[5]-Mathea Goudry, La Société Féminine, Op.Cit, Pp318-319.

3-مولاي الطيب:

1.3-حياته:

لم نجد لهذا الولي الصالح معلومات تذكر حول ميلاده، او حياته سوى ان الطريقة الطيبية سميت بإسمه لأسباب مجهولة حسب ما جاء به "Edoird De Neveu "[1].

2.3-كراماته:

كما يذكر الكاتب ان الولي الصالح مولاي طيب تنبأ لأتباعه بالغزو الفرنسي، حيث قال لهم:"ستحكمون لاحقا الجهة الشرقية من هذا "لوطن" والذي سيكون ملكا لكم، ولكن قبل ذلك سيأخذها بني عصفور (الأطفال الصفر) –وكان المقصود من ذلك الفرنسيين–وسيكون هذا الوطن لهم بالأول، فوجب عليكم محاربتهم وسوف تسترجعونه لاحقا"؛ فعند الإحتلال الفرنسي للجزائر لم يكن أتباع الطريقة الطيبية مستغربين، أو خائفين من قدوهم فشيخهم قد أخبرهم بذلك من قبل وبالتالي لتتحقق نبوءته يجب عليهم أن يطبقوا أمره، وحتى تحين تلك اللحظة كان على الفرنسيين أن يراقبوا بحزم أتباع مولاي الطيب[2].

حقق مولاي الطيب في حياته كرامات عديدة، فلقد رد للعميان أبصارهم، وأمشى المصابين بالإعاقات بأرجلهم، وشفى الكثير من الأمراض بإذن الله؛ وسمي منزله الموجود بفاس "دار الضمان" اي المنزل الذي ينزل فيه كل من مر على الطريق[3].

إن المتأمل في سير الأولياء الصالحين في الجزائر، يلاحظ أن الكرامات المنسوبة إليهم تكاد تتشابه في مضمونها وإن اختلفت في تفاصيلها فهي غالبا ما تدور حول القدرة على شفاء المرضى، أو جلب الغيث، أو الحماية من الأعداء؛ أو التحكم في قوى الطبيعة.

هذا التشابه لا يعكس بالضرورة تطابق التجارب، بل يظهر أن الكرامة تشكل لغة رمزية مشتركة تعبر عن حاجات المجتمع الروحية والاجتماعية. فالمجتمع يستعيد عبر هذه القصص صورة الولي الحامي والمعجزة كإجابة على التوترات والأزمات التي يمر بها، تصبح الكرامات المتشابهة جزءا من تراث جماعي يتجاوز الشخصيات الفردية، ليشكل نسقا ثقافيا يوحد المخيال الشعبي عبر الأجيال.

3.3-علاقة الطيبيين بفرنسا:

[1]-Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux, Op.Cit, P33.
[2]- Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux, Op.Cit, P35
[3]- Edoird De Neveu, Les Khouan Orderes Religieux, Op.Cit, P36.

تعد الطريقة الطيبية من بين الطرق الصوفية، التي انتشرت في الجنوب الجزائري خلال القرن التاسع عشر، وكان لها حضور اجتماعي وروحي ملحوظ خاصة في مناطق توات وغرداية.

غير أن الكتابات الفرنسية الاستعمارية لم تولِ اهتماما كبيرا بها مقارنة بالطرق الأخرى كالقادرية أو التيجانية، حيث اكتفت بذكرها عرضا عند تناولها لشبكة الزوايا الصوفية في الصحراء، معتبرة إياها فرعا محليا محدود التأثير.

ويلاحظ أن هذا التهميش العلمي يبرز النظرة الانتقائية التي اعتمدها الباحثون، والضباط الفرنسيون في تعاملهم مع الصوفية بالجنوب الجزائري، إذ ركزوا على الطرق التي مثلت لهم إما خطرا سياسيا مباشرا أو حليفا محتملا في فرض السيطرة[1].

رغم قلة ما كتب عن الطيبيين في المصادر الفرنسية، إلا أن وجودهم في الجنوب الجزائري ترك بصمة واضحة في الحياة الروحية للسكان.

فالطريقة الطيبية لم تكن مجرد إطار ديني، بل فضاء للانتماء والالتقاء، حيث وجد الناس فيها سندا معنويا يحفظ توازنهم الاجتماعي والثقافي.

وإذ تجاهلتها الأقلام الفرنسية إلى حد كبير، فقد ظلت حية في الممارسة اليومية وفي الذاكرة الجماعية، لتؤكد أن الأهمية لا تقاس بمدى حضورها في النصوص الاستعمارية، بل بقدرتها على الاستمرار في وجدان المجتمع وموروثه الروحي.

[1]- Michaux-Bellaire, Les oasis sahariennes: étude historique et sociologique, Paris, 1902, p. 87.

أظهر الفصل أن الجنوب الجزائري، رغم قساوة مناخه وبعد مسافاته، كان أرضاً خصبة لظاهرة الصلحاء والتصوف، حيث تجلت فيه أشكال متنوعة من الولاية بين المحلية كأم قرين وسيدي بولفعة، والواسعة النفوذ كسيدي أحمد التيجاني وسيدي الشيخ، فقد شكل صلحاء الجنوب مراكز قوة روحية واجتماعية، فسيدي الناصر بوحركات جسد نموذج الولي المنتقم بقصة ابنته جوهرة وسيدي الحاج عيسى ارتبط بتأسيس الأغواط وكرامة تحويل مجرى العين، وسيدي بنور مثل الولي الإباضي النقي، كما أظهر الفصل تنوع مواقف الصلحاء من الاحتلال الفرنسي، فبينما تحالفت التيجانية مع فرنسا بدافع الصراع مع العثمانيين والأمير عبد القادر، قاد أولاد سيدي الشيخ مقاومة شرسة استمرت 22 سنة تحت زعامة بوعمامة، وبرزت كرامات مشتركة بين الأولياء كالشفاء والطيران والاختفاء ودعوات الشر والعقاب، مما يعكس وحدة المخيال الشعبي رغم تعدد الشخصيات، وقد كشفت الكتابات الفرنسية عن انتقائية واضحة في تناول صلحاء الجنوب، حيث ركزت على من مثلوا قوة سياسية أو خطراً أمنياً، بينما تجاهلت أو قللت من شأن شخصيات أخرى كالطيبيين، مما يثبت أن هذه الدراسات لم تكن أكاديمية محايدة بل أداة لفهم المجتمع وإدارته وفق المصالح الاستعمارية.

خاتمة

خاتمة

-ركزت الكتابات الفرنسية على الصلحاء التابعين للطرق، بينما نجد قليل من الدراسات للصلحاء الذين لم يتبعوا أي طريقة في بعض المناطق، وانعدام تام لصلحاء كانوا علماءفي المناطق الأخرى.

-إن المناقب والأساطير والتواريخ التي سردتها الكتابات الفرنسية كانت سطحية في معظمها مشوهة في أغلبها ولا تعتمد في مرجعيتها الى كتابات صحيحة فنجدها اعتمدت على الروايات الشفوية والتي وإن كانت صحيحة تعمدوا تشويه الحقائق بها.

-اعتماد المؤرخون الفرنسيون الأسلوب القصصي في سرد حياة الصلحاء في حين ينعدم بها المنهج التاريخي.

- سعى بعض القائمين على الزوايا والأضرحة الى تعزيز الأفكار الكاذبة خاصة مع استفحال الظواهر الاجتماعية المزرية في وسط المجتمع الجزائري كالاوبئة والزلازل والمجاعات بأنه عقاب الولي صالح لعدم رضاه عن الهبات المقدمة، أو أنهم عاثوا في الأرض فسادا فسلطت عليهم الأرواح الشريرة انتقاما من أفعالهم.

-استعملت فرنسا الأساطير لتغذية النفوس الضعيفة وتخويفها وجعل الضريح موردا اقتصاديا ترمي منه الفتات للطامعين القائمين عليه، بينما تستحوذ هي على القسمة الكبيرة لتغذية خزينتها.

-تضارب واضح في سرد أساطير ورحلات الصلحاء، لدى الكاتب نفسه بين صفحة وأخرى، فنجد خلطا دائما للأحداث.

-تشابه كرامات الأولياء فنجد أغلبهم شفوا الأعمى والأبرص والمرأة والرجل العاقر، وأبعدوا الجراد عن المحاصيل وشفوا الحيوانات المصابة بالوهن والمرض وارتباطهم ارتباط بجلبهم للماء فهذا فجر العين وهذا أسقط الأمطار والآخر سخط علىهم فأمسك المطر كون الماء أساس الحياة للإنسان والحيوان والنبات.

-استعمل الفرنسيون الصلحاء كوسيلة للحكم من خلالهم، فبسطو نفوذهم بطريقة غير مباشرة وضعوا من خلالها القيادات التي تنتسب للصالح فالواجهة لإنجاز المهام التي كانوا يتلقون أوامرها

خاتمة

– إيجاد العديد من المغالطات والأكاذيب التي طوقت بها الكتابات الفرنسية موضوع الصلحاء وهذا عائد الى عدم موضوعيتهم، خاصة موضوع عدم ممارسة الزوايا للنشاط السياسي أنها لم تعد تشكل خطرا، أو إبعاد أسباب الانتفاضات والمقاومات الى كل ما هو ديني ووطني وإرجاعه الى الأسباب الذاتية كالقوانين التي مست الملكية العامة لأراضي العرش أو سوء تصرف القادة الموالين للسلطة الفرنسية.

–المقارنات المستمرة بين الدين الإسلامي والدين المسيحي، بأن المسيحية أكثر سلاما من الإسلام بأنها لا تحث على الحرب، بينما يعتبر الجهاد واجبا في الديانة الإسلامية يفضل مرابطوه الدخول في حروب غير عادلة ويسمحون بموت إتباعهم من أجل الانتقام أو من أجل كرامتهم وليس إعلاء لكلمة الله.

–تتفق اغلب الكتابات الفرنسية أن ظاهرة التبرك بالأضرحة وزيارة الأولياء بعد مماتهم ما هي إلا أنواع من العبادة التي أسموها بعبادة القدسين أو عبادة رجال الله الصالحين لانها ترتبط بعدد من العادات الوثنية كالإيماءات والبكاء والسجود عند الضريح والتحدث معه والتوسل إليه وتقديم القرابين.

– اهتم الفرنسيون بدراسة الصلحاء لأنهم كانوا الصلة التي توحد المريدين لطريقة معينة اولولي معين، فتبجيل السلف، يعزز الولاء الحقيقي أكثرمن ممثلي الزاوية او الطريقة.

–عدم تطرق الكتابات الفرنسية لنسب الصلحاء بالتفصيل سوى الإشارة الى انتهاء النسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم او الصحابة أو التابعين.

–إن السلطة الدينية التي مارسها قادة الأخويات والطرق الصوفية حافظوا على كتلة السذج من السكان المسلمين باسم الله والإسلام بينما هم سعوا لمصالحهم المادية أكثر من اهتمامهم بالتوجيه الروحي لأتباعهم.

–شكلت الانقسامات والتنافس حول المصالح بين الأخويات والتي حولت كرههم لفرنسا مصلحة لها، فكل الخلافات التي كانت تحدث بين الطرق الصوفية سعت فرنسا لتأجيجها.

خاتمة

-ركزت الكتابات الفرنسية على الأساطير المتعلقة بالصلحاء والعادات والممارسات التي تتعلق بالضريح، فأحيانا لم نجد نسب الصالح الذي كتب عنه إلا بالعودة الى كتب الأنساب وان وجد فهو لجلب الفتنة بين القبائل أو من أجل سيطرة القبيلة التابعة للولي المرد دراسته.

-اعتمدت بعض الدراسات الفرنسية على العودة الى الدراسات الإسلامية والأخذ منها مثل موطأ الإمام مالك وصحيح البخاري خاصة فيما يخص تفسيرات لآيات قرآنية أو أحاديث للرسول صلى الله عليه وسلم.

-إدخال بعض الكلمات المقدسة منالديانة المسيحية واليهودية مثل كلمة "أرثدكسية" لإظهار الاختلاف بين الطرق الصوفية مثلما الاختلاف بين المذاهب في المسيحية واليهودية.

- استغلال كره القبائل خاصة في الناحية الغربية للجزائر للسلطة العثمانية خاصة في قضية جمع الضرائب، فلعبت فرنسا في بدايات الأمر دور الصديقة وهذا ما يتضح من خلال العلاقات التيجانية الفرنسية.

-بهدف انجاح المشروع الاستعماري ألزمت القيادات الفرنسية بعض الضباط أمثال اوجين دوماس وهانوتو لوتورنو وترومليي تعلم اللغة العربية وحتى الامازيغية للتواصل مع الجزائريين والإحاطة بثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم، والذي نتج عن هذا عدة كتب مثل كتاب ادوف هانوتو منطقة القبائل والأعراف القبائلية والذي ترجمه مخلوف عبد الحميد والذي يتكون من ثلاثة أجزاء

-التطرق الى الجزئيات والتفاصيل في حياة الولي الصالح خاصة الأساطير وما يتعلق بالممارسات فنجد درسات فرنسية درست بإسهاب ممارسات الطريقة العساوية.

-التضارب الظاهر بين الروايات الفرنسية والعربية فيما يخص الميلاد والنسب، حيث اعتمدت أغلب الروايات الفرنسية على الرويات الشفهية، بينما كانت تعود الروايات العربية الى كنت الأنساب.

-الدور الذي لعبه رؤساء الجماعات الدينية إما بتأجيج الثورات ضد فرنسا وحمل السلاح ضدهاأو إيقاف النزعة القتالية لدى الموالين لطريقة معينة بحجة الإيمان بالقدر خيرا كان او شرا.

خاتمة

-تكرار شخصية الصالح في عدة مؤلفات وهذا ما نجده عند ايميل درمنغام فيما يخص الولي الصالح سيدي بومدين الغوث.

-أعفت فرنسا الزوايا الأكثر تأثيرا على عامة الشعب من الضرائب، في مقابل تهدئتهم والعمل لصالحها

-لطالما ارتبط الجزائريون بالصلحاء، أولياء أو علماء، لصرحهم الديني والثقافي الذي تبنوه ونشروه عبر المجتمع الجزائري العربي الإسلامي، برغم من بعض الممارسات التي ارتبطت بمريدي ببعض الأولياء؛ وأصحاب الطرق الصوفية من بدع وصور شركية والتي نجدها حتى يومنا هذا منتشرة في مجتمعنا.

-إعتبار أولياء الله الصالحين قبلة للتنوير ومحاربة مفاسد الأخلاق، والارشاد والوعظ، والإقتداء بالسلف الصالح، كما رسخوا الدين الإسلامي وثبتوا دعائمه؛ خاصة خلال فترة تواجد الإستعمار الفرنسي الذي وضع نصب عينه دراسة الدين الإسلامي، وشخصية الصالح ومدى ارتباط المجتمع الجزائري به.

-استغلال السلطات الفرنسية لمكانة الصلحاء فاغرو تابعيهم علماء كانوا أو مشايخ في العملللصالحهم في نقل الأخبار ومراقبة بعض الأطراف الفاعلة التي شجعت على الثورة و طرد المستعمر.

-تأثير الطريقة القادرية في العالم الإسلامي عامة وفي إفريقيا خاصة، حيث نجد أن هذه الطريقة قد تفرع منها العديد من الطرق كالعيساوية والعمارية والفاضلية وكنتة والعينينة.

-احتوت الكتابات الفرنسية على عدة تناقضات فيما يخص تواريخ الميلاد والوفايات فمثلا نجد p.j André في كتابه" les confriries Religieuses Musulmanes"عدة إختلافات فيما يخص تواريخ ميلاد ووفاة الصلحاء ونخذ على سبيل المثال سيدي بن يوسف الراشدي الملياني كتب في بداية التطرق للطريقة الراشدية انه ولد سنة 1524م ليكتب في الصفحة الموالية أنه توفي سنة 1524م.

-خاض مقدمو الطرق خاصة في الشرق الجزائري غمار المسار السياسي وترشحوا في مخلف المجالس، خاصة عندما تراجع تأثير الزوايا على مختلف فئات الشعب، خاصة بعد وفاة شيوخ

الطريقة الكبار وتشتت تراثه الاخلاقي بين أبنائه، الذين لم ينجح أي منهم في فرض نفسه على أتباع الطريقة.

-سعت فرنسا الى رفع عدد مريدي الطرق التابعة لها وهذا للهيمنة على العامة والسيطرة على أفكارهم وتفادي التمردات و المقاومات التي كانت أساسها الطرق ذاتها.ا

-نجد الكتابات الفرنسية انكبت في بحثها على الشخصيات الدينية الطرقية أمثال سيدي أحمد التيجاني وسيدي محمد بن عبد الرحمان المدعو بوقبرين وسيد الشيخ وهذا بسبب استقطاب زواياهم للعامة والقدرة على التأثير على أفكار مريديهم ورغبتهم في تأثير عليها وحبسها في فكرة أن الاحتلال الفرنسي قدر الجزائر ويجب الرضا به، بينما لمتولي إهتماما للصلحاء الواعضين والأئمة أمثال سيدي عبد الررحمان الثعالبي.

-حاول روبيرت هودين بإقناع الأهالي بان الأمور التي يقوم بها عيساوة ماهي إلا خداع وكذب وانهم يجب أن يستفيقوا من السذاجة التس يعيشونها، وهذا الأمر الذي من شانه ان يبدي الفرنسيين أنهم تغلبوا على ألاعيب الخفة والتنجيم الخاصة بالعيساوة، لكن لم يكن من السهل أن تنسب تلك الظواهر الى التفسير العلمي دون اللجوء الى الإيمان بالقوى الغامضة.

-تشبيه ممارسات العيساوة وغيرهم بالممارسات عند الهندوس والماجوس.

-تراجع الهيبة الدينية للزوايا وتأثير ممثليها الذين احتلوا مناصب إدارية ومحلية، مع ظهور توجهات وأحزاب سياسية مطالبة بالاستقلال.

-تراجع نفوذ حركة الإسلام المرابطي مع بدايات القرن العشرين للتراجع معها الكتابات الفرنسية حول الصلحاء والطرق وزوايا بسبب النهضة ومحاربتها من طرف الحركة الإصلاحية خاصة في الشرق الجزائري وظهور الحركة الوطنية لاحقا.

- لم تتطرق الكتابات الفرنسية أبدا لجهاد الصلحاء ضد الكفار، فعلى سبيل المثال لا نجد ذكرا لجهاد سيدي بومدين الغوث في معركة حطين الى جانب صلاح الدين الأيوبي ضد الصليبيين ولا حتى صراع عبد القادر بن محمد-سيد الشيخ-ضد الأسبان، ولا جهاد سيد عبد القادر بن محمد سيد شيخ ضد الإسبان والجروح التي تسببت في وفاته.

خاتمة

– نسب العديد من الاقوال والامثلة الى الصلحاء الذي ورثوها الى احفادهم من بعدهم.

–أسلوب لحشو الذي نجده خاصة عند "ترومليي" كسرد قصص واشعار لشخصيات جانبية أو وصف مكان قام الولي الصالح بزيارته.

–إنعدام التراتبية الزمنية والجغرافية عند سرد ببليوغرافية شخصية معينة فنجد الكاتب يروي تفاصيل زيارة معينة في الشرق لينتقل بعدها الى الغرب ويعود مرة أخرى للغرب، أو نجده يحكي تفاصيل معينة في فترة زمنية معينة لينتقل بنا الى فترة ماضية ويعود الى الفترة الزمنية التي بدا بها.

–ان التوزيع القبلي يعتمد نظريا على روابط الدم، والقرابة العصبية والبنوة من السلف المشترك وان التشكيك الذي طالهم في نسبهم من قبل فرنسا لابد له ان يفتح شرخا بينهم فيؤدي الى تقاتلهم وبالتالي يتسنى للسلطات الفرنسية إلهاءهم، او إستعمال طرف في محاربة الطرف الآخر.

–هدم العديد من أضرحة الأولياء الصالحين من أجل المصلحة العامة دون مراعاة القدسية الشخصية أو إعادة دفن الرفات التي غالبا ما كان يهتم بذلك السكان المحليون، أو يتم التخلص منها من طرف الفرنسيين.

ملاحق

ملاحق

جدول الملاحق:

الرقم	العنوان	الصفحة
01	واجهة الصفحة الأولى من كتاب confreries islalamiques	227
02	واجهة الصفحة الأولى من كتاب Vie du célèbre marabout Cidi Abou-Médien	228
03	واجهة الصفحة الاولى من كتابLa Légende de Sidi-Messaoud	229
04	واجهة الصفحة الاولى من كتابLes Légendes du Ferdjioua	230
05	واجهة الصفحة الاولى من كتابconfréries religieuses musulmanes	231
06	واجهة الصفحة الاولى من كتابLes Aïssâoua à Tlemcen	232
07	واجهة الصفحة الاولى من كتابLa Société Féminine au Djebel Amour et au Ksel	233
08	خريطة أقاليم الجزائر	234
09	رسالة سيد "عبد الرحمان" ابن شيخ الميسوم شيخ الطريقة الشادلية	235

الملاحق

الملحق رقم 01: صفحة لأولى لكتاب الفرق الإسلامية لمارسيل سيميون تصوير طالبة عدة

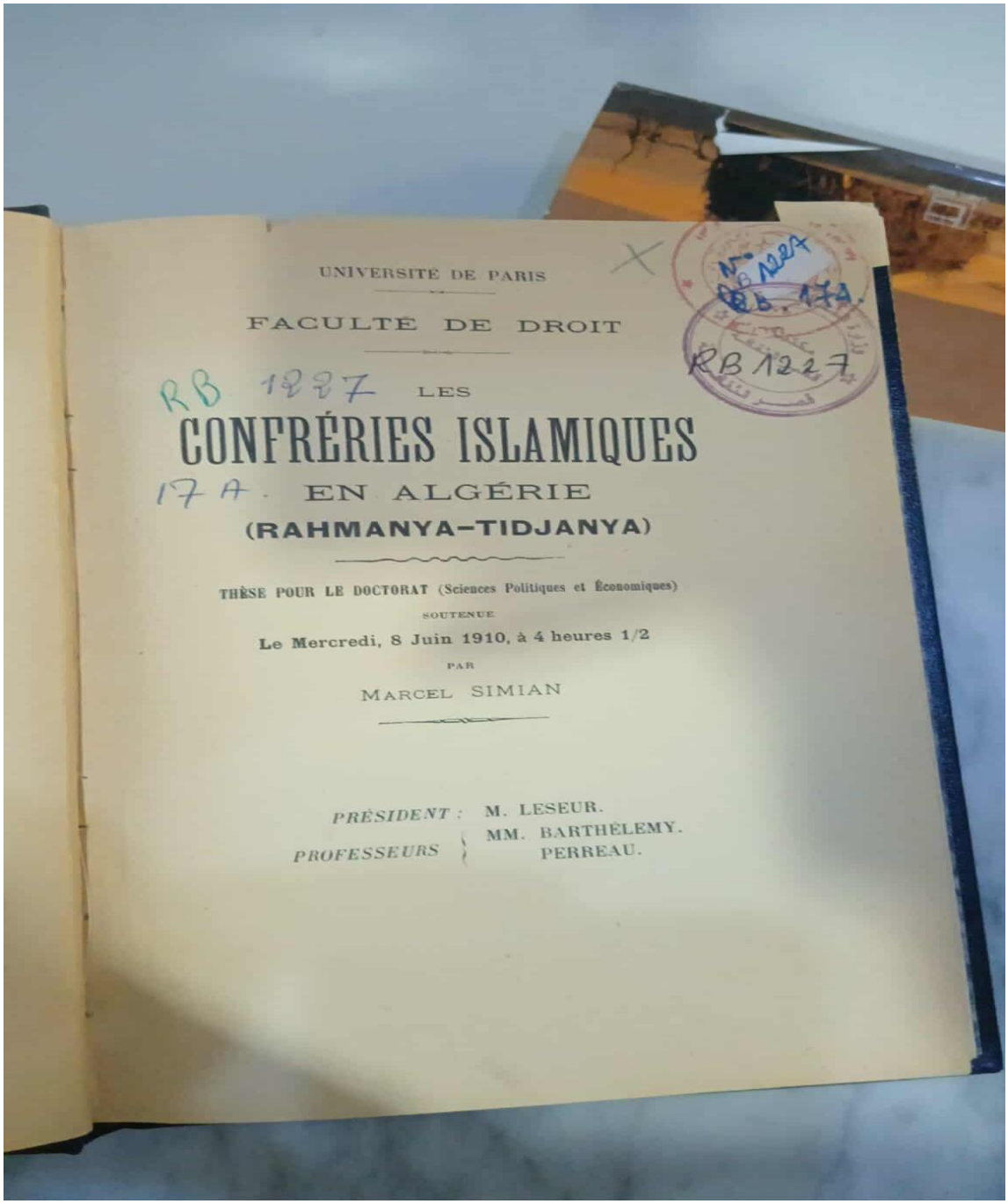

UNIVERSITÉ DE PARIS

FACULTÉ DE DROIT

RB 1227

LES

CONFRÉRIES ISLAMIQUES

17 A.

EN ALGÉRIE

(RAHMANYA–TIDJANYA)

THÈSE POUR LE DOCTORAT (Sciences Politiques et Économiques)

SOUTENUE

Le Mercredi, 8 Juin 1910, à 4 heures 1/2

PAR

MARCEL SIMIAN

PRÉSIDENT : M. LESEUR.

PROFESSEURS MM. BARTHÉLEMY. PERREAU.

الملحق رقم 02:واجهة كتاب حياة سيدي بومدين لبارجيس–تصوير الطالبة عدة جميلة–

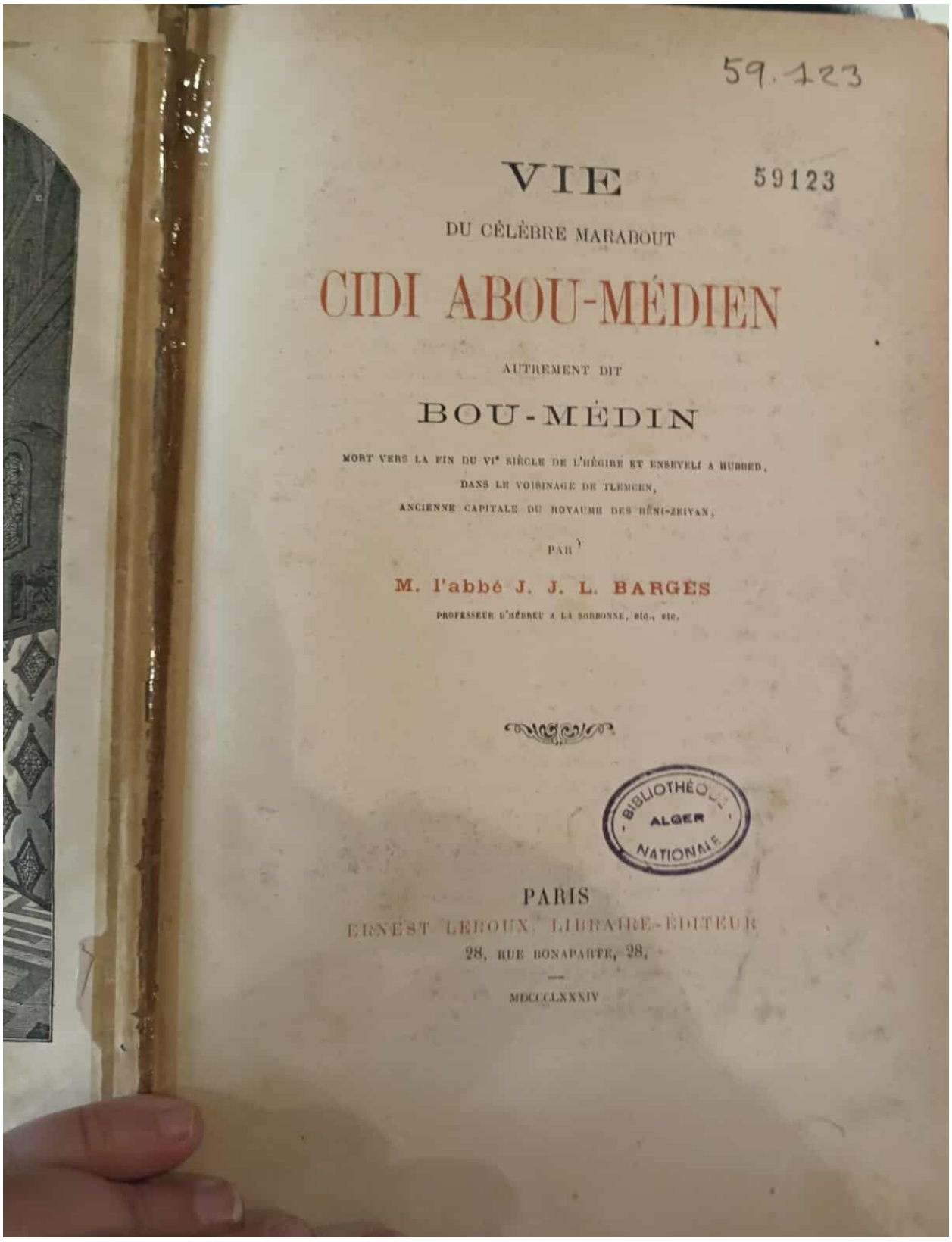

59.123

59123

VIE

DU CÉLÈBRE MARABOUT

CIDI ABOU-MÉDIEN

AUTREMENT DIT

BOU-MÉDIN

MORT VERS LA FIN DU VI^e SIÈCLE DE L'HÉGIRE ET ENSEVELI A HUBBED,
DANS LE VOISINAGE DE TLEMCEN,
ANCIENNE CAPITALE DU ROYAUME DES BÉNI-ZEIYAN,

PAR

M. l'abbé J. J. L. BARGÈS

PROFESSEUR D'HÉBREU A LA SORBONNE, etc., etc.

BIBLIOTHÈQUE ALGER NATIONALE

PARIS
ERNEST LEROUX, LIBRAIRE-ÉDITEUR
28, RUE BONAPARTE, 28.

MDCCCLXXXIV

الملحق رقم03: واجهة كتاب أسطورة سيدي مسعود لفالي تصوير الطالبة عدة جميلة.

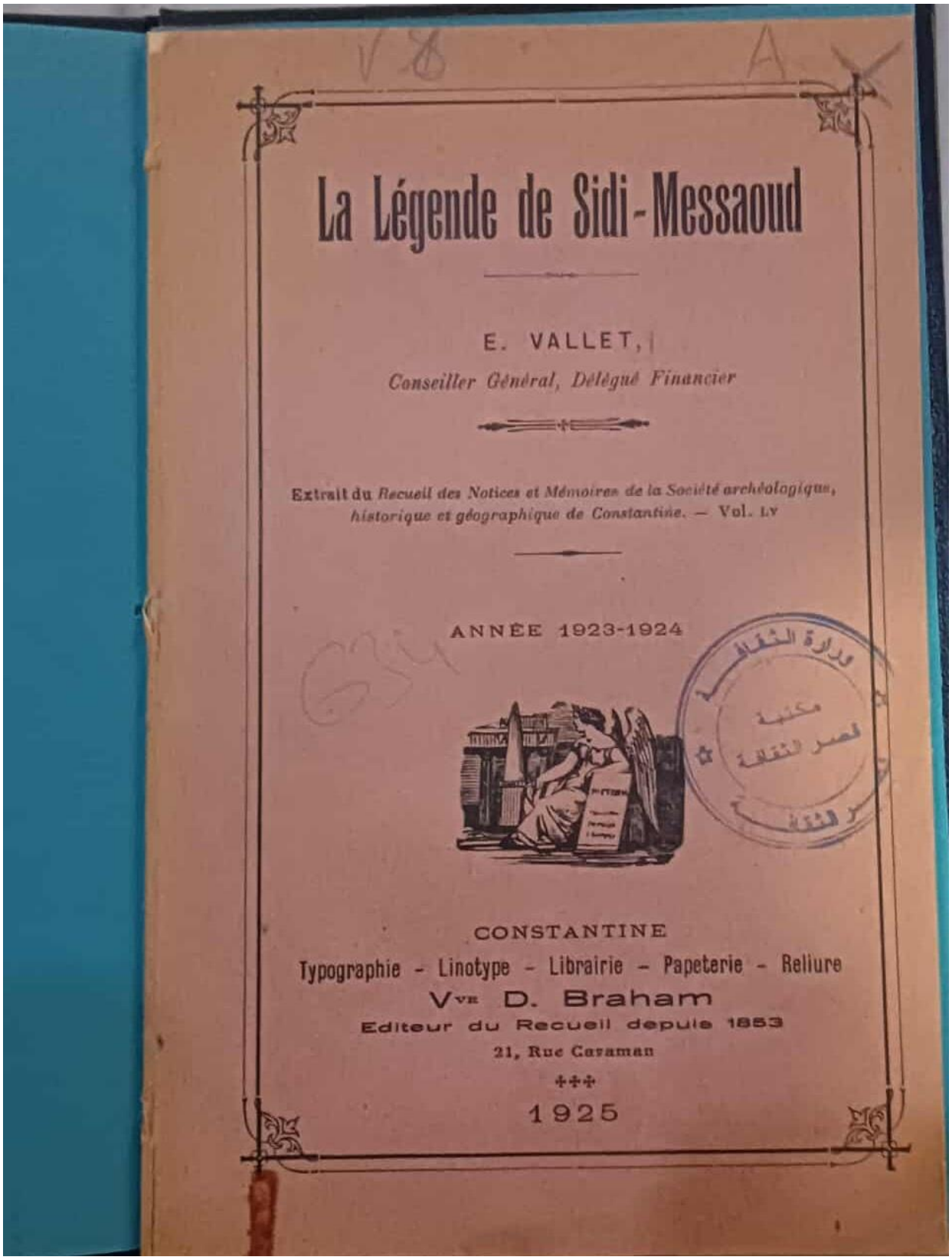

La Légende de Sidi-Messaoud

E. VALLET,

Conseiller Général, Délégué Financier

Extrait du *Recueil des Notices et Mémoires de la Société archéologique, historique et géographique de Constantine.* — Vol. LV

ANNÉE 1923-1924

وزارة الثقافة
مكتبة
مصر الثقافة

CONSTANTINE

Typographie - Linotype - Librairie - Papeterie - Reliure

Vve D. Braham

Editeur du Recueil depuis 1853

21, Rue Caraman

+++

1925

الملحق رقم04: الصفحة الأولى لكتاب أسطورة سيدي مسعود –من تصوير الطالبة عدة جميلة

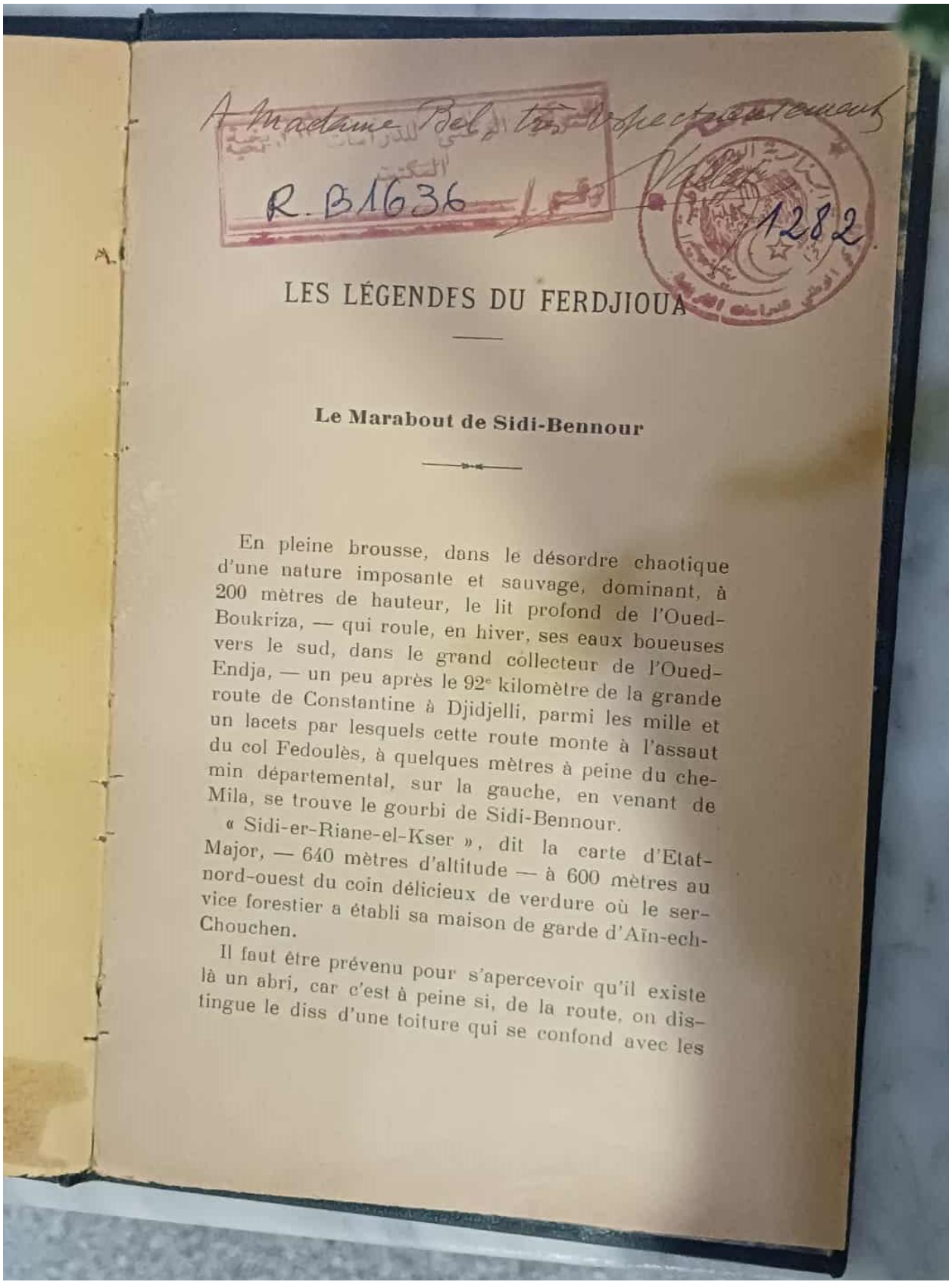

A Madame Bel ... respectueusement

R. B1636

1282

LES LÉGENDES DU FERDJIOUA

Le Marabout de Sidi-Bennour

En pleine brousse, dans le désordre chaotique d'une nature imposante et sauvage, dominant, à 200 mètres de hauteur, le lit profond de l'Oued-Boukriza, — qui roule, en hiver, ses eaux boueuses vers le sud, dans le grand collecteur de l'Oued-Endja, — un peu après le 92e kilomètre de la grande route de Constantine à Djidjelli, parmi les mille et un lacets par lesquels cette route monte à l'assaut du col Fedoulès, à quelques mètres à peine du chemin départemental, sur la gauche, en venant de Mila, se trouve le gourbi de Sidi-Bennour.

« Sidi-er-Riane-el-Kser », dit la carte d'Etat-Major, — 640 mètres d'altitude — à 600 mètres au nord-ouest du coin délicieux de verdure où le service forestier a établi sa maison de garde d'Aïn-ech-Chouchen.

Il faut être prévenu pour s'apercevoir qu'il existe là un abri, car c'est à peine si, de la route, on distingue le diss d'une toiture qui se confond avec les

الملحق رقم05: واجهة كتاب الفرق الدينية الإسلامية ل آندري– من تصوير الطالبة عدة جميلة–

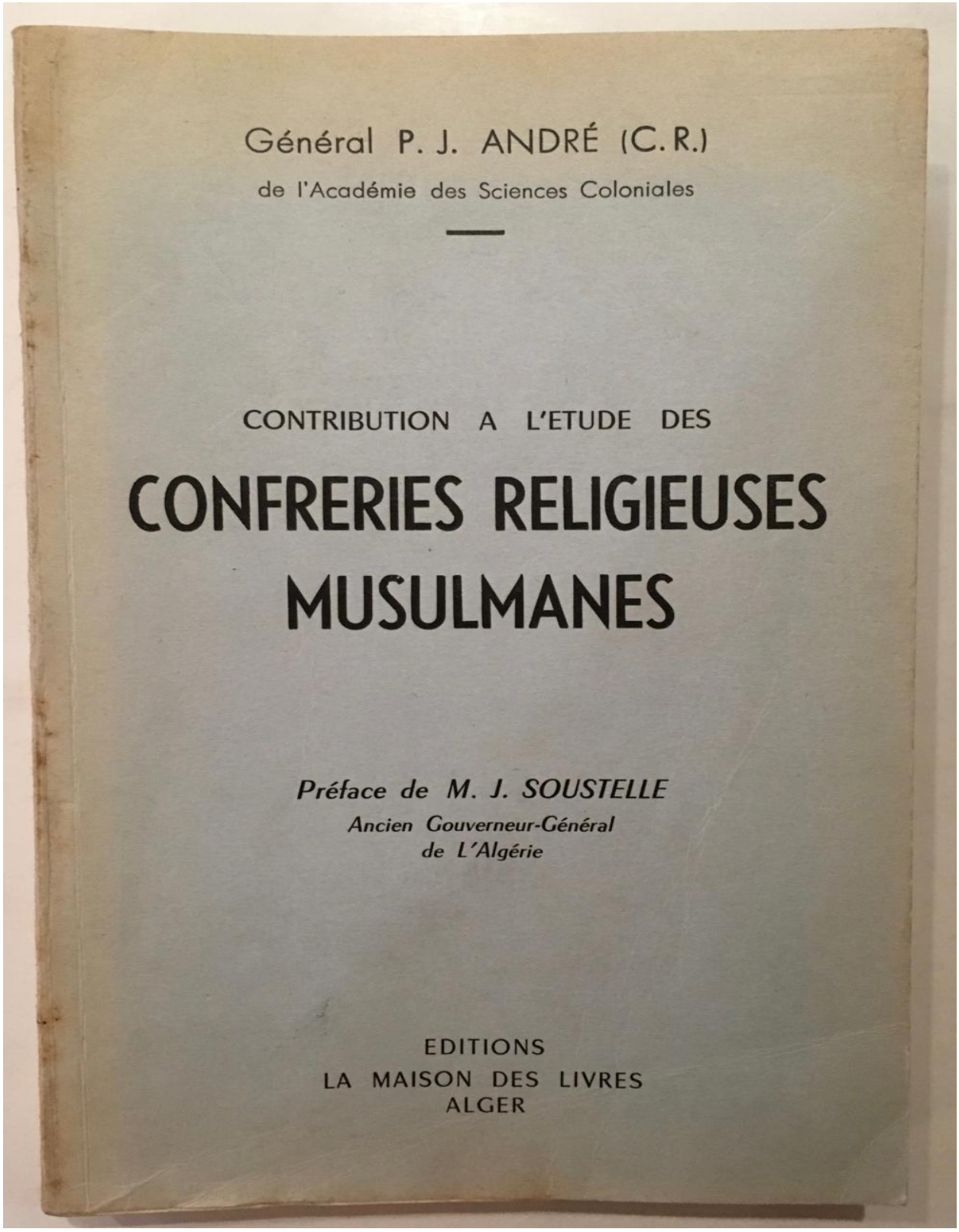

الملحق رقم06: صفحة الأولى لكتاب عيساوة تلمسان ل ايدموند دوتي –تصوير الطالبة عدة جميلة–

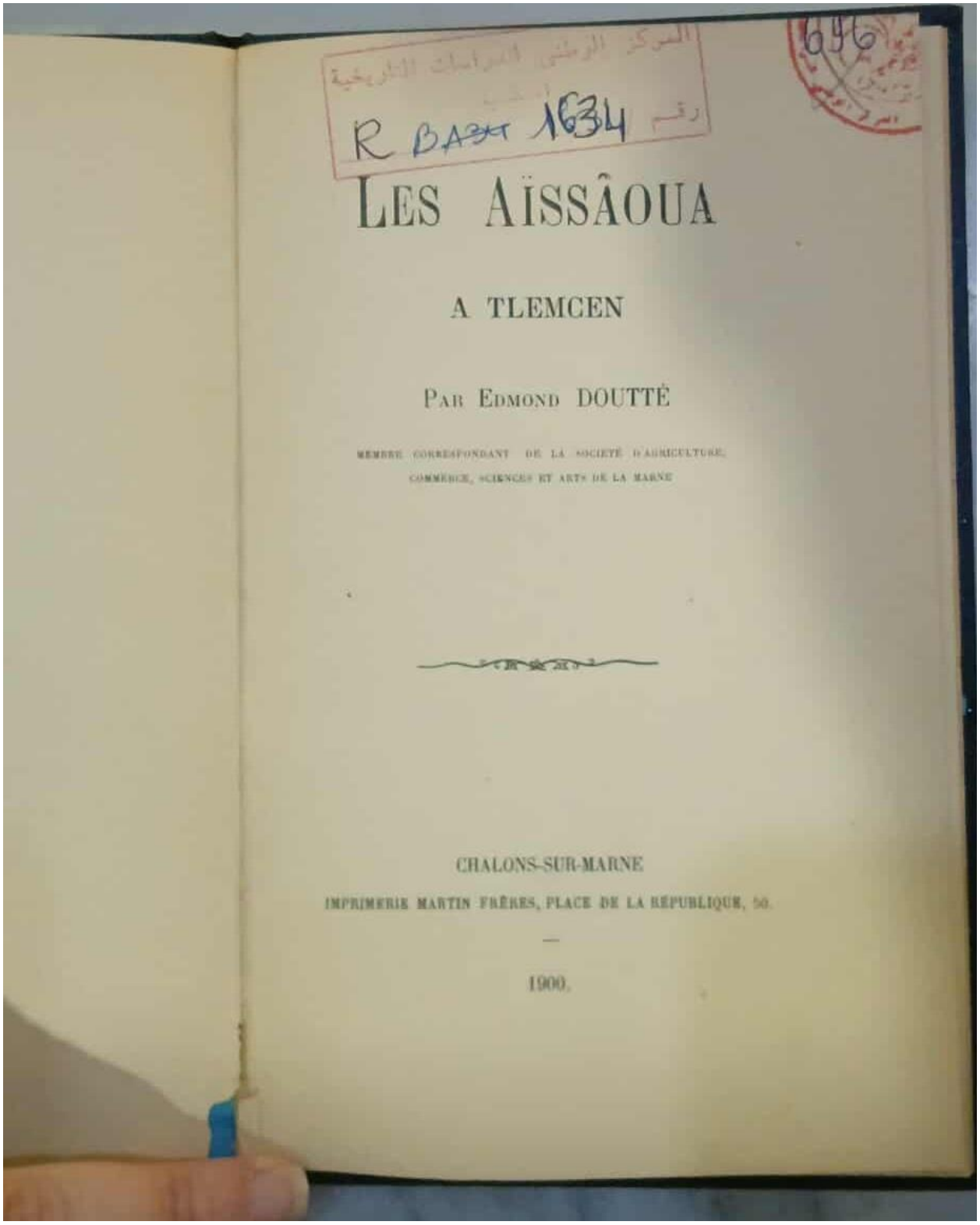

الملحق رقم07: واجهة لكتاب المجتمع النسوي لماتيا قودري- تصوير الطالبة عدة جميلة-.

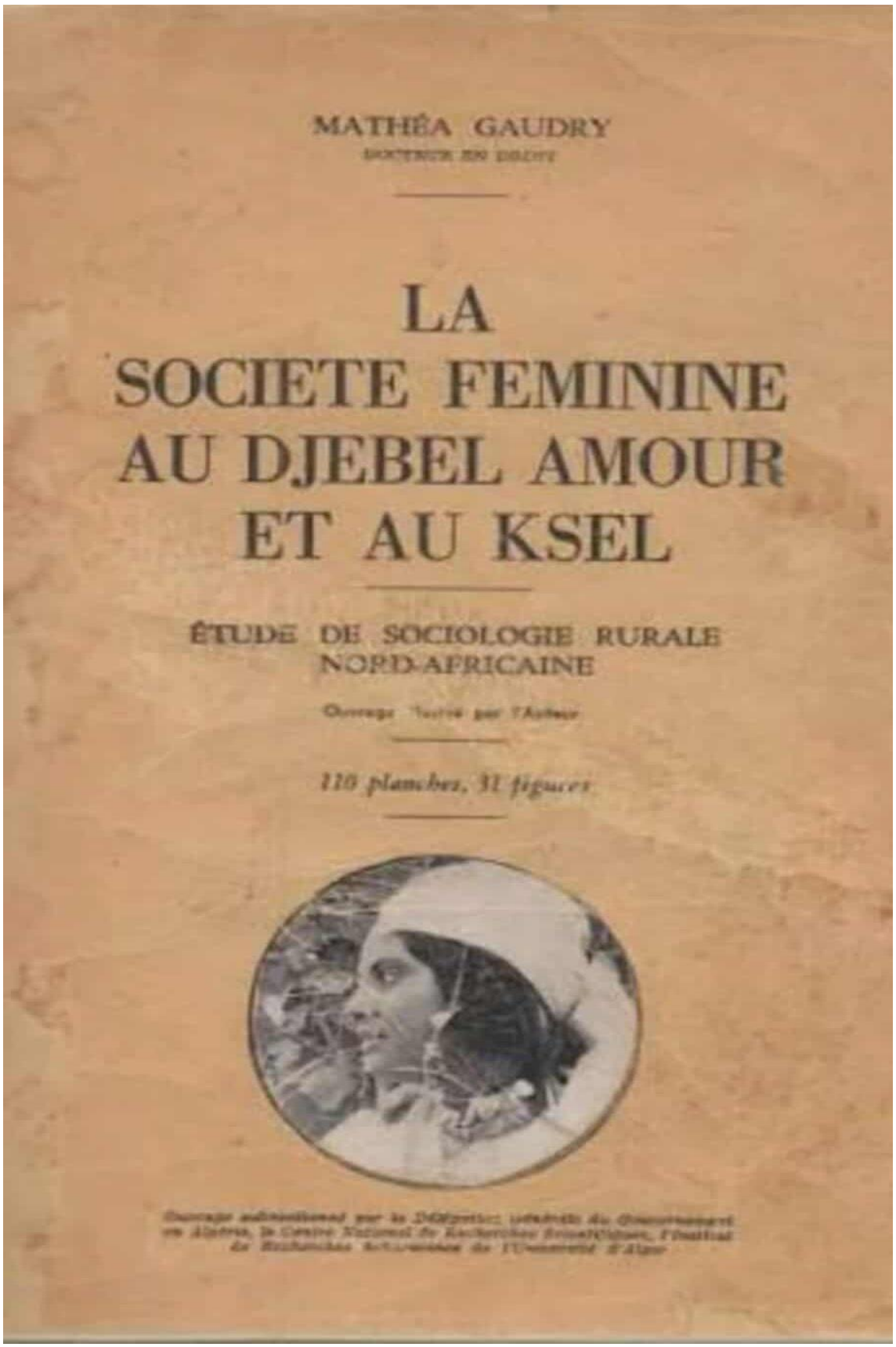

الملحق رقم 08 : أقاليم الجزائر

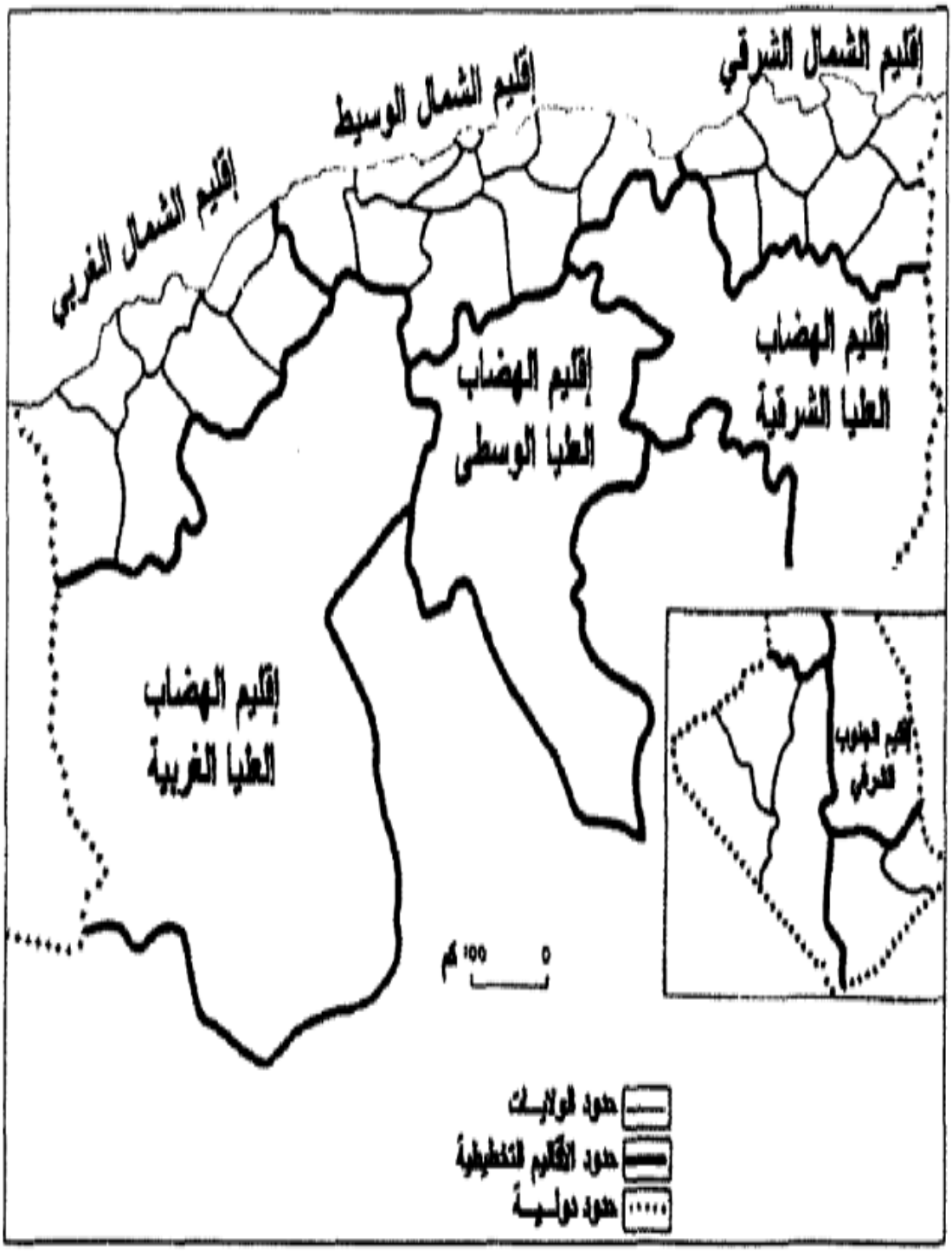

شكل (02): الأقاليم التخطيطية الكبرى في الجزائر.

المصدر: عبد الكريم عون (2006)، ص. 106.

الملحق رقم 09: رسالة إبن الشيخ الميسوم الى سكان مدين قصر البخاري.

وصية السيد ميسوم عبد الرحمن الشيخ الميسوم
شيخ الطريقة الشاذلية بزاوية قصر البخاري

RECOMMANDATION DU SEYYID MISSOUM ABD ER-RAHMAN BEN ECH-CHEIKH EL-MISSOUM, CHEIKH DE LA TARIKA CHADHELIYA, DANS LA ZAOUÏA DE KASR EL-BOKHARI.

إنّ المدنيل غريفة
والمتهيئة بالغريق
غريقٌ أيضل

« *L'Allemagne est en train de se noyer, et la Turquie va se noyer sûrement avec elle, car celui qui s'accroche à un noyé se noie avec lui.* »

RECOMMANDATION DU SEYYID MISSOUM ABD ER-RAHMAN BEN ECH-CHEIKH EL-MISSOUM, CHEIKH DE LA TARIKA CHADELIYA, DANS LA ZAOUÏA DE KASR EL-BOKHARI.

Conseil à nos frères les Chadheli :

Dieu a dit : « Obéissez à Dieu, à son Prophète et à ceux qui vous gouvernent. » Or, ceux qui nous gouvernent, ce sont nos chefs français. Nous avons donc le devoir de leur obéir et de les servir avec dévouement. Nous sommes tous fermement attachés de tout notre cœur à la France et si vous demandez, mes frères, les bienfaits dont nous lui sommes redevables, je vous répondrai : Elle a amélioré notre condition matérielle et morale ; elle a mis en valeur les terres incultes ; elle a vivifié les terres mortes ; elle a développé l'agriculture et le commerce qui sont les deux sources d'où le pays et les habitants tirent la prospérité ; elle nous a édifié des mosquées ; elle nous a ouvert des médersas ; elle nous a construit des hôpitaux ; elle nous a appris les divers métiers ; elle a organisé toutes nos affaires ; elle a respecté notre religion et nos coutumes ; elle nous a assuré la sécurité pour nos personnes et nos biens.

Avant l'occupation française, notre pays était livré sans défense au despotisme des Turcs qui s'y livraient aux pires excès et y perpétraient les plus grands crimes, s'emparant du bien d'autrui, pillant, dévalisant, massacrant les innocents, foulant aux pieds les droits des veuves et des orphelins, méprisant les saints, méconnaissant les coutumes indigènes, ne témoignant aucun respect pour la reli-

المصادر
والمراجع

المصادر والمراجع

أولا: الارشيف:

1. أرشيف ما وراء البحار بإكس أنبروفونس ((Aix En Provence

-série2U. Culte Musulman.

-A.N.O.M -2U22, Succession de Lalla Zineb, une letre de cheikh mohamed ben al-hadj ban mohamed ben belkasem au gouverneur général du district de ou saada, 03 join 1897

-A.N.O.M -2U22, Succession de Lalla Zineb, une letre du gouverneur général du district de ou saada au cheikh mohamed ben al-hadj ban mohamed ben belkasem .09 mai 1903.

-A.N.O.M -2U22, Succession de Lalla Zineb, une letre de Brehim ben al-hadj ban mohamed ben belkasem à Monsieur le gouverneur général du district de ou saada, 07 decembre 1905.

-A.N.O.M -2U22, Succession de Lalla Zineb, une letre de mohamed ben al-hadj ban mohamed ben belkasem à Monsieur gouverneur général du district de ou saada, 28 join 1910.

-A.N.O.M -2U22, Succession de Lalla Zineb, une letre du gouverneur général du district de ou saada au cheikh mohamed ben al-hadj ban mohamed ben belkasem .01 janvier 1911.

-A.N.O.M -2U22, Succession de Lalla Zineb, une letre de Monsieur gouverneur général du district de bou saada à monsieurle génral commandant la division, 04 fevrier 1911.

-Série 16h/53.

-A.N.O.M, Série 16H/51, arbre généalogique des tidania, 1787-1815

-A.N.O.M, Série 16H/51, une Letre de sidi mahmoud ben sidi el-bachir ben sidi ahmed Attidjani à Monsieur le chef commandent de Laghouat, 50 mai 1934

2. أرشيف مكتبة وزارة الثقافة بالجزائر العاصمة.

-Le Fon Encien (C)

-Gouvernement Général de L'Algérie Cabinet Service Des Liaisons Nord Africaines، Bulletin Des Questions islamique,1954.

A.M .C, Gouvernement Général De L'algérie Cabinet Service Des Liaisons Nord Africaines, Bulletin Des Questions Islamique, 1953

-A.M.C, Gouvernement Général De L'algérie Cabinet Service Des Liaisons Nord Africaines, Bulletin Des Questions Islamique, 1954

3. المركز الارشيفي بقصر رياس البحر.

−Centre de la documentation palais des rais.

- Archvie de la mosque sidi abed rahman taalibi, Raport Mosqué Taalibi 1907.

ثانيا: المصادر والمراجع

1.المخطوطات:

-العشماوي احمد بن محمد، السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب اهل البيت المطهر أهله بنص الكتاب. مخطوط منشور عبر الانترانت.

-مخطوط من خزانة مولاي سليمان مقدم زاوية سيدي عيسى بأدرار.

2. المصادر باللغة العربية:

1-إبن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الإسلامية للنضر و

التوزيع، مصر، 2001م، ط1.

2-ابن منظور الافريقي المصري أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مج 9، دار البصائر بيروت، د ت ط.

3-إبن منظورالافريقي المصري أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، الافريقي المصري أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مج 9، دار البصائر بيروت، مج 15.

4-حمدان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، منشوراتAnep، ط2 2005،

5-أبي عبد الله محمد بن محمد ابن احمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن ابي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م.

6-إدموند دوتي، الصلحاء مدونات عن الاسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر، تر محمد ناجي بن عمر، افريقيا الشرق للنشر والتوزيع، 2014.

7-أجرون شارل روبير، الجزائريون المسلمون وفرنسا1871م-1919م، نقله الى العربية م.حاج مسعود وأ.بكلي، دار الرائد للكتاب، ج1، 2007م.

8-الجيلاني الشيخ عبد القادر، الغوث الأعظم، تر منال اليمني عبد العزيز، آفاق للنشر والتوزيع، ط1، 2016.

9-الصحراء الجزائرية من خلال التقارير الفرنسية في أواسط القرن التاسع عشر (نصوص مختارة مترجمة مع نبذة عن حياة ونشاط أصحابها) مرتبة حسب تاريخ النشر، ترجمة نصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني، دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، 2019.

10-عبد الرحمان بن الحاج بن سيدي علي ابن عثمان بن سيدي علي بن عمر، الدر المكنون في حياة سييدي علي بن اعمر وسيدي بن عزوز، مطبعة النجاح قسنطينة.2006.

11-القشيري زين الدين أبي القاسم، الرسالة القشيرية، عليها تعليقات لشيخ الإسلام القاضي زكرياء بن محمد الأنصاري، دار نشر جوامع الكلم، 18 شارع الشيخ صالح الجعفري، د ت ط.

12-الكتاني محمد بن جعفر بن دريس، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تح محمد حمزة بن علي الكتاني، (1274هـ-1345هـ)، ج4، دت ط، دار الايمان، الرباط.

13-أحمد شريف الزهار، مذكرات الحاج احمد شريف الزهار ويليه محمد عثمان باشا داي الجزائر(1766-1791)، تح المدني أحمد توفيق، المجلد السابع، طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،2010م.

3.المصادر باللغة الأجنبية:

1- Alphonse Certeux et E. Henry Carnoy, L'Algérie Traditionnelle, Imprimerie Pierre Fontana, alger, 1884.

2- Berque, un un mystique moderniste Le cheikh Benalioua, société historique Algérienne, Alger, 1933.

3- Barges Jean Joseph Léandre, Vis du célèbre marabout cidiAbou-Médien Autrement dit Bou-médin, Librairie Ernest Leroux, Pris.1884.

4-Bulletin de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique du nord, onzième année 1906, tome 11, imprimeries typographiques et lithographique s León 15 rue de Tanger, 1906.

5-C.Trumelet, Les Français Dans Le Desrt, Garnier Frére, Libréres Éditeur ,1963

6- Caffier, Au Marabout Sidi Brahim età Calais, Paris Librairie Illustrée julestallandar ,1905.

7-CL. Huart, Littérature arabe, Librairie Armand colin, paris, 1923.

المصادر والمراجع

8-CornailTrumlet, L'Algérie Légendaire En Pèlerinage çà et Là Aux Tombeaux des principaux Thaumaturges de l'Islam (Tell et Sahara), Librairie Adolphe Jourdan, Alger, 1892.
9- Diego De haedo, Topographieet Histoire générale D'Alger, traduction de Monnereau et A. Berbrugger, Edition Bouchéne, Le Maghreb, 2000.
10-E.Mongin، note sur l'histoire de laghouat، Adolphe Jourdan librairie-éditeur. 1895.
11-E.Vallet, La Légende Du Ferdjioua Le Marabout De Sidi- Bennour, Imprimrie D.Braham, Constantine, 1918.
12-Edmond DoutéLes Aïssâoua de Tlemcen, imprimerie Matin Frères, France, 1900.
13-Edmond Doutté, magie et religion dans l'afrique du nord, paris, 1984.
14-Edouard Montet, les confréries religieuses de l'islam marocain, Ernest Leroux éditeur, paris, 1902.
15-Eduard deneveu, Les khouan Ordres Religieux Chez Les Musulman de l'Algérie, imprimerie de A. Guyot, Imprimeur Du roi, Deuxième édition, Paris, 1846.
16-Emil Dermenghem, le culte des saintdent l'islam maghrébin, collectionl'espèce humaine, Gallimard, 1954.
17-Emile Dermenghem, vie du saint musulments, Edition Baconnier, Alger, 1943.
18-Font, En Algérie Les ouled sid chekh, imprimerie et librairie militaires, paris, 1891.
19-G.-C Anwati et Louis Gardet, mystique musulmane aspects et tendances et techniques, librairie philosophique j. vrin, paris, 1976.
20-Gaston Cauvet, Les Marabouts Petits Monuments Funéraires et votifs du nord de l'Afrique, Ancienne Maison Bastide-Jordan, Alger, 1923.
21-Lady Herbera, L'Algérie Contemporaine Illustrée, Victor galmé, Paris, 1830.
22-Jacques Berque, L'intérieur du Maghreb (xv^{e}-xix^{e} siécle), édition Gallimard, France, 1978.
23-Marthe et Edmonde Gouvion, Kitab Aayane el-Marahariba, Impremrie oriontal fontana fréres Alger, 1920
24-Mathea Goudry, la famme chaouiade l'aures ,librairie oientaliste poul geuthner CHIHABE -AWAL.1929,
25-Mathea Goudry, la société féminine au djebel amour et ksel, étude de sociologie, rural nord-africaine, société algérienne d`impressions diveres, 1961.
26-M-H.Lelong.o.p, Le Sahara Aux Cent Visages, Edition Alsatia, Paris, 1943
27-René Brunel, Essai sur la confrérie religieuse des Aîssâoûa au Maroc, Librairie orientaliste Paul Geuthner13 rue Jacob Paris, 1926.
28-René Pottier, Histoire Du Sahara, Nouvelles Editions Latines, Paris, 1947.
29-Roger Durand Et Michéle Maury-Moynier Et Tony Guggisberg, Regards Sur L'Algérie Par Les Européens Au Temps D'henry Dunant, Genéve humanitaire centre de recherche historique et Société Henry Dunant, Suisse, 2014.
30-William Marçais et George Marçais, Les monnument arabes de Telemcen, Lirairie des Écoles Francaise, Paris, 1903.

المصادر والمراجع

4.المراجع باللغة العربية:

1-الاشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع، تر حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.

2-أهانوتو وألتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية، دارالامل للطباعة والنشر والتوزيع، 2013، المدينة الجديدة تيزي وزو، ط1، ص85.

3-برادة على حرازم، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي ابي العباس التجاني، تح عبد اللطيف عبد الرحمان، دار الكتب العلمية، 2022.

4-بقطاش خديجة، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر(1830-1871)، منشورات دار حلب سوريا، دت ط.

5-بن عمارة خليفة، سيرة البوبكرية (أجداد ولاد سيدي الشيخ) ق 14-15-16، تر محمد قندوسي، مكتبة جودي مسعود، الجزائر، 2002.

6-بوعبدلي المهدي، 1-الحياة الثقافية بالجزائر-2جوانب من الحياة الثقافية بلجزائر في العهد العثماني (10-1ه)3-الشريف بوبغلة بطل ثورة بلاد القبائل، من سلسة أعمال الكاملة للمهدي بوعبدلي، جمع وإعداد عبد الرحمان الديب، عالم المعرفة، الجزائر،2012م، ط1.

1. الجيلالي عبد الرحمان محمد، تاريخ الجزائر العام، المطبعة العربية، الجزائر، ط1955،1.

7-حجي محمد، الزاوية الدلائية، ودورها الديني والعلمي والسياسي، ط2، مطبعة النهج الجديدة،1988م.

8-حلمي محمد عبد الوهاب، الشوذية حلقة مفقودة في التصوف الأندلسي، إبن المرأة الأندلسي انموذجا، مصر، د ت ط.

9-الخالدي عبد السلام العمراني، الأنوار الدررية الباهرة في ذرية سيدتنا فاطمة الزهراء الطاهرة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.ت.ط.

10-زيدان يوسف محمد طه، عبد القادر الجيلاني باز الله الأشهب، دار الجيل، بيروت، 2001م.

11-سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954م، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998م.

12سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

13-سعيدوني ناصر الدين، دراسات في الملكية العقارية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

14-صحراوي عبد القادر، الأولياء والتصوف في الجزائر خلال العهد العثماني(1520م-1830م)، دار هومة للنشر والتوزيع، 2016م.

15-عبادة عبد اللطيف، صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة الجزائر، ط1، 1984.

16-العطافي الجيلاني بن عبد الحكم اليحياوي المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحيى بن صفية في تعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية، ط2، 2006م.

17-العياشي المريني، الفهرس في عمود نسب الأدارسة، ط1، المغرب،1986 م.

18-غنى قاسم، تاريخ التصوف في الإسلام، تر: صادق نشأت، ط1، دار نينوى للدراسات والتوزيع.2017.

19-فركوس صالح، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي، دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائ، ط2012،1.

20-القاسم عبد المنعم الحسني، زاوية الهامل، مسيرة قرن من العطاء والجهاد(1862-1962) دراسة سوسيو-ثقافية تاريخية، دار الخليل للنشر والتوزيع، المسيلة، 2010م.

21-القاسمي عبد المنعم الحسني، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات الى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمية، ط1، 1427هـ.

22-محمد مكحلي، الأولياء والصلحاء في الجزائر الظاهرة والجذور، دار القدس العربي، وهران،2020.

23-محمود عبد الحليم، أبو مدين الغوث حياته ومعراجه الى الله، دار المعارف، القاهرة، 1985.

24–المستغانمي أحمد بن مصطفى بن عليوة، رسائل الشيخ المستغانمي، ضبطها وصححها الشيخ علي الكيالي، دار الكتب العلمية، بيرروت لبنان 1971م.

25–مهديد إبراهيم، القطاع الوهراني ما بين 1850م–1919م دراسة حول المجتمع الجزائري، الثقافة والهوية الوطنية، منشورات دار الأديب، وهران، 2006.

26–مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في لعهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م.

27–مولاي محمد، استمرارية مقاومة الشيخ بوعمامة، جمعية الجغرافيا وعلم الآثار لوهران، نشرة خاصة حول مؤوية بوعمامة، مطبعة إبن خلدون، 1982–1981م، تلمسان، ص102

28–النادي عرفة عبد الرحمان أحمد عبد الرحمان، معالم الطريق الصوفي عند أبي بكر الكتاني، دار الهدى للطباعة، القاهرة، 2015م.

29–النجدي عبد الرحمان بن محمد بن قاسم العاصي الدرر السنية في الأجوبة النجدية، لمجموعة من العلماء مج1417،6هـ–1996م.

5. المراجع باللغة الأجنبية:

–Bouzina-Oufriha Fatima-Zohra, Figure illustres du Maghreb central et de l'Algérie, édition Houma, Alger, 2015.

-Charles-André Julien, Histoire de L’Algérie contemporainede l'istruction de 1870 au décclenchement de la guerre de libération(1954), tome02, presse universitaire de France, Parie, 1979.

-Charles-André Julien, Histoire de L’Algérie contemporaine la conquête et les débuts de la colonisation (1827-1871), casbah éditions, Alger, 2005.

-Djamil Aïssani,Mille Ans De Pensée Soufie En Kabylie(XI^{E}-XXI^{E} Siècles) ,Libyca, Mémoire Du Centre NationalDe Recherches Préhistoriques ET Anthropologiques Et Historiques , Nouvelle série n^{o}1, 2020, Alger.

-Fatma-Zohera Oufriha, Au temps des grands empires maghrébins, la décolonisation de l'histoire de l'Algérie, chihabe édition, Alger, 2015.

-Kamel filali, L'Algérie Mystique des marabouts fondateurs aux khwâninsurgés 15-19 siècle, édition publisud, france, 2002

-Luis Rinn, Maraboutset Khouans, étude sur l’islam en Algérie, AdolfGordan, libraire-éditeur, Alger, 1984.

-Millad Issa, Al ykouta Poéme Mystique de sid Chikh (1533-1616), Entreprise National du livre, alger, 1986.

-Mouloud Mammeri, Culture Savent Et Culture Vécue En Algérie, Libyca, Centre De Recherches Anthropologiques Préhistoriques ET Ethnographiques, Tome 23, 1975, Alger.

ثالثا. أطاريح الدكتوراه:

-بودلاعة رياض، موقف الطرق الصوفية وزوايا المرابطين من الثورة التحريرية الجزائرية، مذكرة دكتوراه في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2، 2017-2018.

2-عابد سلطانة، التراتبية الاجتماعية ببايلك الغرب وأثرها على مقاومة الأمير عبد القادر(1832-1847) مقاربة منوغرافية لمجتمع الخلافة الشرقية (آغاليكا مجاهر، قايدةفليتة، آغاليك الشرق أنموذجا)، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية بجامعة وهران، قسم التاريخ وعلم الآثار، 2010م/2011م.

7.المذكرات والرسائل باللغة الأجنبية

-Marcel Simian, Les confréries Islamique en Algérie (Rahmania-Tidjanya), Thèse de Doctorat en science politiques et économiques, université de Paris, 1910.

رابعا: المقالات باللغة العربية:

-بريجة الشريفة، (استغلال الأعمال الأنثربولوجية من طررف العسكريين الفرنسيين لصالح الاحتلال" السنوات الأولى من الإحتلال)، مجلة آفاق فكرية، العدد 01 ديسمبر-جانفي 2014جامعة وهران2.

-بغداد عبد الرحمان، جهود المجلة الإفريقية الفرنسية في نشر التراث المغاربي، قراءة وصفية تحليلية، مجلة الخطاب والتواصل، مج2، ع9، ديسمبر2022م.

-بونار رابح، عبد الرحمان الثعالبي، مجلة الثقافة، مجلة تصدرها وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر العدد 7، السنة الثانية، محرم 1392هـ، مارس 1972م.

-خالد محمد، الزوايا الطرقية، مجلة ليبيكا، المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، ج 35، الجزائر، 1998م.

-خنشلاوي زعيم، شيخ الشيوخ أبو مدين شعيب من سلسلة الجزائر في قلب التصوف، منشورات زكي بوزيد، كونتينونتال باك سارفيس (منشورات cps)، الجزائر، 2011م.

المصادر والمراجع

-غالم محمد، ظاهرة الزلزال في الأسطغرافيا الجزائرية التقليدية (بين الذاكرة والتاريخ)، مجلة انسانيات المجلة الزائرية في الإنثربولوجيا والعلوم الإجتماعية، crasc، ديسمبر 1997م، الجزائر.

-قبايلي هواري الوليالصالح محمد بن عمر الهواري في الإسطوغرافيا الفرنسية، مقاربة ببليوغرافية، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع13.

-مجلة الثقافة العدد الخاص بالمخطوطات العدد، وزارة الثقفة والاتصال، الجزائر 117،118، سنة 1999م عبد الحميد حاجيات مخطوط نفيس لعبد الرحمان الثعالبي.

-مجلة الذاكرة، ع4، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، منشورات الجائر،1955م.

-موساوي مجدوب، الزوايا والطرق الصوفية بالصحراء الجزائرية عند لويس رين، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، المجل د3، ال عدد1، جانفي 2020م.

-موساوي مجدوب، سيد الشيخ عبد القادر بن محمد-حياته وآثره-، مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة ب اتنة1، العددالأول، جوان2022م.

-موساوي مجدوب، سيد الشيخ عبد القادر بن محمد-حياته وآثاره، مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة ب اتنة1، العدد الأول، جوان 2022م.

المصادر والمراجع

المقالات باللغة الأجنبية:

−A.Fervet, La revue du monde musulman, volume 3, N9, août-septembre 1907.

-Aboubeker Abedesselam Ben Choaib, Les Marabouts Guérisseur, La Revue Africaine, N266-267, Typographie Adolphe Jourdan, Alger,1907.

-Albert Devoulx.Les édifices Religieux de l'ancien Alger larevu Africaine.n14.1870.

-Albert Devoulx, Note Historique Sur Les Mosquée Et Autres édifices Religieux D'Alger(Les chorfa),la revueAfricaine N6.

-Albert Devoulx, tombe de khedeur pachaa Alger, la revu Africaine.n16.1872.

-Alexandre Joly, Étude sur Les chadouliya, La revue Africaine, N 266-267, Typographie Adolphe Jourdan, Alger, 1907.

-Alexendre Joly, Saint et légende de l'islam, RV.AF, N° 57, Edition Kraus Reprint, Alger, 1913.

-Arnoud, histoire des oulad nail, la revu africaine,n16,1872,

-Brosslar, Mausolée Du cheikhel-ouali sidi Boumediene, la revue Africaine,N12 ,1859.

-c.trumelet‹ L'histoire DE L'INSURRECTION DANS LE SUD DE LA PROVINCE D'ALGER EN 1864,LA REVU AFRICAINE,N20,1876.

-E. mercier‹ notice sure les almoravide et les almohades, La revue Africaine N12 ;1886.

-Bouzina-Oufriha Fatima-Zohra, Figure illustres du Maghreb central et de l'Algérie, édition Houma, Alger, 2015.

-Djamil Aïssani ‹Mille Ans De Pensée Soufie En Kabylie (XI^{E}-XXI^{E} Siècles) ,Libyca, Mémoire Du Centre NationalDe Recherches Préhistoriques ET Anthropologiques Et Historiques , Nouvelle série n^{o}1, 2020, Alger., 2002.

-Emil Dermenghem et Léo Barbes‹ Essai sur la hadhra des
Aïssaoua d' Alger, la revue africaine, n^{o}95, Alger, 1951.

-Emil Dermenghem‹ le culte des saints dansl'islam maghrébin‹ la revue africaine numéro 99,1955,Alger.

-Emile Dermenghem‹ Le djbel-amour‹ Sinthése de l'activité Algerienne,1 janvier 1955-31‹ décembre 1955.

1. Emile Dermenghem, Le pays de Laghouat et des larbaâ, Documents Algériens, Sinthése de l'ativité Algerienne, 1janvier 1957-31 décembre 1957.

2. Emile Dermenghem, Le pays des oualed nail, Documents Algériens, Sinthése de l'ativité Algerienne, 1janvier 1956-31 décembre 1956.

3. G. Delphin, La Philosophie du cheikh Snoussi D'après son aquida Es-s'ora, le journal asiatique, extrait du n°1 de sptembre- octobre, impremrie nationale, Paris, 1897.

4. Henry Carnoy, les koubbas renversées, La tradition, Revue générale des contes, Légende, Chants, Usage, tradition et arts populaire, tome 07, 1893.

5. John Roney, Les sain de l'islam, ancienne revue des revues, paris, n^{o}70, 1907.

Jules la beame, le coran par ordre de matière, la revue africaine, N12, 1886.

6-José Mariano Sánchez، Anticlericalism: a brief history (University of Notre Dame Press, 1972)
6. L.Arnou, histoire de l'ouali sidi–ahmed et-edjani. LA REV- AF, journal des trvaux de la société historique, N 5, 1861
7. Mahfoud Smati, Les élites Algériennes Sous La colonisation, tome1, édition dahlab, Alger, 1998.
8. Ougouag-Kezzal (ch), Le Sadaq et le mariage suivant le "Urf"(rite) de Sidi Ma'ammar, Libyca, Centre De Recherches Anthropologiques Préhistoriques Et Ethnographiques, Tome19, 1971, Alger.
9. P.Muraty, Le maraboutisme au la naissance d'une famille ethnique dans la région de Tébessa, La revue Africaine, numero80, annee 1937.
10. Recommandation du Seyyid Aed Er-Rahman Ben Echi-chikh El-Missoum, chikh De La Tarika Chadeliya, Dans La zaouïa De Ksar El-boukhari, Rvue du monde musulment, tome 29, Editeure ernest Loroux, Paris, 1914.
11. René Basset (la légende de bent lkhass), LArevueAfricaine N49, 1905.
12. Sidi Ali Hachlaf, les chorfa Les nobledu monde musulment, edition original arabe et traduction française publisud, France, 1995.
13. Victor Martin Colonieu, Voyage au Gourâra et á l'Aouguerοût(1860) ,Butin de la société de géographie, septième série, tome 13, Parie ,1892.

خامسا: الجرائد

1. جريدة الخبر العدد Https://Www.Djazairess.Com/Elkhabar/274647

سادسا: المواقع الإلكترونية:

1. موقعBabelio على ساعة 11 و21د بتاريخ 13-02-2023
2. Googl books، على ساعة 21 مساءا بتاريخ 10-01-2022.
3. https://www.djazairess.com/elkhabar/274647
4. https://www.google.com/search?q=alfonse+serteux&oq=&aqs=chrome.0.69i59i450j0i3i66i143i362l3j46i3i143i362l3j0i3i66i143i362.7839272j0j15&sourceid=chrome&ie=UTF-8&si=ACFMAn9KZYsyo3PapRz-Lln20EDxaXkXXRSEphpP7vsryvsVOqLj4Csqv6q6Gy6P_GGllmShKY8HsKvn-GTKhJ492qfggRPaQ-bTwbuR8ja7SEfIloDQQA8%3D&ictx=1&ved=2ahUKEwjxw8aq1pWAAxUaTKQEHRjVC0cQyNoBKAB6BAgQEAA.

.5 https://www.signification-noms-prenoms.com/stars/jean-joseph-leandre-barges/:

فهرس الشخصيات

فهرس الشخصيات

الشخصية	الصفحات
مارسيل سيميون	70
ألفونس سرتو	71
جون جوزيف بارجيس ليوندر	71
اوجين فالي	72
إدوارد دونوفو	73
كورناي ترومليي	111-73-34-33-9
ايدموند دوتي	75
سيدي عبد القادر الجيلاني	-91-86-85-84-83-81-80-55-36-34-32-29-12-9 -202-186-166-154-135
سيدي بومدين شعيب الغوث	87
سيدي الحلوي	102-101-100-98-97
شيخ بن عليوة	106-105-104-103-43-42
سيدي السنوسي	107
سيدي معمر	199-165-112-111-110
سيدي احمد بن يوسف	203-199-113-112-11
سيدي الهواري	117-116-55
سيدي محمد بو قبرين	123
سيدي عبد الرحمان الثعالبي	129-128-127-123-55-12
سيدي احمد الكبير	135-134-133-132-131-123
سيدي محمد بن عيسى	-147-146-145-144-139-138-137-136-123-35-29 155-151-149
الشيخ الميسوم	153-152
سيدي عيسى	-144-143-142-141-140-139-138-137-136-36 -156-155-154-151-150-149-148-147-146-145 -184-182-173-157
سيدي عبيد	165-164-162-161-160-159-158
سيدي يوسف الحنصالي	166-165-40
سيدي عمار بوسنة	166-36
سيدي مسعود	167-166-72
سيدي عبد الرحمان المنعاتقي	168
سيد الناصر	177-176-175-174 -173

فهرس الشخصيات

سيدي أحمد التيجاني	29-30-45-46-59-70-137-173-183-184-186-187-188-189-190-191-192-197-219
سيدي الحاج عيسى	194-195-196
سيدي بلقاسم الهاملي	197-198
سيدي سليمان بن بو سماحة	198
سيد الشيخ	39-53-60-65-67-68-110-147-185-194-200-201-202-203-204-205-206-207-208-209-2019-220
مولاي الطيب	16-39-209
سيدي عقبة الفهري	210
سيدي بنور	72-210-211
لالة أم قرين	212
سيدي بولفعة	212
سيدي بلقاسم	212

فهرس المحتويات

الإهداء.....
كلمة شكر تقدير.....
قائمةالمختصرات .....
مقدمة.....أ
أولا: الصلحاء في الكتابات الفرنسية: 14
1-تسمية الصلحاء ب": les saints de l'islam" 14
2.أنواع الصلحاء 16
1.2-الصلحاء المحليين الشعبويين:..... 17
2.2-الصلحاء العلماء:..... 18
3.2-الصالح الشافي: 18
5.2-الصلحاءالمزيفون: 20
3.سلسلة الصلحاء.....21
ثانيا: مدلول الصلحاء في الفكر الجمعي الجزائري:.....23
1-الولي : 23
2-المرابط: 26
3-الشريف:.....27
4-القطب: 28
5-الغوث: 28
6-مولاي:..... 29
7-الشيخ:..... 29
8-لالة:..... 30
1.ظاهرة الصلحاء:.....31
2.الطرق الصوفية في الجزائر: 35
1.2-الطريقة القادرية:..... 36
2.2الطريقة العيساوية:.....37
3.2الطريقة العمارية: 38

4.2طريقة كنتة: 39
5.2-الطريقة الفاضلية أو العينية: 39
6.2-الطريقة الشاذلية: 39
7.2-الطريقة الجازولية: 40
8.2-الطريقة الزروقية: 41
9.2-الطريقة اليوسفية أو الرشيدية: 41
10.2-الطريقة الرازية: 41
13.2-الطريقةالطيبة أو الوزانية: 42
14.2-الطريقة الحنصالية: 43
15.2-الطريقة الزيانية: 43
16.2-الطريقة الدرقاوية: 43
18.2-الطريقة المدنية: 44
19.2-الطريقة الخلواتية: 44
20.2-الطريقةالرحمانية : 44
21.2- الطريقة السنوسية: 45
22.2-الطريقة التيجانية: 45
23.2-الطريقة الكرزازية: 46
24.2.الطريقة الشوذية: 47
رابعا:سبب اهتمام الفرنسيين بدراسةالصلحاء :.....48
1-في الجانب الديني: 48
2-في الجانب الثقافي: 51
3-في الجانب الاجتماعي: 54
4- في الجانب اقتصادي: 61
5-في الجانب السياسي والعسكري: 64
6.نماذج من الكتاب الذين إهتموا بالصلحاء:.....68
1.6-كتابات المؤرخين الفرنسيين:..... 68
أ-مارسيل سيميون: Marcel Simian..... 68
ب-ألفونس سرتو(Alphonse Certeux): 69

2.6-كتابات رجال الدين المستشرقين: 69
أ-جون جوزيف بارجيس ليوندر (Barges Jean Joseph Léandre)..... 69
3.6-كتابات الساسة والصحفيين: 70
أ- Eugéne Vallet:اوجين فالي 70
4.6-كتابات الضباط والجنرالات الفرنسية: 70
أ-Corneille Trumletكورناي ترومليي: 70
5.6-كتابات علم الإجتماع والأنثربولوجيا:..... 71
أ-ايدموند دوتي(Edmond Douté) :عالم في علم الإجتماع والأنثربولوجيا 71
6.6-المجلات: 72
أ-المجلة الإفريقية:(la revue africaine): 72
الفصل الثاني: صلحاء منطقة الشمال الغربي الجزائري 74
أولا-الامتداد الجغرافي لمنطقة الشمال الغربي الجزائري: 76
ثانيا:الحضور الروحي لسيدي عبد القادر الجيلاني.....76
1.نسبه : 78
2.حياته ورحلاته: 78
3.ألقابه : 80
4.وفاته : 81
5.أولاده : 81
6.مؤلفاته : 82
7.الزيارة الكبرى لضريح سيدي عبد القادر الجيلاني :..... 82
8.كراماته : 82
9.علاقة القادريين بفرنسا : 84
ثالثا:صلحاء وهران وتلمسان: 85
1-سيدي الهواري..... 85
1.1-نسبه: 85
2.1-حياته ورحلاته:..... 85
3.1-كراماته : 86
2.2-حياته ورحلاته:..... 90

3.2-سيدي بومدين شعيب و مولاي بوعزة: 92
4.2-ألقابه:..... 95
5.2-كرامات سيدي بومدين شعيب: 95
6.2-وفاته:..... 98
7.2-مؤلفات سيدي بومدين شعيب: 99
8.2- الزيارة الكبرى لسيدي بومدين:..... 99
3: سيدي الحلوي..... 100
1.3-نسبه : 101
2.3-حياته ورحلاته:..... 101
3.3-كراماته:..... 104
4.3-ألقابه:..... 105
5.3-وفاته:..... 105
6.3-وعدة سيدي الحلوي السنوية: 107
4-سيدي سنوسي دفين تلمسان: 107
4.1-نسبه: 107
4.2-مؤلفاته:..... 108
3.4-وفاته:..... 108
2.1-حياته ورحلاته:..... 109
3.1-أوصافه: 112
4.1.-وفاته :..... 112
2-سيدي السنوسي 113
2.1-نسبه: 113
2.2-حياته ورحلاته:..... 114
5.2-علاقة السنوسية بالإحتلال الفرنسي:..... 115
3-سيدي معمر: 117
1.3-نسبه: 117
2.3-حياته ورحلاته:..... 118
3.3-عرف سيدي معمر: 118

4-سيدي احمد بن يوسف الراشدي المليانى..... 119
4.1-نسبه: 119
4.2-حياته ورحلاته: 120
3.4-كراماته: 121
4.4-وفاته: 122
5.4-مؤلفاته: 122
6.4-علاقة اليوسفيين بفرنسا: 122
الفصل الثالث: صلحاء منطقة الوسط وشمال شرق الجزائر 124
اولا: الإمتداد الجغرافي لمنطقة الوسط الجزائري. 126
ثانيا: صلحاء مدينة الجزائر والفحوص المجاورة لها: 127
1-سيدي محمد بوقبرين: 127
3.1-حياته ورحلاته: 128
4.1-وفاته: 130
5.1-علاقة الزاوية الرحمانية بفرنسا: 130
2-سيدي عبد الرحمان الثعالبي 131
1.2-نسبه: 131
2.2-مولده: 131
3.2-حياته ورحلاته: 132
4.2-مؤلفاته: 132
5.2-كراماته: 133
6.2-وفاته: 135
3-سيدي احمد الكبير 136
1.3-نسبه ومولده: 136
2.3-حياته ورحلاته: 136
3.3-تأسيس مدينة البليدة: 138
4.3-كراماته: 139
5.3-وفاته: 139
4-سيدي محمد بن عيسى: 140

1.سيدي محمد بن عيسى دفين مدينة المدية:..... 140
1.1.نسبه:..... 140
2.1.كرامات سيدي محمد بن عيسى دفين المدية: 142
2.سيدي محمد بن عيسى دفين مكناس:..... 143
1.2.مولده: 143
2.2.حياته ورحلاته: 143
3.2.كراماته..... 148
4.2.وفاته: 148
5.2.ممارسات العيساوة:..... 149
ب.الحضرة : 150
ج..طبق الكسكس: 152
د. تحضير الجن والبحث عن الكنوز: 153
د.التمثلات الحيوانية عند العيساوة: 154
د.الممارسات العلاجية: 155
5-الشيخ الميسوم: 157
1.5-.نسبه: 157
وهو محمد بن أحمد بن رقية الميسوم يعرف بصاحب القصر البخاري..... 157
2.5-.حياته ورحلاته:..... 157
3.5-وفاته:..... 157
4.5-أبناءه: 158
5.5-.مؤلفاته:..... 158
7.علاقة الشادليين بالسلطات الفرنسية:..... 158
ثالثا.الإمتدادالجغرافي لمنطقة الشمال الشرقي الجزائري. 159
رابعا: صلحاء منطقة الشرق الجزائري 160
1:سيدي عيسى دفين ولايةالمسيلة(وادااللحم) 160
1.1-نسبه: 160
2.1-حياته ورحلاته:..... 161
3.1-وفاته:..... 162

4.1-كراماته: 162
2:سيدي عبيد: 164
1.2-.نسبه: 164
2.2-حياته ورحلاته: 164
3.2-وفاته: 167
4.2-كراماته: 167
5.2-وعدة سيدي عبيد: 169
6.2-علاقة ولاد سيدي عبيد بفرنسا: 169
3-سيدي يوسف الحنصالي: 170
1.3-.نسبه: 170
2.3-حياته ورحلاته: 170
.3-3وفاته: 171
3-4علاقة الحنصاليين بفرنسا: 171
4-سيدي مسعود دفين فرجيوة: 171
-1.4كراماته: 171
الفصل الرابع: صلحاء منطقة الجنوب الجزائري 175
أولا: الإمتدادالجغرافي لمنطقة الجنوب الجزائري: 177
ثانيا:صلحاء جبل لعمور ولغواط وغرداية: 178
1-صلحاء جبل عمور: 178
1.1-لالة أم قرين: 178
2.1-سيدي بولفعة: 178
2-سيد الناصر بوحركات بن عبدالرحمان: 179
1.2-نسبه: 179
2.2-حياته ورحلاته: 180
4.2-وفاته: 183
5.2-كرامات الولي الصالح سيد الناصر: 183
6.2-العلاقات الفرنسية بأولاد سيد الناصر: 184
3-سيدي أحمد التيجاني: 184

1.3-نسبه 184
2.3-حياته ورحلاته: 185
3.3-مؤلفاته: 190
4.3-وفاته: 190
5.3-كرامات الولي الصالح سيدي أحمد التيجاني: 191
6.3-الصراع التيجاني مع الدولة العثمانية: 192
7.3-علاقات التيجانيين بفرنسا: 193
4.سيدي الحاج عيسى: 196
1.4-نسبه: 196
2.4-حياته ورحلته: 196
3.4-وفاته: 197
4.4-كرامات سيدي الحاج عيسى: 197
5.4-علاقة أولاد سيد الحاج عيسى بفرنسا: 198
5.سيدي بنور: 199
1.5-حياته ورحلاته: 199
2.5-.تاسيس مدينة بونورة: 200
3.5-أسطورة سيدي بنور: 200
ثالثا.صلحاء الجلفة وبوسعادة 201
1.سيدي نايل: 201
1.1-نسبه: 201
1.2.حياته ورحلاته: 201
3.1.وفاته: 204
4.كراماته: 204
5.الزيارة الكبرى لسيدي نايل: 204
6.علاقة أولاد نايل بفرنسا: 204
2-سيدي بلقاسم الهاملي: 205
1.2-نسبه: 205
2.2.حياته ورحلاته: 206

3.2.وفاته: 206
4.2.كراماته: 207
رابعا:صلحاء الجنوب الغربي الجزائري. 208
1-سيدي سليمان بن بوسماحة. 208
1.1.نسبه: 208
2.1.حياته ورحلاته: 208
3.2.مؤلفاته: 210
4.2.وفاته: 210
5.2.كراماته: 210
2-سيدالشيخ: 211
1.2-نسبه: 211
2.2-تسميته بسيد الشيخ: 212
3.2-حياته رحلاته: 213
4.2.مولفاته: 217
5.2.وفاته: 218
6.2.كراماته: 219
7.2.علاقة مرابطي الزاوية الشيخية بفرنسا: 220
3-مولاي الطيب: 221
1.3-حياته: 221
2.3-كراماته: 221
خاتمة 225
جدول الملاحق: 232
الملاحق i
المصادر والمراجع 10
فهرس الشخصيات 24
فهرس المحتويات 27
الملخص 37

ملخص

الملخص

باللغة العربية:

تناول هذه الأطروحة بالدراسة صورة الصلحاء كما تجلت في الكتابات الفرنسية خلال الفترة الممتدة من 1830 إلى 1962، وهي مرحلة اتسمت بالاحتكاك المباشر بين الثقافة الجزائرية المحلية والخطاب الاستعماري. لقد شكل الولي الصالح في المخيال الاستعماري الفرنسي شخصية محورية، جمعت بين الغرابة والرمزية السياسية، فظهر في النصوص الرحلية والإدارية والأنثروبولوجية والروائية باعتباره وسيطا اجتماعيا وروحيا، وأحيانا باعتباره عقبة أمام المشروع الاستعماري. إن صورة الصلحاء في هذه الكتابات لم تكن مجرد انعكاس للواقع، بل كانت نتاج تمثيل أيديولوجي محكوم بالرهانات الاستعمارية. ففي بعض النصوص تم تقديمهم كحماة للتوازن الاجتماعي وضامنين للسلم، بينما صوروا في نصوص أخرى كرموز لمقاومة دينية وثقافية حالت دون إخضاع المجتمعات المحلية بالكامل.

تكشف الأطروحة من خلال تحليل هذه التمثلات عن تباين في الموقف الفرنسي من الظاهرة الصوفية، يتأرجح بين الانبهار بمظاهر الزهد والروحانية من جهة، والنظر إليها بوصفها ممارسة بدائية أو خرافية من جهة أخرى. وقد أتاح هذا التباين للنصوص الاستعمارية أن تحول "الولي الصالح" إلى رمز متعدد الدلالات، يجمع بين المقدس والمحلي من ناحية، وبين السياسي والاستعماري من ناحية ثانية. إن دراسة هذا الموضوع تبرز كيف أصبح الصلحاء فضاء نصيا وثقافيا يعكس ديناميات القوة والهيمنة، ويكشف عن علاقة معقدة بين الخطاب الأدبي والاستشراقي وبين الواقع التاريخي للمجتمع الجزائري في ظل الاستعمار.

الملخص

باللغة الأجنبية:

Dissertation explores the representation of saints (ṣulḥā') in French writings between 1830 and 1962, a period marked by direct contact between local Algerian culture and colonial discourse. In the French colonial imagination, the saint occupied a central position, embodying both fascination and political symbolism. In travelogues, administrative and anthropological reports, as well as novels, he was portrayed as a social and spiritual mediator, yet at times also as an obstacle to the colonial project. The image of the saints in these writings was not a neutral reflection of reality but rather an ideological construct shaped by colonial agendas. Some texts presented them as guarantors of social balance and peace, while others depicted them as symbols of religious and cultural resistance that hindered the complete subjugation of local communities.

Through the analysis of these representations, the dissertation highlights the ambivalence of the French perspective on Sufi practices, oscillating between fascination with asceticism and spirituality on the one hand, and dismissing them as archaic or superstitious on the other. This ambivalence allowed colonial writings to transform the "saint" into a multifaceted symbol, situated at the intersection of the sacred and the local on one side, and the political and colonial on the other. The study demonstrates how saints became a textual and cultural space that revealed the dynamics of power and domination, while also reflecting the complex relationship between literary and orientalist discourse and the historical reality of Algerian society under colonization